الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ـ السانية ـ وهران
كلية العلوم الاجتماعية
قسم الفلسفة
تخصص : فلسفة غربية معاصرة
(فلسفة أنجلوساكسونية)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة الموسومة بـ:

الإعتقاد والحقيقة عند وليام جيمس

(دراسة تحليلية ونقدية)

إعداد الطالب:
زروقي ثامر

إشراف الأستاذ الدكتور:
البخاري حمانه

أعضاء لجنة المناقشة:

الصفة	الإسم واللقب	الرتبة	المؤسسة
الرئيس	أ.د. عبداللاوي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران
المقـــرر	أ.د. البخاري حمانه	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران
المناقش	د. سواريت بن عمر	أستاذ محاضر. أ .	جامعة وهران
المناقش	د. موسى عبدالله	أستاذ محاضر. أ .	جامعة سعيدة

السنة الجامعية:
2012/ 2011

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ـ السانية ـ وهران
كلية العلوم الاجتماعية
قسم الفلسفة
تخصص : فلسفة غربية معاصرة
(فلسفة أنجلوساكسونية)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة الموسومة بـ:

الإعتقاد والحقيقة عند وليام جيمس

(دراسة تحليلية ونقدية)

إعداد الطالب :
زروقي ثامر

إشراف الأستاذ الدكتور :
البخاري حمانه

أعضاء لجنة المناقشة:

الصفة	الإسم واللقب	الرتبة	المؤسسة
الرئيس	أ.د. عبداللاوي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران
المقــرر	أ.د. البخاري حمانه	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران
المناقش	د. سواريت بن عمر	أستاذ محاضر. أ .	جامعة وهران
المناقش	د. موسى عبدالله	أستاذ محاضر. أ .	جامعة سعيدة

السنة الجامعية:
2012/ 2011

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

ـ إلى الأستاذ الكريم الدكتور "البخاري حمانه" الذي كان معي كريما بحسه وعقله والذي كانت توجيهاته لي في كل مرة محفزا على الإستمرار في البحث.

ـ الى الأستاذ الكريم الدكتور "سواريت بن عمر" الذي كان معي كريما مرار محفزا لي ،على الإستمرار في البحث ، دون كلل أو ملل،وكانت توجيهاته في كل مرة مثمرة.

ـ إلى كل أساتذة معهد العلوم الإجتماعية" قسم الفلسفة " بجامعة «السانيا » وهران.

ـ إلى زملائي الأساتذة الذين لم يبخلوا علي بما يملكون من كتب ومراجع، فكان لهم بذلك إسهامهم في مادة البحث .

ـ إلى كل من كان لي مشجعا ومحفزا على إتمام هذا البحث .

الإهداء

- إلى من لا يوفيهما إهداء أو شكر فضلهما علي في الحياة

إلى أبي وأمي ...

فيا ربي (إرحمهما كما ربياني صغيرا).

- إلى من كانت لي عونا في السراء والضراء ... وإلى من كانت تقابل قلقي بصبرها وغضبي بهدوئها وسعة صدرها ،إلى زوجتي مأوى فؤادي ...

- إلى هبة الله وعمرالفاروق وسارة أبنائي الذين ملؤوا حياتي بهجة وأملا ...

- إلى كل من كان لي محفزا مشجعا في بحثي ...

إليهم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع .

مقـــدمة

مقدمة :

لقد أثارت مشكلة الحقيقة والإعتقاد والعلاقة بينهما، في حياة الإنسان ،مشكلة فلسفية ظلت تذكي تساؤلات الفلاسفة باستمرار،تساؤلات لم تقتصر على زمن بعينه ، ولا على مكان بعينه . بل أينما وجد الإنسان وجدت مشكلة الحقيقة والاعتقاد ، من هنا كانت أهمية هذه المشكلة بالنسبة للإنسان عموما ولفئة الفلاسفة خصوصا ،ومما زاد في تأكيد أهميتها أنها زعزعت ثقة الإنسان فيما هو سائد،وبهذا الشك كانت مشكلة الحقيقة وعلاقتها بالإعتقاد تحي وتتجدد باستمراروفي صور وأساليب مختلفة أسهم فيها الفلاسفة .وقد كان وليم جيمس واحدا ممن شغلت فكرهم هذه المشكلة ، فكان له طرح خاص ومتميز تجاوز به الكثير مما جاءت به الفلسفات قبله :

وقد أكد أفلاطون(Plato)" 428-427 ق.م \ 347-348 ق.م" أن الحقيقة توجد في عالم مفارق للعالم الحسي, إنه عالم المثل. كما أن معرفة الحقيقة لا يمكن أن تتم إلا بالتأمل العقلي و عن طريق منهج الجدل الصاعد, لا عن طريق الحس. وبين على لسان سقراط (Socrates) "469- 399"- في محاورة جورجياس أن الحوار هو الضامن للحقيقة أي أن ما يضمن موضوعية الحقيقة و كونيتها هو تبادل الحجج و البراهين دون خطابة أو بلاغة أو مغالطة لأن جميع هذه الوسائل تشل فعالية العقل و تخلط العواطف و الأهواء و تحول الكذب و شهادة الزور إلى حق و تجعل الإجماع و التبعية غاية لها بدل البرهان و الحرية و الاستقلال و النزاهة التي تظل شروطا أخلاقية للحقيقة تضمن قيمتها و طبيعتها الكونية.كما فسر أفلاطون موقفه بالتصريح أن هناك نوعان من الواقع أو الوجود، هناك عالم المثل و هو عالم الموجودات أو الأشياء الحقيقية التي تتميز بالثبات و البساطة و الخلود، و هناك عالم المحسوسات أو عالم الأشياء و الموجودات المتغيرة التي يعتبرها مجرد صورة مشوهة لما يوجد في عالم المثل، فالحقيقة في نظره إنما ترتبط بما هو ثابت و لا يوجد ذلك إلا في عالم المثل ، أما المعرفة المرتبطة بالعالم المادي فهي معرفة متغيرة أو في أقصى الأحوال معرفة ظنية. إلا أن هذه الثنائية التي يقيمها أفلاطون بين عالم المثل و عالم المحسوسات - هي أدت بأرسطو(Aristotle)" 384 ق م - 322 ق م"إلى طرح التساؤل التالي: كيف يمكن أن يكون ما هو مادي محسوس نسخة مما هو لا مادي معقول و مجرد ؟إن هذا التساؤل سيدفع أرسطو إلى إعادة النظر في الأطروحة الأفلاطونية فإذا كان الواقع الحسي ليس هو الواقع الحقيقي فإن الحقيقة لا توجد خارجه بل هي محايثة لأن

المتغير لا يتغير إلا على أساس ما هو ثابت، فمثلا فإننا نعتبر الشجرة على أنها تمثل مظاهرها عبر الفصول، فوراء الأغراض الحسية (الصفات المتغيرة) جواهرثابتة تشكل الواقع الحقيقي و لكن الأغراض تحفظ بدرجة من الحقيقة و الواقعية لأنها تشكل الوسيط الذي لا بد منه لإدراك الجواهر(الصفات الثابتة) إلا أن تدخل الحواس في عملية المعرفة وإنتاج الحقيقة سيدفع "ديكارت" إلى إعتبار أن التجربة الحسية قد تشكل عائقا في بلوغ الحقيقة و لذلك فيعتبر ، **وفي ديكارت (Renee Descartes)-"1596-1650"** أن لا بد من تجاوز التجربة الحسية لبلوغ الحقيقة بالعقل وحده ،إلا أن بعض فلاسفة العصر الحديث" كديكارت" الذي إعتبر أن إنتاج الحقيقة شأن يخص العقل وحده، فالحقيقة إذن لكي تكون كذلك لا بد أن تكون عقلية خالصة، و لكن كيف ينتج العقل الحقيقة ؟ على أي أساس يعتمد ؟ وما هو المنهج الذي يمكن من ذلك ؟.إن العقل يتضمن مبادئ فطرية على أساسها يمكن أن يفكر في جميع المواضيع دونما حاجة إلى الاعتماد على التجربة الحسية مادامت هذه الأخيرة خداعة ولا يمكن الوثوق بها.و لهذا دعا ديكارت إلى الاعتماد على العقل من خلال اللجوء إلى ما يعرف بالشك المنهجي، إنه شك في المعرفة الحسية و في كل معرفة موروثة لم ينشأها العقل نفسه انطلاقا من المبادئ الفطرية المتضمنة فيه، و لهذا دعا ديكارت إلى الشك في جميع المعارف من أجل إعادة بناءها على أسس عقلية ولهذا صارت الحقيقة بالنسبة لديكارت هي ما ينتهي إليه الشك و ليس ما تعطيه لنا الحواس، فالحقيقة إذن مرادفة لما هو بديهي وواضح عقليا أو ما لا يعود قابلا للشك،إن ما توصل إليه ديكارت من إعتبار الحقيقة ذات طبيعة عقلية خالصة يطرح إشكالية جديدة عرفت في الفكر الفلسفي إشكالية المطابقة بمعنى إذا صارت الحقيقة عقلية خالصة، فكيف يمكن أن تنشأ مطابقة تلك الحقيقة للواقع ؟.وأي واقع تكون تلك الحقيقة مطابقة له، هل هو الواقع الحسي المشكوك فيه والذي لايحمل حقيقته في ذلك بل يستمدها من واقع آخر مفارق له. وما يدركه العقل باعتباره حقيقة كاف بذاته ولا يحتاج إلى إثبات تجريبي. كما إستند ديكارت على التحليل الرياضي كمنهج لبلوغ الحقيقة في إستقلال عن الحواس كما يستند إلى الله كضامن لهذه الحقيقة.إن الحقيقة بنت العقل وحده.

غيرأن "**أبا الوليد ابن رشد**"(**1198 - 1126**) يبين أن **إختلاف طبائع الناس وإ**ختلاف قدراتهم المعرفية تقتضي اختلاف طرق تبليغ الحقيقة للناس وهذا ما أثبته ابن رشد من خلال تحليله للطرق **التي إ**عتمدها القرآن أوالخطاب الإلهي في تبليغ الحقيقة فرأفة من الله بعباده خاطبهم على قدر مستوياتهم المعرفية، فالقرآن يتضمن ثلاث طرق لتبليغ الحقيقة:هناك الأسلوب الخطابي ويتضمن الوصف وضرب الأمثال **و**أسلوبي الترهيب والترغيب.هناك **الطريقةالجدلية** : وهي موجهة لتلك الفئة من الناس التي كانت لها معرفة بالقضايا العقائدية (كالرهبان و الأحبار) والذين كانوا يجادلون في بعض الحقائق الواردة في القرآن مثل (قيام الساعة و البعث).**و**هناك **الطريقة البرهانية**:**و**هي خاصة في نظر ابن رشد بالراسخين في العلم أي أهل البرهان وهي طريقة تعتمد على التأويل بإرجاع ما هو متشابه في القرآن إلى ماهو محكم مع ضرورة توفر شروط التأويل التي هي نفسها شروط الاجتهاد.**و**إن ما يقال عن الحقيقة الدينية إنما يمكن أن ينطبق على الحقائق مهما اختلف مجالها ذلك أن الخطاب الديني نوع من أنواع خطابات الحقيقة فكل حقيقة يراد تبليغها للناس **و**إقناعهم بها يقتضي بالضرورة مراعاة مستوياتهم المعرفية و قدراتهم الإدراكية. يعتبر ابن رشد الحقيقة واحدة من حيث الجوهر ولكنها متعددة من حيث صيغها أو مظاهرها, والتي تعود إلى اختلاف معايير الحكم عليها وأنماط الخطاب المعبرعنها ,و هوالتعدد و الاختلاف الذي يجد مبرره في اختلاف المجالات المعرفية (مثلا الدين والفلسفة و العلم و الأدب.) و في الاختلافات بين الناس في كيفية الوصول إليها .يقول ابن رشد في هذا الصدد >:و إذا كانت الحقيقة الشرعية حقا, وكانت الحقيقة البرهانية حقا فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه و يشهد له .

ويعرف **القديس توما الأكويني** (**Tommaso d'Aquino**)-(**1225-1274**)- الحقيقة بأنها "التلاؤم بين الشيء والروح". تؤيد تجارب الحياة اليومية هذا التصور. فعندما أقول مثلا: "المطر يتساقط"، فإن قولي يعتبر صحيحا إذا كان المطر يتساقط بالفعل. هناك إذن تطابق بين مضمون الكلام والتجربة أو الواقع. ولكن الحقيقة هنا صفة من الصفات التي ينعت بها الكلام أو الحكم الذي أصدره عن الواقع، وأما الوقع في حد ذاته فلا يمكن القول عنه بأنه صحيح أو خاطئ. إن الشيء في حد ذاته ليس صحيحا أو خاطئا، ولكنه يمكن أن يكون موجودا أو غير موجود. فإذا كان الشيء موجودا، إذا كان المطر يهطل بالفعل، فإن كلامي عنه لا يغير من وضعه شيئا. فإذا قلت عنه إنه لا يهطل فإنه لن يتوقف عن التساقط.

وفي هذه الحالة يكون حكمي عنه حكما خاطئا. ويرى **أصحاب المدرسة الواقعية** أن حكمنا على شيء ما يجب أن يعكس ذاك الشيء كما هو في ذاته. ولذلك عرفوا الحقيقة بأنها التطابق بين الحكم أو الفكرة وبين الواقع الموضوعي كما هو في ذاته في استقلال عن مداركنا. إن المعرفة بهذا المعنى سعي متواصل لمعرفة حقيقة الواقع، وأما المنهج المعتمد لبلوغها فهو المنهج التجريبي الذي تلعب فيه الملاحظة والتجربة دورا كبيرا. وأما دور العقل فينحصر في استخلاص القوانين من المعطيات التجريبية. وتعتبر التجربة المعيار الذي يمكنهم من التمييز بين الصواب والخطأ، إنه المعيار الأساسي للحقيقة. وتعتبر التجربة إذن هي صلة الوصل بين الذات العارفة وموضوع المعرفة، إنها قنطرة العبور من العالم الداخلي إلى العالم الخارجي. يستلزم البحث عن الحقيقة، إذن، الخروج من الذات أو التجرد من الذاتية من أجل فهم الواقع كما هو لا كما نريده أن يكون. مواجهة الواقع الخارجي تعني جمع المعطيات بطريقة موضوعية وتحليلها واستقراءها بطريقة موضوعية، واستنطاقها، واستخلاص كل ما يمكن استخلاصه منها من معلومات. إن التجربة وسيلة لاستنطاق الواقع، إنها حوار بين الذات العارفة والطبيعة. يتوقع أن تبوح الطبيعة بأسرارها في هذا الحوار.ومن الصعوبات التي تعترض الباحثين من ذوي النزعة التجريبية أنه كثيرا ما يمتزج المعطى الموضوعي ببعض العناصر الذاتية في بحوثهم. لذلك كان من الواجب أن يبذل الباحث قصارى الجهد لفصل ما هو موضوعي عما هو ذاتي. وربما كان السبب الرئيس للوقوع في الخطأ هو عدم القدرة على تحقيق شرط الموضوعية. إن تحقيق شرط الموضوعية يعني انتصار الحقيقة على الخطأ. وما أصعب أن يتخلص المرء من الذاتية التي تعتبر المصدر الرئيسي للخطأ في مجال البحث العلمي، بحيث يمكن القول إن التقدم العلمي وتبلور الحقيقة هما نتاج تنامي القدرة على التجرد من الذاتية والتعامل مع الأشياء كما هي. ولعل ذلك هو ما تدل عليه عبارة باشلار المشهورة: **"ليست هناك حقيقة أولى، هناك فقط أخطاء أولى"**. وإذا كان **الفلاسفة التجريبيون الكلاسيكيون من أمثال جون لوك(John Locke)-(1632 – 1704)-ودافيد هيوم(David Hume)-(1711-1776)** يعتقدون أن الحقيقة هي انعكاس للواقع في الذهن، فإن الاتجاهات الواقعية المعاصرة ترى أن الواقع يتمتع بوجود موضوعي، ومع ذلك لا يوجد في استقلال تام عن الذات العارفة. هناك نوع من الارتباط بين الذات العارفة وموضوعها. فإذا كانت الذات العارفة تتعامل مع موضوعها باعتباره معطى، فإنها لا تكتفي بالنظر إليه من الخارج، بل تعيد بناءه وفقا لمقولاتها. وهكذا يصبح الواقع في نظر العلماء، موضوعيا وعقليا في نفس الوقت.

ويدل مفهوم الحقيقة من وجهة النظر هذه على البناء العقلي للواقع. وهذا البناء هو بناء منفتح وليس نهائي، ينمو ويتطور، مما يدل على أن الحقيقة نسبية جدا، وأنه من المستحيل الحديث عن حقيقة نهائية. ومعنى ذلك أيضا أن البحث عن الحقيقة هو بحث مستمر لا يتوقف.لا أحد يملك الحقيقة، إذن، الجميع يبحث عنها.والى جانب كل هذه التفسيرات يقدم لنا **وليام جيمس(William Jame) في** تحليله لمشكلة العلاقة بين الحقيقة والاعتقاد تفسيرا جديدا،وهذا التفسير بذاته هو الذي حفزنا على تبنيه موضوعا لبحثنا وسوف نتعرض اليه لاحقا.

وهذاما تعبرعنه إشكالية بحثنا في صيغتها التالية:**إذا كان الإعتقاد والحقيقة عند وليام جيمس ليس شيئان مختلفان،بل هما شيئ واحد ،بمعنى أن نعتقدهذا أن نصل إلى الحقيقة ، وأن نعمل وفقهاوياترى ما العلاقة بين الإعتقاد والحقيقة عند وليام جيمس ؟ وهل الحق ما اعتقده حقا، والبطل ما اعتقده بطلا.أي هل الحق ما هو عندي أنا حق، وما الباطل إلا الأمر الذي اعتبره عندي بطلا.** ؟ وهل إن تحديد المعتقدات أو تبرير التمسك بها, يفرض **أخذنافي عين الاعتبار النتائج العملية المترتبة على الإيمان بهذه المعتقدات ذاتها ؟ وهل الحقيقة عند وليام جيمس منفصلة ومستقلة استقلالية تامة عن الإعتقاد أم أنها مرتبطة بها ارتباطا يصعب فصله ؟ وإذا كانت ظرتنا إلى الإعتقاد ووصفه بالصحة إذا ماتقدم بنا إلى تحقيق الغرض المنشود ووصفه بأنه خاطئ إذا فشل في ذلك .فهل يعني أن نجاح الاعتقاد ثبوت صحته بالخبرة وفشله هو ثبوت خطئه بالخبرة العملية ؟ وإذا سلمنا بأن فكرة أو معتقدا صحيحا فما الفرق الملموس الذي يحدثه كونه صحيحا في الحياة اليومية لأي شخص؟ وما هي الخبرات التي ستكون مختلفة عن تلك التي تحدث إذا كان المعتقد زائفا وباطلا ؟ وهل يوجد أي اثر عملي في سلوكك نتيجة إعتقادك بصدق قضية ما يختلف عن سلوكك نتيجة اعتقادك بكذبها ؟ فإذا كانت مهمة الفلسفة برمتها ينبغي أن تتركز في الفرق بين النتائج فيا ترى مالفرق المحدد الذي سيحدث لنا من لحظات محددة من حياتنا إذا كان هذا التفسير للعالم أو ذاك هو التفسير الصحيح ؟**

وإذا لم يكن هناك فرق في النتائج بين كون الفكرة الصحيحة وبين كونها باطلة فتكون زائفة ؟وإذا كانت البراجماتية تنطلق في عمومها من المحسوس والمادي عبر التجربة للوصول إلى نتائج تعود بالنفع على الإنسان فهل الحق ما هو إلا الشيء الذي يقودنا إلى النتائج العملية الفعالة أو النافعة.؟ هل يجعل جيمس من الحقيقة : حقنا في الإستمرار في الإعتقاد بما ينفعنا؟ وهل أهم خاصية للحقيقة عنده هي التحقق العملي؟. و لقد

اعتمدنا في تقديم هذا البحث على المنهج" التحليلي " القدي ، فهو يتناسب- في رأينا- مع طبيعة الموضوع, الذي يتطلب استقصاء أفكاره من مصادرها الأصلية ,ثم تحليلها وتوضيحها والتعليق عليها بالاعتماد على ماورد في المراجع والدراسات والمقاربات الفلسفية حول وليام جيمس،والسبب في ذلك أيضا أننا لا نسعى إلى عرض نظرية وليام جيمس في الاعتقاد والحقيقة فحسب،وإنما نهدف بالدرجة الأولى أيضا إلى إبراز الاتجاه السائد في تلك النظرية وتحليلها وتقييمها تقييما نقديا بقدر المستطاع كما اعتمدنا على" المنهج التاريخي "في تتبع الظروف والعوامل التي أدت إلى ظهور الفلسفة البرجماتيةفي المجتمع الأمريكي، مع الأخذ في الاعتبار أننا قد لجأنا في بعض الأحيان إلى المنهج المقارن، كلما اقتضى الأمر ذلك.

ويعتبر"وليام جيمس" في نظر الأوساط السيكولوجية علما من أعلام علم النفس الكلاسيكي والمعروف انه أيضا مازال يحتل مكانته الكبيرة من الفلسفة المعاصرة وبين الفلاسفة المعاصرين ولا يزل الرائد الأول لجانب من الحركة الفلسفية في انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية.بل ولا زال نقطة الإرتكاز التي بدأ منها وبنى عليها الفلاسفة الأمريكيالن المعاصرون أبحاثهم الجديدة في الواقعية الجديدة والواقعية النقدية.أما عن سر هذه المكانة الفلسفية فهو انه جمع بين الثقافات العلمية التجريبية والفلسفية النظرية والدينية والخلقية معا.

فنجاح أعماله وإنتشار فكره البراجماتي في العالم الأنجلوساكسوني زاد من دهشة وإعجاب المثقفين لكن في المقابل مازال مجهولا إلى حد ما في الثقافات الأخرى في خاصة في لدى البلدان الفرانكفونية وفي الوطن العربي والإسلامي.

أ/في الوطن العربي: في جمهورية مصر العربية بجامعة القاهرة تم انجاز رسالة ماجستير : فلسفة وليام جيمس تقديم محمود فهمي زيدان بإشراف د.زكي نجيب محمود عام1957 وفي دولة العراق بجامعة بغداد تم انجاز رسالة ماجستير:البراجماتية تقديم الطالب عبد الهادي علي بإشراف أ م .فاتنة جميل حمدي،عام 1997 ، وفي دولة الكويت بجامعة الكويت تم انجاز رسالة ماجستير:(نظرية الصدق البراجماتية عند وليام جيمس،رؤية نقدية) تقديم الطالبة : كفاح أعمر بدران ،إشراف د. عبد الله الجسمي سنة 2006

ب/في الجزائر لاتوجد أي رسالة ماجستير بحث ناقش فكر وليام جيمس في جامعة الجزائر الى حد الآن حسب معلوماتنا المتواضعة سوى دراسات قام بها الأستاذ الدكتور البخاري حمانه.

وهنالك ثلاثة أسباب رئيسة دفعتنا إلى الخوض في هذا الموضوع، السبب الأول هو عدم أفراد دراسة خاصة لموضوع مشكلة الحقيقة ومشكلة الإعتقاد لدى الفلاسفة البراجماتيين، ولأن هنالك بعض الباحثين قد تناولوا هاتين المشكلتين عند جيمس ، إلا أن تناولهم هذا كان جزءً من دراسة لشخصية فلسفية، أوأن دراسة لمشكلة الحقيقة والإعتقاد كانت ضمنية فيها، مما دفعنا إلى أجراء دراسة خاصة لهاتين المشكلتين.للوصول في النهاية الى تحديد العلاقة بينهما. السبب الثاني فهو اهتمام جيمس بالحقيقة والإعتقاد فوجد أن كثيرا من مؤلفاته قد خصصت لهذا الموضوع ، لدرجة أن فلسفة جيمس كانت تنعت بأنها فلسفة ذات نزعة دينية تربط بين الإعتقاد والحقيقة.أما السبب الثالث الذي حفزني إلى البحث في هذا الموضوع،هو نتيجة سؤال كان يراودني دائماً، وهو كيف تنظر الفلسفة البراجماتية عند وليام جيمس إلى الحقيقة والإعتقاد ؟ فأن الفلسفة البراجماتية لا تؤمن إلا بما هو مادي يعتمد على الحس والتجربة، وترفض المسائل الميتافيزيقية، ولا تعطي للأفكار معنى إلا حسب النتائج المترتبة عليها، على ان تكون

هذه النتائج تدركها الحواس أولا، وعلى أن تكون نافعة في الحياة العملية، وبما أن مشكلتي الأخلاق والدين غالباً ما يقعان ضمن نطاق ما هو مجرد ومطلق ومفارق لهذا العالم المادي.

ونأمل أن نصل في بحثنا هذا الى تقديم بعض الحقائق ،حول الإعتقاد والحقيقة الكفيلة بمساعدة شعوبنا العربية والإسلامية وشعوب العالم الثالث لتصحيح المفاهيم،من أجل ترقية هياكلها ومؤسساتها.ومواكبة التطورات الحاصلة لدى الغير.

ولكن لايفوتنا في هذاالسياق ذكر الصعوبات الجمة التي إعترضتنا ، من ذلك شح المكتبات من المصادر والمراجع التي تتناول الفلسفة البراجماتية وموضوع الحقيقة الإعتقاد بصورة مباشرة وعميقة عند جيمس،ذلك أن أغلبها إن وجدت تتناول الفلسفة البراجماتية بصفة عامة في الوقت الذي لم أقف على دراسة سابقة في هذا الموضوع ، بالإضافة إلى ضيق الوقت الذي لايسمح بإنجاز بحث أكاديمي تتوفر فيه المواصفات اللازمة لذلك.

وقد إعتمدنا في تناول موضوعنا خطة عامة تتشكل من أربعة فصول إضافة الى مقدمة ، منهجية وتاريخية ،مرتبطة بنقد وتقييم وخاتمة،إضافة الى المصادر والمراجع.

وهي على النحو التالي:

الفصل الأول يدورحول تكون الفلسفة الأمريكية، بينا فيه الروافد التي أدت إلى نشأة فلسفة أمريكية الهوية، والخلفية التاريخية لميلاد البراجماتية في أمريكا من حيث جذورها الأولي في التاريخ الفلسفي،ونشأتها الأولي في أمريكا. فقد تضمن هذا الفصل على ثلاثة مباحث، اضب اهتمام المبحث الأول على الخلفية التاريخية لميلاد البراجماتية في أمريكا من حيث جذورها الأولي في التاريخ الفلسفي،ونشأتها الأولي في أمريكا.وفي المبحث الثاني من هذا الفصل فقد عرضنا لشخصية وليام جيمس«William James »، وأهم الجوانب التي نالت اهتماماً كبيراً في فلسفته، وهذه الجوانب هي علم النفس، والمذهب البراجماتي لديه، ونظرية التجريبية الأصيلة لديه،أي نتعرض إلى حياة وليام جيمس وتطور تفكيره أما المبحث الثالث فقد تناولنا فيه مدخل مفاهيمي،تم ضبط مفهومي الحقيقة والإعتقاد. وأهمية هذا الفصل تقع في انه يعطي نظرة شاملة للفلسفة البراجماتية،عند وليام جيمس مما يؤدي إلى فهم منهجه البراجماتي، وهذا يساعد بدوره على فهم موقف جيمس من مشكلتي الحقيقة والإعتقاد.

أما الفصل الثاني:تناولنا فيه الحقيقة والإعتقاد عند وليام جيمس , فالمبحث الأول تناولنا فيه مسألة الوهم وإشتباه الحقيقة، في الفلسفة والسحر وفي العلم والدين. كما إستعرضنا في مبحثه الثاني ثم عرضنا نظرية الصدق عند وليام جيمس والبراجماتيين .ثم موقفه من العقليين والتجريبيين. مع تحديد معنى الصدق وبعد ذلك تناول تطبيق المنهج على الصدق وفي المبحث الثالث تناولنا فيه مفهوم الحقيقة ومعاييرها عند وليام جيمس.وتعرضنا بالتحديد الى تعريف الحقيقة عنده مع توضيح الفرق ،من خلال تعاريف أخرى عامة وبراجماتية مع الإشارة الى(نتائج الحقيقة عنده). ثم تناولنا خصائص الحقيقة وأنواعها.وبيّنا أيضا في هذا المبحث الحقيقة والإعتقاد اليوم(مع مقارنات). كما تطرقنا فيه إلى قضية الحقيقة والواقع عند المثاليين، والماديين،والتجريبيين،وعند فيلسوفنا وليام جيمس. وأهمية هذا الفصل تقع في أنه يعطي نظرة،عن مفهوم الحقيقة الجديد ومعاييرها عند وليام جيمس من خلال نظريته في الصدق.

وفي الفصل الثالث:تطرقنا فيه إلى الإعتقاد والحياة عند وليام جيمس،حيث تناولنا في المبحث الأول الإعتقاد والعمل عند جيمس.وفيه تم تحديد العلاقة بين الإعتقاد والأخلاق من خلال فكرة الإلزام الخلقي.ومسألة التفاؤل الخلقي.ومشكلة الحرية.ثم بيّنا في المبحث الثاني الإعتقادوالدين عند وليام جيمس.من خلال توضيح حق الإعتقاد.وحقيقة الإيمان وكيفية تحقيقه.وموقف وليام جيمس من تجربة الدينية والتصوف.

وفي المبحث الثالث تناولنا فيه الباحث الإعتقاد والفلسفة والإعتقاد والعلوم عند وليام جيمس (كنموذج أخذ من العلوم "علم النفس").وأهمية هذا الفصل تتجلى كونه يعطي نظرة،عن مسألة الإعتقاد والحياة الأخلاقية والدينية عند وليام جيمس.

أما في الفصل الرابع:تناولنا فيه الإعتقاد ومستقبل الحقيقة،ففي المبحث الأول تطرقنا فيه إلى حقيقة الإعتقاد والمجتمع والسياسة.

كما تناولنا في المبحث الثاني الآثار النظرية والعملية للإعتقاد والحقيقة.

أما المبحث الثالث تناولنا فيه نظريات الإعتقاد والحقيقة بين جيمس ورموز البراجماتية.(**بيرس وديوي وورورتي**).وقد أتبعناه بتقييم ونقد تناولنا فيه مفهومي الإعتقاد والحقيقة عند وليام جيمس. وقد أنهينا البحث بخاتمة إستعرضنا فيها أهم ما إستنبطناه من نتائج من خلال تحليلينا لهذه المشكلة "الحقيقة والإعتقاد عند وليام جيمس".أي إستخلصنا فيها بعض نتائج هذه التجربة عمليا وأخلاقيا ودينيا وفكريا، وأهم ما يمكن الخروج به منها في مسيرتنا الحياتية، والحضارية.

الفصل الأول

الخلفية التاريخية لميلاد الفلسفة البراجماتية في أمريكا.

تمهيد:

المبحث الأول:الفلسفة الأمريكية،(الروافد التي أدت إلى نشأة فلسفة أمريكية الهوية.)

1- المطلب الأول: لمحة تاريخية عن تطور الفكر والمجتمع في أمريكا.

2- المطلب الثاني: تحول الفلسفة من البحث التأملي إلى الثقافة المنهجية.

3- المطلب الثالث: البراجماتية خير تعبير عن المجتمع الأمريكي.

4- المطلب الرابع: مميزات الفلسفة البراجماتية.

المبحث الثاني: وليام جيمس والفلسفة البراجماتية

1- المطلب الأول: نبذة عن حياة وسيرة وليام جيمس وفلسفته.

2- المطلب الثاني: التطور العقلي لفلسفة وليام جيمس .

3- المطلب الثالث: المنهج البراجماتي عند وليام جيمس .

4- المطلب الرابع: سبب إتجاه وليام جيمس نحو الفلسفة البراجماتية.

المبحث الثالث: شبكة المفاهيم

1- * المطلب الأول: تحديد مفهوم الإعتقاد.

2- * المطلب الثاني: تحديد مفهوم الحقيقة.

الفصل الأول : عن الخلفية التاريخية لميلاد الفلسفة البراجماتية في أمريكا.

تمهيد:

شهدت الولايات المتحدة الأمريكية،حتى منتصف القرن الماضي هوة كبيرة بين الفكر الفلسفي من ناحية،والفكر العلمي والحياة ذاتها من ناحية أخرى، ففي الوقت الذي نجد فيه الحياة في قمة فورانها قصرلدوائر فلسفية تقوم على ترديد ما ذهبت إليه المذاهب الأوروبية التقليدية، نشاهد كذلك حركة الكشوف العلمية،وذلك الفيض الهائل من الاختراعات،التي عرفته الولايات المتحدة الأمريكية في حوالي الربع الأخير من القرن التاسع عشر،وفي هذاالوسط الذي يقدس العلم والعمل ظهرت الحركة البراجماتية كثورة على الأوضاع الراهنة من جهةوكرد فعل للتيارات المثالية من جهة أخرى،فلسفة تنظر للحياة بمنظارالعلم وإكتشافاته، ونتائجه الواضحة للعيان،وليس بمنظارالتأمل الصرف فيما وراء هذا العالم،حاولت أن تربط الفلسفة بواقع وحياة الإنسان،متخذة منها وسيلة تساهم بقدرالمستطاع في تطورالمجتمع البشري،متأثرة في ذلك بنظرية التطور**" لشارلز داروين" «Charles Darwin»، (1809-1882) "وهي نظرية علمية إستطاعت أن تقلب كثيرامن القيم والمفاهيم في الحياةوالدين، وليس لها من سبيل إلى ذلك،إلا بالمحاولة الجادة لوضع قيم جديدة تساير التطور،وتستوعب روح العصرالحاضر"**. (1) ونظرا لما تحمله البراجماتية من أفكار جديدة كان لها أثرا كبيرا في تاريخ الفكر الإنساني،تمثل أعظم تمثيل في إسهامات**"وليام جيمس" «William James»(1842-1910)** ، أحد أبرزمؤسسي المذهب البراجماتي في القرن العشرين بعد**"تشارلز بيرس" «Charles Sanders Peirce»(1839-1914)** وأكثرهم نشاطا وإنتاجا، كان من الضروري الوقوف على الجانب السيكولوجي والديني من فلسفته بالتحليل والنقد،لاسيما أن هذا الموضوع لم يحظ برعاية الباحثين كما ينبغي،على حد علمنا،وكل ما نطالعه لا يعدو للأسف الشديد أن يكون تلخيص أوعرض شامل لمعنى الحقيقة في سياق فلسفته وعلاقة ذلك بالإعتقاد وقد يرجع ذلك،إلى صعوبة أسلوب فيلسوفنا في عرضه لأفكاره،وقد تكون تلك الصعوبة الكامنة في طريقة معالجته للمشكلات الفلسفية المختلفة،هي المبرر الذي من أجله تعرضت فلسفته لسوء الفهم من قبل العديد من الباحثين والنقاد، رغم تلك الصعوبة التي يمتاز بها أسلوبه في بعض الأحيان إلا أنه يتسم بالجدية والتكشف التلقائي.

---

(1)- H, Frederrack, the works of William James,Essays in philosophy. Harvard unive.press.1978 p262.

المبحث الاول:الفلسفة الأمريكية (الروافد التي أدت إلى نشأة فلسفة أمريكية الهوية)

أولا: المطلب الأول: لمحة تاريخية عن تطور الفكروالمجتمع في أمريكا:

إنَ الحديث عن البراجماتية هو في نفس الوقت،حديث عن الفلسفة الأمريكية ،وهذا يقتضي منا،الدخول إلى تلك الفلسفة من منابعها التاريخية الأولى.

إنَ المناخ الإجتماعي الذي نشأ وإزدهر في ظله التفكير الفلسفي في أمريكا فريدا في التاريخ الإنساني، على سطح هذه القارة توافدت جماعات مختلفة من أصقاع العالم،حاملة معها بذور ثقافات وافدة من أقصى الأقاليم ،ومن أبعد العصور،سرعان ما أنصهرت مشكلة من هذه الخامات المستوردة نسيجا من الفكر الأمريكي مميزا.تم إكتشاف أمريكا عام **1492م**،على يد**" كريستوف كولومبس" Christophorus Columbus(1506 – 1451)** في عصرفجرالنهضة الأوروبية،وبداية تحلل المجتمع الطبقي الإقطاعي،وماواكبه من تحولات سياسية وإقتصادية وحروب وإضطهادات دينية أدت إلى نشوء تيارمن الهجرة،نحو العالم الجديد الذي أصبح يمثل أحدالمعالم البارزة في ذلك العصر.غيرأن تاريخ الإستيطان الأوربي لأمريكا الشمالية-الذي بدا إنجليزيا وتنوع بعد ذلك(2) كان في أفريل عام**1605م**،ولم تكن دوافع الأوربيين الذين هاجروإلى أمريكاواحدة،كما لم تكن إنتماءاتهم القوميةوطبقاتهم الإجتماعية أوالمذهبية واحدة.فقد هاجرالبعض طلبا للعيش بعدأن ضاقت بهم سبل الحياة، إثرالتطورات الإقتصادية التي أحدثها الإنبعاث الأوروبي،وتطور النشاط التجاري الأوربي،وهاجر البعض الآخر نزوعا نحو الحرية الكاملة، وهروبا من ظلم المجتمع الإقطاعي،وكان هؤلاء من الكثرة في المراحل الأولى من الإستعمار، كما هاجر أخرون خوفا من الإضطهاد الديني،وكان هؤلاء إما فئة من المتدينين الذين شدَ هم الحنين إلى العقائد المتطهرة***PURITANISM**(3)،كمايتصورونها،أومن دعاة المذهب العقلي المتأثرين بأفكارالإنبعاث، بعدإحياء المعارف اليونانية،وكان بعض المهاجرين من المستعمرين،الذين أرسلتهم الدول الأوروبية المتصارعة لتثبيت نفوذها في العالم الجديد، هذا بالإضافة إلى وفود المغامرين ذوي العزائم القوية، دون أن ننسى البعثات التبشيرية الإسبانية،والحكومات المقدسة البيورتانية وأصحاب المذاهب اللاهوتية والطوائف البروتستانتية وشريعة اليهود ونبوءاتهم.كل هذه التيارات،ساهمت في بلورة ونسيج الفكر الأمريكي، ورغم إختلاف دوافعهم ومشاربهم،وجدوا أرضا بكرا واسعة، تنطوي على إمكانيات لتكوين مجتمع على النمط الذي ينشدونه،وقدشدَ هم حب العمل وروح المغامرة والبحث،من أجل تسخير الطبيعة لصالحهم، مما كان له أعمق الأثر في تكوين السمات المميزة

---

(2) نفنز ألن ، ستيل كومجر هنري :تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة مصطفى عامر،مكتبة مصر، دط ت ص12

(3) البيوريتانية ويدعى مذهب التطهير، من بين الحركات الدينية المتحررة التي ظهرت في بريطانيا في القرن السابع عشر، كرد فعل ضد سيطرة الكنيسة، وكل ضروب الفساد والتحلل الأخلاقي، وإلى هذا المذهب كان ينتمي جون لوك .المرجع :الشيباني عمر محمد التومي ، تطور النظريات والأفكار التربوية، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس ط2 ،سنة1977. ص148 .

للفكر والمجتمع الأمريكي،هذا الذي أورثوه، للأجيال المتأخرة من جرأة وإقدام وإعتماد على النفس، ومحبة الكشف وروح المغامرة وإستخدام العقل وإحترام العمل وإعتبار النجاح المادي،دليلا على صحة السبيل وأفضله.وهكذا إنقلبت تيارات الفكرالأوربي المختلفة،الوافدة إلى القارة الجديدة ألوانا وأساليب الحياة الأوربية القديمة،وما كان يعجبه العقل الأوربي من معتقدات وقيم ثقافية ومظاهر الحركة والتمرد والإنبعاث،نتيجة أحداث هزت الحياة الأوربية.**(4)** يمكن حصرها فيما يلي:

1-حركة النهضة التي قامت في إيطاليا في بداية القرن الخامس عشروأثرت في جميع أنحاء العالم.

2-الإنقلاب العلمي الذي بدأ عندما أجرى" **كوبرنيكوس(5) COPERNICUS(1473-1543)** بحوثه عن النظام الشمسي،والذي وصل إلى قمته بصدور كتاب **"إسحاق نيوتن Isaac Newton " (1642-1727)**(المبادئ الرياضية للفلسفات الطبيعية).

3-الثورة الصناعية التي بدأت في القرن السابع عشر.

4-الثورة الفرنسية كعلامة على تطورالمجتمعات الأوربية نحوالبورجوازية ومفاهيم الديمقراطية السياسية.

5-نظرية داروين التطورية وأثرها على مفكري هذاالعصر،خصوصا بعد صدور كتاب **"أصل الأنواع"** سنة **1859**م.

6-الفكر الشيوعي كما ظهر في كتاب **كارل ماركس(رأس المال)** سنة**1867**م والتطورات التي لحقت بالفكر الإشتراكي بعد ذلك.وكان من الطبيعي أن تتفاعل هذه الأفكارالأوربية مع ظروف البيئة الأمريكية الجديدة، مما أدى إلى خلق فكر جديد متسق مع التطورات السياسية والاقتصادية في المجتمع الجديد، تبلور في صورة مذاهب فلسفية متميزة عن الأصول الفكرية الأولى،خاصة بعد أن إستقرت المعالم الرئيسة للمجتمع الأمريكي على إثرالحرب الأهلية وإعلان الإستقلال عن إنجلتراعام**1776**.(6) وكان الفكر الأمريكي في العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر سياسيا،يتمحور حول حقوق الأفراد الطبيعية،التي على أساسها أقيمت السياسة والحكم،وحتى العقائد الدينية،إذ كان الأغلبية من الأمريكيين من البروتستانت المتزمتين(البيوريتان)وهؤلاء يرفعون من شأن إرادة الفرد،في أن يفكرأويعمل حر، وأن يحتفظ بثمرة عمله،وهذا الذي جاءت فلسفة التنويرمؤيدة له،إذ جعلت أساس المجتمع تعاقدا بين أعضائه، ولكل فرد حقوقه الطبيعية في الحياة وفي الحرية،وهي حقوق فطرية،لم يهبها أحد لأحد.(7)

---

(4) أميمة محمد الشوا ف :الناحية الخلقية في فلسفة وليام جيمس(رسالة ماجستير غيرمنشورة)، كلية آداب القاهرة.،مصر قسم الفلسفة 1973ص 3،2

(5)*كريستوف كولومبوس (1451-1506م) رحالة إيطالي مشهور،ينسب إليه اكتشاف العالم الجديد(أمريكا) .ولد في مدينة جنوة في إيطاليا ودرس في جامعة بافيا الرياضيات والعلوم الطبيعية وربما الفلك أيضاً. عبر المحيط الأطلسي ووصل الجزر الكاريبية في 12 أكتوبر 1492م لكن اكتشافه لأرض القارة الأمريكية الشمالية كان في رحلته الثانية عام 1498 م .بعض الآثار تدل على وجود اتصال بين القارة الأوروبية والأمريكية حتى قبل إكتشاف كولومبوس لتلك الأرض بوقت طويل . من شخصيته وحي اسم بلد : كولومبيا.

(6)- ألن نفنز وآخرون :تاريخ الولايات المتحدة .مرجع سبق ذكره، ص31، 38

(7) - محمود، زكي نجيب :حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق .القاهرة، مصر ،طبعة 1983 ،ص6.

ثانيا : المطلب الثاني: تحول الفلسفة من البحث التأملي إلى الثقافة المنـهجية:

لقد حولت الفلسفة إهتمامها في النصف الأخير من القرن التاسع عشرمن البحث التأملي إلى الثقافة المنهجية وبصيغة أوضح؛ فإن تاريخ الفلسفة الأمريكية إتجه في تلك الفترة إلى حجرات الدراسة، وقاعات المناقشات والندوات، وكان من أكبر أساتذة الفلسفة في تلك الفترة **"مارك هوبكنز"** الذي نشر كتابا سنة **1862** م في علم الأخلاق حاول فيه الوصول إلى لاهوت عقلي من خلال تحليله للطبيعة البشرية.حينها غدت الفلسفة قسما مستقلا في الكليات والجامعات بعد أن كانت من قبل عنصرا متضمنا في مذاهب الفكر الرئيسة اللاهوتية والسياسية والإقتصادية،لأنه حتى سنة **1810**م لم تكن هناك تعاليم مخصصة تحمل إسم "فلسفة" (اللاهوت والعلم والسياسة.....) كانت جميعها فلسفية،وكان هناك تقسيم وتمييز بين الفلسفة الطبيعية والفلسفة الأخلاقية، يشبه التقسيم الحاصل اليوم بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية.ونتيجة لهذا بدأت تظهر المذاهب الأمريكية في الفلسفة،(8) ومن هنا نلاحظ كيف فقدت الفلسفةإرتباطها بالثقافة العامة للمجتمع الأمريكي وأصبحت مجرد مقررات في مناهج الدراسة الأكاديمية وفي نفس الوقت إنفصل الدين عن الأخلاق،حين فقد رجال اللاهوت إهتمامهم التأملي والفلسفي،وإكتفوا بتهذيب مذاهبهم من أجل الحفاظ على الإيمان.وكانت المدارس الألمانية المثالية بصفة عامة هي أولى المدارس التي إكتسبت تعبيرا منهجيا في الحياة الأمريكية،(9) محاولة إقامة مجموعة أخرى من العقائد تتفق مع المنطق العقلي ومع العلم ومع شهادة الحواس لذا إعتمدت الحدس أي العيان العقلي المباشركوسيلة للإتصال بين الإنسان وربه فعن طريق هذا الحدس يجاوزالإنسان حدود الطبيعةالمحسوسة وحدود العقل وشروطه ،بل حدود الكنائس ونظامها يجاوز كل ذلك إلى الحق الكائن ورائها،وبهذا تكون الطبيعة ونظامها من شأن العلم وأدواته منعقل وحواس ،أمام إ وراء الطبيعة وهوالحق المطلق من قيود الزمان والمكان،فيكون من شأن الدين وأدواته في الإدراك هي الحدس.(10) وإذا نظرنا إلى المثالية الفلسفية من وجهة نظر الإصلاح الديني، لوجدناها أداة نافعة، فالمثاليون كالتجريبيين من قبلهم متفقون، على ضرورة تحطيم قيود الكنيسة المفروضة عليهم،وتحرير أنفسهم من الإعتيادية الساذجة.لأنه إذا كان في مستطاع الإنسان بحكم طبيعته أن يحدس الله حدسامباشرا،بإعتبار أن الإدراك الحدسي هو مدار المثالية،فما جدوى الكنيسة ونظامها ورجالها لسلامة العقيدة؟.كذلك إذا نظرنا إلى المثالية من زاوية السياسة،لوجدناها تخدم الديمقراطية في أغراضها ،إذا كان الناس سواسية في القدرة على إستخدام الحدس المباشرلإدراك الله، فهم من الوجهة

---

(8) شنيدر هربرت: "تاريخ الفلسفة الأمريكية".ترجمة: محمد فتحي الشنيطي،القاهرة: مصر. (1964) ص195 .
(9) - المرجع نفسه، ص292
(10) - محمود زكي نجيب:حياة الفكر في العالم الجديد، مرجع سبق ذكره، ص49.

الروحانية سواسية، وبالتالي فهم من الوجهة السياسية سواسية كذالك.وقد تمثلت هذه المثالية عند الكثير من المفكرين من بينهم **"رالف والدوإمرسن"**(11) **Ralf Waldo Emerson(1803-1882)** و**"هنري دافيد ثورو**(12)**"Henry David Thoro(1817-1862) وبوردن باركنر باون Bawen Bardon Parknerو"جوزيا رويس"**(13)**Josioh royce (1816-1855)**، بعدأن مثلها في الفترا الأولى، هواة من الشعراء،من أمثال" **كولريدج Samual,Coleridge (1772-1834)"*و"برادلي" *** **Bradley** و**"جرين*Green** في إنجلترا،و**"باون** "و"**رويس** "في الولايات المتحدة ،وكلهم

إيمان بأن هذه المثالية قوة لإصلاح الأخلاق الأمريكية والدين، وأستطاعوا أن يبثوا هذه الأفكار في تلاميذهم وخلقوا بذلك مصدرا للطاقة الروحية المستقلة عن الكنائس.لقد كان معظمهم يعتقدون بوجود الله ، ولكنهم قصدوا الإقتراب من الله، من خلال الفكر، أكثر منه من خلال العبادة، فنموا بذلك الروح العلمانية.**(14)** وهكذا لم تكن الفلسفة الأمريكية تهتم في نهاية القرن التاسع عشر،إلا قليلا بالمذهب التجريبي ولا تكاد تهتم على الإطلاق بالمذهب الواقعي ،بينما كانت الفلسفة العقلية الإبستيمولوجية**(15)** أوالأنطولوجية ،مزدهرة في كل مكان إلى أن تعرضت لهجوم من جبهتين،جبهة الفلسفة الواقعية **(16)** وجبهة الفلسفة البراجماتية**(17)**،وإستمر الصراع بينهما لعقود عدة في القرن العشرين،عبر القاعات الجامعية، وكان لتحول**"وليام جيمس"**الفكري أثره الفعال في هذا الهجوم**".(18)**

---

(11)*إمرسن رالف والدو:(Ralf Waldo Emerson)(1803-1882)شاعر أمريكي وكاتب مقالات ومُحاضِر، يُعتبر رأس الحركة المتسامية في الأدب الأمريكي أوائل القرن التاسع عشر. وُلد في 25 ماي 1803 وتُوفي في 27 افريل 1882. تمكن من الانضمام إلى جامعة هارفارد، ليتم دراسته الدينية التي أهلته ليصبح قساً، ونتيجة لشكوكه الدينية التي أعقبت وفاة زوجته في 1831، وشعوره بأنه لم يعد مؤمناً كما ينبغي،إستقال إيمرسون من منصبه الكنسي في 1832.

(12)*هنري دافيد ثورو:Henry David Thoro (1817-1862)، مؤلف أمريكيمثالي، طبيعي، مقاوم للضرائب، ناقد للتقدم، وفيلسوف. وُلد في 12يوليو 1817 وتوفي في 6 مايو 1862 عُرف بسبب عمله والدن .تخرج في كلية هارفرد 1837 التي كان تخرج فيها صديقه ورفيق دربه الكاتب الأمريكي إمرسون الذي تعرف منه على الفلسفة المتعالية ذات النزعة التصوفية الفردية.إلى جانب كتابه حياة الغابات،"أسبوع فوق نهري الكونكورد وميرماك 1849.

(13)*جوزيا رويس: Josioh Royce (1816-1855) فيلسوف أمريكي معاصر، ولد عام 1855 وتوفي عام 1916، من الهيجليين الجدد، ومن ممثلي المثالية المطلقة، من أهم مؤلفاته: الجانب الديني للفلسفة نشره عام 1885، وروح الفلسفة الحديثة نشره عام 1889، والعالم والفرد نشره عام 1901، وفلسفة الولاء نشره عام 1908، ومشكلة المسيحية نشره عام 1913.كان أستاذا محاضرا في جامعة (هارفارد) الأمريكية، ومادة كتاب فلسفة الولاء هي مجموعة محاضرات ألقاها أمام مجموعة من الأكاديميين في جامعة هارفارد وجامعة (ألينوي) تحت عنوان (مقدمة في الأخلاق وعلاقتها باهتمامات المدرسين).

(14)- محمود زكي نجيب:حياة الفكر في العالم الجديد ، مرجع سبق ذكره، ص297

(15) - الإبستيمولوجيا لفظ مركب من لفظين:أحدهما ابستيمي وهو العلم، والأخر لوغوس ويعني النظرية أو الدراسة، فمعنى الإبستيمولوجيا إذن نظرية العلم، أو فلسفة العلوم، تعني دراسة مبادئ العلوم، وفرضياتها، ونتائجها،دراسة نقدية توصل إلى إبراز أصلها المنطقي، وقيمتها الموضوعية، ومع ذلك فإن اصطلاح الابستيمولوجيا في الانجليزية مرادف لنظرية المعرفة ، أما في اللغة الفرنسية فهو مختلف عنه لأن معظم الفلاسفة الفرنسيين لا يطلقونه إلا على فلسفة العلوم وتاريخه (صليبا جميل :المعجم الفلسفي ج1 ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،لبنان ،دط سنة 1982 ص32

(16) - كان أن ظهرت جماعة من الواقعيين الجدد مبدأهم نظرية تحقق المعنى :ألف ستة منهم سنة 1910 جماعة لشرح نوع جديد من الفلسفة الواقعية تقوم على أهمية أن يحذو الفلاسفة حذو العلماء في عزل المشكلات، وفي محاولة حلها واحدة تلو الأخرى،
وهم في الغالب ينتمون إلى الوضعية المنطقية، ويقتبسون أفكارهم من"مور"و"فتجنشتين" ،المرجع فلسفة القرن العشرين:مقال :قصة الواقعية الأمريكية،بقلم، وليام،ب. منتاجو .ترجمة نوية عثمان مؤسسة سجل العرب 1963 ص204 -205

(17) - البراجماتية وهي مذهب فلسفي -إسم مشتق من اللفظ (pragma) براغما ومعناه العمل، (البعلبكي، منير: المورد، بيروت، دار العلم للملايين،دط، 1977، ص107. وهي مذهب فلسفي يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة،وتعني مزاولة (صليبا جميل: المعجم الفلسفي ج1،مرجع سبق ذكره،ص203).

(18)- فقد تحول وليام جيمس من المثالية منذ عام 1904.(إسلام عزمي):إتجاهات الفلسفة المعاصرة،داروكالة المطبوعات،الكويت،.دت ط.ص32

ثالثا : المطلب الثالث: البرجماتية خير تعبير عن المجتمع الأمريكي:

ظهرت الفلسفة البراجماتية كتعبير عن شعور عام ، ليس فقط في كونها نوع من التفكير الفلسفي المتخصص،بل أيضا لأن نهج البراجماتية الأساس الرامي إلى الأفكار كأدوات، متسق تمام الإتساق مع طبيعة المغامرين من المهاجرين الذين قدموا للقارة الأمريكية،وحملوا معها مفاهيم عديدة منها، مفاهيم إقتصادية عن التجارة بأبعادها السياسية والإجتماعية وعن التخصص في العمل والإنتاج الضخم والنفوذ كوسيلة للحياة الكاملة، ومفاهيم عقلية عن العلم وتطبيقاته وعن التغييرالمستمر،فبعد أن كانت الثقافة الأمريكية سنة **1890** زراعية،أخذت تتجه نحوالتصنيع،وكانت الكنيسة مسيطرة فأخذوايتحررون من جمودها تدريجيا وأخذت الثقافات العديدة الأوروبية الوافدة تندمج وتتحد لتعبر في النهاية عن روح العصر العلمية وعن مبدأ التطور، لتتمثل في النهاية في الأفكار التي قدمها المفكر" **تشارلز ساندرس بيرس" Charles Sanders Peirce" (1839-1914) و"وليام جيمس «William James »** **(1842-1910 م)** و"**جون ديوي"John Dewey (1859-1952)** والتي عرفت "بالبراجماتية"، ولأن الأخيرة إنعكاس لبيئتها فإنها تحرص على التمسك بالعلم كطريق ضروري للحياة الحاضرة وتنكر ماعداه لهذا فإن رائد البراجماتية" **بيرس"**يصرح:**بأن الفكر في عصرنا هذا العلمي العملي.لم يعد بحاجة إلى السكون والظلام اللذين كان يستعين بهما فيما مضى،بل أصبحت حياته مرتبطة بتجارب المعامل التي تقام في وضح النهار".**(19) وأضحت الولايات المتحدة مهد البراجماتية أشبه بترسانة بشرية هائلة فالكل يفكروالكل يعمل في نفس الوقت لاإنفصال بين الفكروالعمل،العالم يفكر في تطوير نظريته، فيقوم إلى المعمل ويختبرالإحتمالات التي وضعها،والعامل يقف أمام الآلة ولايتردد في إضافة بعض التحسينات من واقع خبرته الطويلة بالعمل.هكذا كانت طبيعة الحياة الأمريكية التي رافقت التقدم العلمي وتطبيقاته، حيث لايمكن حبس العالم في صومعة ليخرج بنظريات من نتاج العقل وحده ،ولا يمكن عزل العمل اليدوي من أي فكر.

---

(19)- charles Hartshorne and paul weiss (eds) "pragmatism and pragmaticism" vol/collected papers of c/s/peirce/Cambridge: Harvard university press 1934 p 280.

***صموئيل تَيلر كولردج Samuel Taylor Coleridge،(1772 –1834)هو أحد أبرز وجوه الحياة الثقافية الإنكليزية في الحقبة الإبداعية (الرومنسية)، وأحد أهم منظّريها. وتعد بعض مؤلفاته - مثل قصيدة «البحار العجوز» التي إستهل بها ديوان «قصائد غنائية»، من أهم إنجازات تلك المرحلة.**

*** توماس هيل جرين:Thomas Hill Green ولد في7 أفريل 1836 ،وتوفي في 26مارس 1882 فيلسوف إنجليزي وسياسي اصلاحي راديكالي ، وهوعضو في الحركة المثالية البريطانية.من مؤلفاته: "المجتمع الصالح العام" ،"تطور الفكر الليبرالي الديمقراطي"، "تاريخ الفكر السياسي".**

***برادلي، فرانسيس هربرت:,Francis Herbert Bradley(1846 -1924)فيلسوف مثالي بريطاني.وُلد في جلاسبري، في ويلز ببريطانيا ،أعطى مؤلفه الرئيسي المظهر والواقع 1893م، الخطوط الأولى لفكرة الواقع (الحقيقة) على أنه كائن فوقي أو مطلق. اعتقد برادلي أن أحسن مايوصف به الواقع هو أنه وحدة متناسقة حيث تتلاشى التناقضات في التجربة الشخصية. إنها لاتدرك بالتحليل العقلي ولكن بالتناظر، كما يصعب تمييزها عن التجربة الإنسانية. إن ترجمة برادلي للمثالية المطلقة هي تبنيه الجدلي لفلسفة الفيلسوف الألماني ج. و. ف. هيجل.**

رابعا: المطلب الرابع: مميزات الفلسفة البرجماتية

لابد من التمييز بين البراجماتية وغيرها من الفلسفات،حتى تظهر الإضافة التي وضعتها في شكلها الخالص،ويمكن البدء بالتفرقة بين السابقين والبراجماتيين.فقد شغل الفلاسفة السابقون أنفسهم بمسائل لاتمت بصلة للواقع كتلك التي تبحث في طبيعة الروح وهل هي خالدة أم فانية ؟وغيرها من الموضوعات التي كانت مثار جدل وإهتمام من الفلاسفة السابقين،وهم يستندون في ذ لك على الأفكارالراسخة التي توارثوها من السلف،الأمرالذي عزلهم عن الحياة العادية للناس، بسبب زعمها بأنها تعتمد على التعليلات القبلية (السابقة على التجربة) وعلى المبادئ الثابتة وعلى المطلق فجاءت البراجماتية معارضة كل هذه المسائل،فهي لا تلتزم بالعادات الراسخة وتبتعد عن ضروب التجريد والحلول الكلامية والمبادئ الثابتة والمطلق،وفي مقابل ذلك تولي إهتمامها شطرالمحسوسية والوقائع والحقائق،شطرالعمل والأداء والمزاولةوالقوة.(20) أما

الفرق بينها وبين التجريبية الإنجليزية(21)،فإن الأخيرة تعتمد كلية على نتائج الخبرة الحسية أو التجربة كما تعكسها الحواس وتؤمن بالحقائق العملية القائمة على الملاحظة والتجريب،وذلك علاوة على أنها تعتبرالنتائج العملية على أنها معيارفي التمييز بين ماهوصحيح وماهوزائف،وهي بهذا الوصف تقترب كثيرا من البراجماتية في كثير من الوجوه غير أن التجربية التقليدية تطبق هذه المبادئ على مجالي العلم والأخلاق فقط، بينما البراجماتية عممت هذا المعنى على ميادين الفكرعموما. والفارق الثاني بينهما الفيلسوف التجريبي ينظر إلى الماضي بينما البراجماتي ينظر إلى المستقبل،فالأول يريد إرجاع الفكرة إلى أصولها بينما الثاني ينظر إلى النتائج العملية،أحدهما لا تعنيه سوى المقدمات التي منها بنيت الفكرة، بينما الأخر لا يعنيه سوى الثمرات والنتائج والآثاروالوقائع والحقائق،التي ستؤدي إليها الفكرة.وهذا الإهتمام الذي توليه البراجماتية للعواقب والثمرات والنتائج هوالمحورالمشترك الذي يدور حوله كل فكر رواد البراجماتية (**بيرس،جيمس،ديوي**)،غيرأن هناك بعض الفروق الطفيفة التي تتعلق بتفسير معنى الإصطلاح عند كل منهم نشير إليه بإيجاز.فالبراجماتية كما يفهمها**" بيرس"**،عبارة عن قاعدة للتفكير،من شانها توضيح معاني التصورات الذهنية بالرجوع إلى أثارها الحسية،حيث يقول: "**إن تصورنا لموضوع ما،هو تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من أثارعملية لا أكثر."**(22)

---

(20)- جيمس وليام :"البرجماتية"،ترجمة د .محمد علي العريان،القاهرة دارالنهضة العربية 1965 ص71

(21)- التجريبية الإنجليزية تعتبر نقيض المذهب العقلي، فهي تنكر وجود المبادئ الأولية الخاصة بالعقل وتقر بالتجربة المصدر الوحيد للمعرفة، من مؤسسها هوبز، وهيوم ولوك ومل. (حنفي عبد المنعم ، المعجم الشامل،المصطلحات الفلسفية، مكتبة مدبولي، القاهرة،جمهورية مصرالعربية، ط3 ،2000م. بتصرف -ص46)

(22)- جيمس وليام" البرجماتية"، مصدر سبق ذكره.ص76

أما عند**"جيمس"** فهي ليست منهجا من مناهج التفكير بل إمتدت لتشمل الدين أيضا،وهي عنده طريقة لقياس صدق القضايا المختلفة بالرجوع إلى النتائج العملية العائدة منها.أما**"جون ديوي" فيرى أن البراجماتية كإتجاه بمثابة" عادة معملية" لا تقتصر على البحث في ميدان التفكير فقط أوالفن، أوالأخلاق،وإنما تمتد لتشمل كل ميدان في وسع الباحث أن يصل إليه، ويخرج بنتائج ناجحة،**(23) ذلك ما سوف نتعرف عليه أكثر من خلال بحثنا في جانب من فكر**"وليام جيمس"** بإعتباره أحد ممثليها . وبعد عرضنا في هذا المبحث لتطور الفكر والمجتمع في أمريكا وكيف تحول إلى البراجماتية، سوف ننتقل في المبحث الثاني إلى عرض نبذة عن حياة**"وليام جيمس"**والأسس الفلسفية لديه،حتى يكتمل لهذا الإطار التاريخي التأصيل الفلسفي المطلوب.

وتعتبرالبراجماتية فلسفة علمية:يقول أحد العلماء«**الإبداعات التكنولوجية تمربثلاث مراحل مترابطة على شكل دائرة بحيث تقوي كل مرحلة منها المرحلتين الأخيرتين وهذه المراحل هي وجود الفكرة وإمكان تطبيق هذه الفكرةعملياً وإنتشارالفكرة والتطبيق**»(24).

---

(23) -الشنيطي محمد فتحي: " وليام جيمس" مكتبة القاهرة الحديثة دط،سنة 1975 ، ص71

(24) حبيب، محمد: الإنسان صانع التكنولوجيا، نقلاً عن كتاب (المعرفة التكنولوجيا)، المغرب، سلسلة الدورات 1993/12/15، ص91.

المبحث الثاني:وليام جيمس والفلسفة البراجماتية.

1- المطلب الأول: نبذة عن حياة وليام جيمس وفلسفته:

«ولد **وليام جيمس**«**William James**» في 11 جانفي سنة 1842 بنيويورك،وكان أكبر إخوته الخمسة، كان لأبيه هنري جيمس**Henry James**(25) أثركبير في تنشئته، حيث كان متدينا من أتباع كالفن» أبرزشيء يلاحظ في تاريخ حياة وليام جيمس هوكثرة الأسفاروالرحلات مما أثر في شخصيته ومما يدل أيضا على أن تعليمه لم يكن منظما بل تنقل بين كليات عديدة، ويقال أن أول رحلة كانت لجيمس كان عمره سنتان». بدأت حياة وليام جيمس العلمية سنة 1861 حين دخل مدرسة لورنس العلمية **Laurence Scientific School** قسم الكيمياء بجامعةهارفارد، كان سنه أنذاك تسعةعشرسنة،وبعدها انتقل في السنة التالية نحو قسم التشريح وعلم وظائف أعضاء الجسم.وفي سنة 1867 عين**"وليام جيمس"** طبيبا بالمستشفى العام «لمساتشوستش»،غير أنه شعربعض الأمراض فلازمه الأرق والأوجاع في ظهره وإنحطاط في روحه المعنوية،إستمرت معاناة جيمس حتى سنة 1870،إذ أصيب بمرض الوسوسة كماأصيب بالوهم من جراء المرض،وحامت حوله شكوك فكرية مثل عدم تخلصه من الرغبة في رد كل شيء في الإنسان إلى عوامل عضوية،وأيضا خوفه الشديد من الجبرية،ومن ألا يكون للإنسان إرادة حرة.

من حسن حظ جيمس أنه شغل وظيفة عرضهاعليه **"تشارل إليوت"***(26)**Charles Eliot-1834 1926** فكانت هذه فرصته للتخلص من وساوسه،وبعد هذه الفترة أصبح مدرسا للتاريخ الطبيعي سنة **1874**،ثم مدرس للتاريخ المقارن وفسيولوجية الحيوانات الفقرية.

وفي سنة 1876،ألقى دروسا في علم النفس الفسيولوجي حيث أسس أول معمل لعلم النفس التجريبي في الولايات المتحدة الأمريكية **(USA)** .

تزوج جيمس سنة 1878 بالآنسة أليس،بعدها زالت كل أمراضه لأن زوجته كانت تقدرميولاته العقلية والشخصية وتشاركه في أموره.بعد هذا شعر جيمس أنه خدم علم النفس بما فيه الكفاية،فكانت وجهته نحوالفلسفة وأخرج العديد من المقالات والكتب ،ومات جيمس في 26 أوت سنة1910.» (27)

---

(25)*هنري جيمسHenry James(15أفريل1843-28فيفري1916) هو مؤسس وقائد مدرسة الواقعية في الأدب الخيالي،أعماله البديعة قادت العديد من الأكاديميين إلى اعتباره أعظم أساتذة النمط القصصي. قضى معظم حياته في إنجلترا وأصبحت أعماله حديثاً للرأي العام قبل وفاته بقليل. إشتهر هنري تحديداً بسلسلة من الروايات يصور فيها التلاقي بين أمريكا وأوروبا، كما ركزت رواياته على العلاقات الشخصية، الأختيار المناسب للقوة في مثل هذه العلاقات. وإثارة التساؤلات الأخلاقية، وسيلته في الكتابة من وجهة نظر الشخصية منحت له الفرصة لاستكشاف ظاهرة الوعي والمفهوم. مما جعل إسلوبه في الكتابة يقارن بمدرسة الانطباعية في الرسم.أصر هنري جيمس على أن الكتاب في بريطانيا العظمى وأمريكا يجب أن يحظوا بأعلى درجة من الحرية للتعبير عن أرائهم للعالم،من رواياته رواية أجنحة الحمامة.

(26)*جون كالفن "Jean Calvin " (1509-1564)ولد كالفن في نويون بفرنسا، قرب كومبين عام**1509**. وكان والده محاميًا لكنيسة الرومان الكاثوليك. وقد تعلم في باريس وأورليان وبورجيس. وبعد وفاة والده عام **1531**م، درس كالفن اللغتين الإغريقية واللاتينية في جامعة باريس. وتوفي **1564**ويعد أحد الزعماء الرئيسيين للإصلاح البروتستانتي. كان تفكير كالفن ومواعظه والعديد من الكتب التي كتبها ومراسلاته وقدرته التنظيمية، قد جعلت منه شخصية مهيمنة في العملية الإصلاحية. وقد تركز نفوذه بشكل خاص في سويسرا وإنجلترا وأسكتلندا ومستعمرات أمريكا الشمالية. كانت معظم أفكار كالفن جدلية، ولم يسبق لأي مصلح نصراني آخر أن فعل ما فعله لدفع الناس إلى التفكير في المسائل الأخلاقية الاجتماعية النصرانية. ومن هذا التوجه الأخلاقي ومن أفكار لوثر، طور كالفن نمط الحكم الكنسي .وكان كالفن أول من كتب تفسيراً ودفاعا عن العقيدة الجديدة، كتبه أولا باللاتينية الفصحى ثم نقله إلى اللغة الفرنسية، أهداه أولا إلى ملك فرنسا، ثم نشره بين الناس،

(27)- زيدان، محمود فهمي :"وليام جيمس"، دارالوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية، ط 1،سنة 2005،ص 14-15

مؤلفاته وأعماله:

***كتاب** مبادئ علم النفس سنة 1890،بلغ مجموعها 1200 صفحة في مجلدين وقد إستغرق في إنجازه 12 سنة الذي أكسبه شهرة واسعة ثم توالت كتبه:موجز علم النفس**(1892)**.

- **كتاب** "إرادة الاعتقاد"ومقالات أخرى مثل «**The Will toBelieve and othe essays**»، (1897).

- وفي سنة 1901،ألقى حوالي عشرمحاضرات في جامعة أدنبرة بعنوان: « **Varietres of Religious Expérience** » أي «صنوف التجربة الدينية».

- وأما في سنة 1902 ،فقد ألقى ثمان محاضرات في معهد لوول **Lowell Institue** في بوسطن، هذه الأخيرة نشرت في سنة 1907 بعنوان براجماتزم « **Pragmatism** ».

- وفي سنة 1908 إعتزل جيمس التدريس ليتفرغ للبحث الفلسفي وألف كتاب قبل موته بعنوان « **SomeProblèmes of philosphique** » الذي نشره رالف بيري سنة 1912.

- وفي سنة 1909ألقى جيمس عدة محاضرات في كلية مانشستر في أكسفورد بعنوان «الكون المتعدد»« **Pluralistic Unity** » و"معنى الصدق" « **Mening of Truth** » في كتابه الكون المتعدد يعارض فيه وحدة الوجود. ويؤكد جيمس في كتبه الدينية أن الاعتقاد الديني صحيح لأنه ينظم حياة الناس ويبعث فيهم الطاقة.**(28)**

***"تشارل إليوت " Charles William Eliot1834 – 1926: أكاديمي أمريكي تم اختياره رئيسا من جامعة هارفارد في عام 1869 ،خدم أطول مدة رئيسا في هارفارد.وفي أوائل عام 1869،قدم إليوت أفكاره حول إصلاح التعليم العالي الأميركي في مقال من جزئين قاهرة ، و "تعليم جديد" ، في المحيط الأطلسي الشهري ، المجلة الرائدة في البلاد في الرأي" .نحن نخوض البرية ، المادية والمعنوية ،" إليوت أعلن في يحدد رؤيته للجامعة الأمريكية ، "لهذه المعركة يجب أن نكون تدريبهم وتسليحهم." المقالات صدى قوي مع رجال الأعمال الذين يسيطرون على جامعة هارفارد مؤسسة .بعد فترة قصيرة من ظهورها ، مجرد 35 سنة ، انتخب أصغر رئيس في تاريخ أقدم جامعة في البلاد. وقد اقترح إصلاح المدارس المهنية ، وتطوير الكليات البحوث ، وبصفة عامة ، ضخم توسيع نطاق المناهج الدراسية ، وخطته للتعليم الجامعي في طرق حاسم والحفاظ عليها -- وتعزيزه حتى -- الروحية والتقليدية والحرف وظائف التعليم .مرددا ايمرسون ، ويعتقد ان كل عقل الفرد قد "دستورها غريبة الخاصة ."المشكلة ، سواء من حيث النامية بشكل كامل قدرات الفرد وعلى تعظيم فائدة له الاجتماعية ، وكان ليقدم له أثناء الدراسة ممثلة بما فيه الكفاية ، وذلك "للكشف عليه ، أو على الأقل لمعلميه والآباء ، وقدراته و الأذواق " .قرار مستنير مرة واحدة ، والفرد قد متابعة كل ما من المعرفة المتخصصة فرع وجد متجانسة.**

(28)- زيدان، محمود فهمي،"وليام جيمس"، مرجع سبق ذكره،ص 14-15

2- المطلب الثاني: التطور العقلي لفلسفة وليام جيمس :

قال **وليام جيمس** «**William James**» بمنهج فلسفي أوأداة لحل المشكلات الفلسفية هوالمنهج البراجماتي ويمتاز بخاصيتين:الأولى أنه ثورة على مناهج العقليين و التأمليين قائلا إن بعض مشاكلهم ليست مشاكل بالمعنى الدقيق,وإن حلولهم للمشاكل لفظية لا قيمة لها أوغامضة لاوضوح فيها,والخاصة الثانية أنه منهج تجريبي من نوع جديد,أي يرى أن قيمة النظرية كائنة في نتائجها وأثارها على الفكرة والسلوك.ولقد قال "**وليام جيمس**"بنظرية جديدة في الصدق،ينكر فيها نظريتي المطابقة والإتساق التقليديتين ،وينكرأية معارف فطرية أوقبلية أوضرورية ثابتة ,ويرى فيها أن المعرفة مكتسبة وتجريبية وجزئية ويفسر الصدق تفسيراجديدا.ويرى رأيا جديدا في طبيعة العقل ووظيفة المعرفة,ويرى أن المعرفة ليست غاية وإنما هي وسيلة لتحقيق أغراض الإنسان النظرية منها والعملية ولجيمس نظرية جديدة يفسر بها العلاقة بين الذات والموضوع في مجال المعرفة ,إذ ينكر الثنائية الحاسمة ويعلن أن الشعور الإنساني والموضوعات الفيزيائية ليس من طبيعتين متميزتين و إنما يصدران عن منبع واحد هوالتجربة الأصيلة. وله نظرية جديدة في العلاقات يسميها النظرية الخارجية في العلاقات يهاجم بها النظرية الداخلية للعلاقات,ويثور فيها على التأمليين بقولهم بالوحدة المطلقة الضرورية بين أجزاء العالم. ويثورعلى التجريبيين في قولهم بالتعدد المطلق,ينكر**"جيمس"** العلاقة الضرورية والإنفصال المطلق بين أجزاء العالم ويصطنع موقفا وسطا بين العقليين والتجريبيين وله نظرية في تصور الإنسان للعالم يرى فيه أنه ناقص غير كامل ،ولم يتمم بعد,وإنما يحتاج لجهود إنسان فيه لكي يكون كاملا,وكماله موكول بنا وعلى عاتقنا.وله نظريات في الإنتقاد الديني يثور فيها على المسيحية الكنسية، وعلى الفلسفات اللاهوتية ,وعلى الفلسفات الترنسندنتالية وعلى الفلسفات التجريبية على السواء. يهاجم الشكاك ويعتبرهم جميعا منكرين ويدعم سلطان الوجدان والإرادة,أن لهم دورا رئيسا في إقرار الإيمان حين يفشل الذهن فيه ,ويستند في كل ذلك إلى أبحاث سيكولوجية عن التصوف وأبحاث نفسانية و تحليلات في طبيعة النفس ومدى إتصالها بأكوان غير منظورة.هذه عناوين فلسفة **"وليام جيمس" وأريد ان أبحث التيارات الفكرية المختلفة التي لولاها ما كانت فلسفة " جيمس"والمذهب البراجماتي على وجه الخصوص إلى نتيجة لها،(29) وبمعنى آخر ما هي الأطوار العقلية التي مربها"جيمس"حتى وصل إلى تكوين مذهبه ؟ أرى أن أتحدث لأجيب على السؤال عن تيارات فكرية ثلاثة كانت معارضة معاصرة لجيمس هي:الإتجاه التجريبي والإتجاه الروحي والإتجاه العقلي .(30)**

---

(29)عويضة،كامل محمد محمد: "وليام جيمس"،سلسلة اعلام من الفلاسفة دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1993، ص 16

(30) المرجع نفسه ،ص18

***الإتجاه التجريبي** :ويتناول المدرسة التجريبية الإنجليزية ونظرية التطور البيولوجية .

أ-المدرسة التجريبية الإنجليزية :سنتناول فيها كلمة عن كل من"جون لوك"**John Locke** و"**باركلي**" **Berkeley**(31) و"مل"**Mill**(32) .من الثابت أن **"وليام جيمس"** قرأ فلسفة لوك وأعجب بها إذ كان يسميه "لوك العظيم" ولم يكن مجرد تابع له ولكنه قرأه قراءة نقدية تحليلة:أخذ عنه بعض أفكاره وأنكرمنه بعضها الآخر,أخذ **جيمس** أن المعرفة تستمد أساسها من التجربة ,وأنه لاتوجد معرفة قبلية, وأن الوجود الحقيقي هووجود الجزئيات,وأن الكليات ماهي إلا تجريدات ذهنية ولا بدأن تلي الجزئيات في المرتبة وأخذ عنه أيضا فكرة أصبحت مفتاح نظريته الأساسية في الصدق البراجماتي,لقد قال "لوك"إن التجربة الجزئية إحساس جزئي في مكان معين وزمان محدد,وينبغي أن يكون الإحساس هوالحد الذي نقف عنده وتنتهي إليه.وأنكر"**جيمس**"من"لوك"ثلاثة أشياءهامة:العقل ورقة بيضاء,وعدم عبورالهوة بين الأفكاروالأشياء,ليس للكليات أهمية بالغة.

أ- **فاعلية العقل:**لم يقبل **جيمس** القول بأن العقل ورقة بيضاء **Tabula rasa** ليس به شيء فطري و أن التجربة هي التي تهبه الأفكار,ولم يرى أن العقل مجرد مستقبل للإنطباعات الحسية ,وإنما إعتقد **"جيمس"** أن العقل فاعلية وتلقائية ونشاط ذاتي في عملية المعرفة يخنق العقل أفكاره,ووظيفة التجربة أن تحقق تلك الأفكار وتؤيدها أوتنكرها.ولكن العقل يقترح والبيئة تؤيد أوتنكر,ولكن كيف يرى جيمس أن للعقل أفكارغير تجريبية وهومنكر للأفكار الفطرية.؟

جواب **"جيمس"**هوأن العقل لم يعد سرا إلهيا وجوهريا خارقا للطبيعة ,ولكنه عضو بيولوجي يخضع لقوانين الفيزياء كأي عنصر طبيعي.وأول تلك القوانين التكيف أي تكيف الكائن الحي مع البيئة الخارجية، وكان يرى **"جيمس"** أن في الإنسان ميولا وحاجات ,وأن العقل وسيلة تحقيقها في عالم التجربة لما يقدم من مقترحات تستلزم التحقيق.(33)

---

(31)*بارْكلي جورج :George Berkeley (1685-1753) فيلسوف أيرلندي ورجل دين. بنى فلسفته على فلسفة لوك، ثم جاوزه. فقد فرق لوك بين الصفات الثانوية للأشياء كاللون والطعم،والصفات الأولية كالامتداد والوزن،وجعل الأولى من صنع العقل،والثانية هي وحدها الموجودة في الأشياء، مستقلة عن العقل. فجاء باركلي ليضم النوعين في فصيلة واحدة، فجعل الصفات كافة تنشأ في العقل، فلا وجود لشيء مستقلاً عن إدراكه بالعقل :إما بالعقل الإنساني، أوبالعقل الإلهي.وإدراك العقل الإلهي للأشياء هو الذي يجعلها ذات وجود متصل،ولولم يدركها إنسان،وبهذا يصبح قوام الكون هو الله والعقول الإنسانية،ولا مادة هناك، مما يعده باركلي برهاناً يد حض الإلحاد. وأشهر مؤلفاته "رسالة في مبادئ المعرفة البشرية" (1710)، و"محاورات" (1713)، و"نظرية جديدة في الإبصار"(1709). (أنظر الى كتاب :كامل، فؤاد وآخرون :الموسوعة الفلسفية المختصرة،– دار القلم – بيروت ،لبنان.د ت ط. ص 93).

(32)*مل،جون ستيوارتJohn Stuart Mill (1806-1873) فيلسوف واقتصادي بريطاني، ولد في لندن عام 1806 م، و كان البكر لأسرة كبيرة أنجبت تسعة أولاد، وكان والده جيمس ميل أحد كبار أهل العلم والمعرفة في القرن الثامن عشر.عاش بعيدا عن تأثير التيارات الرومانتيكية الجديدة، وترك فيه بنثام و الماديون الفلاسفة الفرنسيون أثرا كبيرا. و قد أنشأ بنه جون ستيوارت في عزلة ، فنال تربية عقلانية. تعلم الإغريقية في السنة الخامسة من عمره، حيث اطلع على أعمال هيرودوت و أفلاطون ، وتعلم اللاتينية في التاسعة، و في الثانية عشرة درس أرسطو و منطق هوبز ، وفي الثالثة عشرة قرأ مبادئ ريكاردو،كان غذاؤه الفكري موجها بعناية من قبل أبيه و خليطا من العلم الطبيعي و الآداب الكلاسيكية ، و حين بلغ الرابعة عشرة، كان له من المعرفة والاطلاع ما كان لرجل في الثلاثين. لقد نشر ميل خلال أربع عشرة سنة العديد من المقالات والكتب، تناول فيها بالبحث قضايا فلسفية وسياسية واقتصادية، وكتبه هي :مباديء الاقتصاد السياسي. ونظام المنطق. وعن الحرية وأسس اللبرالية السياسية، ومؤلف استعباد النساء.

(33)-عويضة، كامل محمد محمد: "وليام جيمس"، مرجع سبق ذكره، ص 20

ب-العالم الخارجي:قال"**جيمس**"إن فلسفة "**لوك**" منصبة على الأفكارولا تلقي ضوءاعلى الوجود المادي.إن معرفتنا لفكرة ما ومعرفة علاقات المشابهة والتباين بين الأفكارلا يثبت أن تلك الأفكار تمثل وجودا خارجيا عن الذهن.إن الإدراك الحسي لا يكشف طبيعة الوجود الواقعي وإنما يكتفي بأن يقول أن لدى العقل أفكارا معينة وبهذا المعنى وصل"لوك" إلى مثالية أطاحت به إلى صف العقليين.

يرى "**جيمس**"أنه واقعي أي قئل بوجود فيزيائي مستقل ويبدواأنه لم يردأولم يستطع أن يبررالفلسفة الواقعية بأدلة دقيقة .وإذا نجده يصادرعلى وجود العالم الخارجي ويعتبرأن إدراك عالم مادي خارجي يدركه الفهم المشترك إدراكا مباشرا ،لا يحتاج إلى برهنة .

ج-الجزئيات والكليات:إن مزاج "**وليام جيمس**"مزاج تجريبي خالص وكانت تقتضيه إتجاهاته الذهنية أن يتابع لوك في مسألة الكليات وهي"الفلسفة الإسمية",ولكن جيمس كانت تجذبه تيارات أخرى في زمانه غيرالتيارات التجريبية هي التيارات الذهنية والتي كان من أبرزالمتحمسين لها"تشارلز بيرس". كان جيمس متجها نحو المحسوسات والجزئيات كارها التصورات المجردة والكليات المستقلةعن عالم الحس,ولكن إصرار "**بيرس**"على حقوق الفكر في مقابل حقوق الإحساس وجه جيمس نحوالكليات بالرغم من إحتقاره الطبيعي لها."(34) لذلك تحول "**جيمس**" عن رأي لوك في أن الجزئيات هي كل شيء,لا إلى فلسفة عقلية و إنما إلى أساس تجريبي معتدل.مازال "**جيمس**" يعتبر أن التجربة الجزئية أصل الفلسفة وأن التصورات ثانوية ,ولكنه أراد ان يخفف من تلك الهوة التي يعقدها التجريبيون بين المدرك الحسي والتصورالعقلي .

يرى"**جيمس**"أن المدرك الحسي والتصورلاينفصلان.حقا تستخلص الكليات من المدركات الحسية لكنها يمكن أن تغوص فيها وتختلط بها من جديد ويوجد حقا فرق بينهما هوأن المدركات متصلة ,وأن التصورات منفصلة.إن المدركات كالنهر الجاري المتصل وجود مباشر ينطوي على الديمومة , ولا توجد حدود بينهما ,كما أنه لاتوجد حدود في مجال الرؤية أما التصورات فهي منفصلة.وليست منفصلة في وجودها لأن فعل التصورمن تدفق الوجدان,ولكنها منفصلة بمعنى أن لكل منهما معنى مستقل ودلالة خاصة تميزه عن سائرالتصورات.ومن لا يستطيع التمييز بين تصوروآخر فإن التصورات لم تتكون بعد في ذهنه بوضوح.ثم يرى جيمس بعد هذه الملاحظة أن التصوروالمدرك متداخلان متشابكان بالرغم أنهم مختلفان:ولاينتفع الإنسان بواحد منهما دون الآخروإنما يحتاج إليهما معا كما يحتاج لرجليه ليمشي بهما معا يقول"**جيمس**"ليعلن إنفصاله عن "**لوك**" في الحط من قدرالكليات:"مثل الإنسان في العالم المحسوس كمثل السمكة في البحر,والهواء من فوق سطح هذا البحر.يعيش السمك في البحرولا حياة له بدونه,يأكل

---

(34)-عويضة كامل محمد محمد، "وليام جيمس"، مرجع سبق ذكره،ص 20

منه ويتغذى ولكنه يصعد إلى سطح البحرمن وقت لآخرليستنشق الهواء ثم يعود ثانية لبيئته المائية,وهولا يستنشق كل الهواء,بل يستخرج منه العنصر الصالح له والمفيد في حياته وهوالأكسجين،ويترك ما في الهواء من عناصرأخرى ،يستنشق الأوكسجين ثم يعود إلى عالمه ألمائي ليستعيد حياته فقد أفاده ذلك وأعانه على بقائه.مثل الإنسان مع الكليات وحاجته إليها كحاجة السمك إلى هواءالبحر,فالمجردات ضرورية من حيث أن الإنسان يفيد منها في فهم محسوس."(35)

***موقفه من فلسفة"جورج باركلي"**:لقد أعجب **"وليام جيمس"** بفلسفة بركلي وقال عنه أنه براجماتي دقيق قبل أن ينشا المذهب البراجماتي في النادي الميتافيزيقي .ولم ينس جيمس رأي بركلي في تعريف المادة والجوهرالمادي.بل إستشهد به وهو يطبق بعض المشاكل الفلسفية على المنهج البراجماتي . أشاد ببركلي حين رأى عدم وجود شيء إسمه الجوهر المادي وراء مجموعة الإدراكات الحسية , وحين إعتقد أننا لا نعرف غيرإحساساتنا باللون والشكل والصلابة وما إليها,وأن الفرق بين وجود المادة وعدم وجودها هو وجود هذه الإحساسات.وإنتهى جيمس من ذلك إلى توضيح فكرة باركلي بقوله إنَ باركلي لم ينكر وجود المادة و لكنه قال لنا مما تتركب ؟

***موقفه من فلسفة دفيد هيوم(36) (David Hume):**رأى **جيمس** – كما يرى تاريخ الفلسفة اليوم – أن هيوم وصل بالمذهب التجريبي إلى قمته.وأعجب "جيمس" به كل الإعجاب ,ولكنه لم يجد مانعا أن يثور عليه في بعض الموضع بل كان يحس أن عليه رسالة هي أن يصحح فلسفة هيوم لكي يحفظ المذهب التجريبي من الضياع فقد كانت فلسفة الشك والتشكيك مهددة بالثورة على موجة الإنكار. لقد أعجب جيمس برأي هيوم في العلية وأستغله في كثير من مواضع فلسفته الخاصة وأخذ عنه اعتداده الحاسم بالتجربة والمعرفة الجزئية المحدودة بالحواس كما أخذ عنه إنكاره للمبادىء العقلية الفطرية, وأشاد إشادة كبرى بإنكاره للمعرفة الكلية الضرورية وللجوهر الروحي.وأنكر**"جيمس"**من هيوم ثلاث مسائل رئيسية:موقف الشك, طبيعة العقل ,رأيه في العلاقات.(37)

---

(35)-عويضة كامل محمد محمد، "وليام جيمس"، مرجع سبق ذكره، ص22

(36)*دفيد هيوم (David Hume) (1711-1776)فيلسوف أسكتلندي أثر في تطور مدرستين فلسفيتين حديثتين، هما مذهب الشك، و مذهب التجريبيةو ُلد في أدنبره وقضى غالبية حياته في الكتابة، ومن وقت لآخر، كان يقدّم خدماته في بعثات دبلوماسية في فرنسا وأقطار أخرى. وأعظم أعماله :رسالة في الطبيعة البشرية في الفترة بين 1739، 1740م، ولم تجذب إليها إلا اهتمامًا ضئيلاً، عندما نُشرت. ولكن شهرة هيوم طبقت الآفاق وبخاصة في فرنسا، بعد أن نشر عددًا أكبر من أعماله في الفلسفة، والدين والتاريخ .وكانت هذه الأعمال تضم بين دفتيها: موضوعات فلسفية عن الفهم الإنساني1748 م .وبحث فيما يتعلق بمبادئ السلوك الأخلاقي1751 م، وكتاب هيوم عن تاريخ بريطانيا (1754، 1756م)؛ تاريخ إنجلترا (1759، 1762م).وبلغت كتب هيوم هذه مرتبة رفيعة بين كتب التاريخ الهامة

(37)- المرجع نفسه ،ص23

***إنكار الشك**:

كان**"جيمس"مخلصا شديد التمسك بالتجربة مثل هيوم والخلاف بينهما هوأن هيوم حين يعجزعن إستجواب التجربة في فكرة ما ينكرها بينما حين تعجز التجربة"وحتى العقل"عن إجابة "جيمس" بأسئلته لا ييأس ولايبدأ يشك أوينكر,وإنما يتحايل على التجربة :ينتظر التجربة المستقلة إن لم تسعفه التجربة الراهنة,أو يكشف نوعا جديدا من التجربة أغفلها التجريبيون هوالتجربة الدينية أو التجربة السيكولوجية ،وأعتقد أنه لا فرق بينها وبين التجربة الفيزيائية ونحو ذلك.(38)**

حين أصرَ **"هيوم"** على إنكار عقل أونفس أو روح وأنه غيرالآثار الحسية والأفكاريستعين جيمس على إثبات شعورإنساني موحد بالإدراك المباشر للفهم المشترك,وبنفس الطريقة يثبت أن عالم المادية مستقلا لابدان يكون موجودا.ويرى**"جيمس"**إن التجربة أو العقل حين لايسعفان بأجوبة شافية عن الإيمان والإعتقاد فلابد من البحث عن مصدر ثالث للمعرفة فيجده في الوجدان والإرادة .

***طبيعة العقل**:كان **"جيمس"**قد إعترض على **"لوك"** في قوله أن العقل مجرد مستقبل للإنطباعات الحسية, وقال إن العقل فاعلية وتلقائية وليست هذه هي الصفة الوحيدة المميزة لطبيعة العقل,بل يرى أن العقل مهتم أيضا بمعرفة ما حوله ومشغول بفهم التجربة وإستعان بهذه الفكرة ليرفع الشك ويقرالإعتقاد, قال **"جيمس":** إن العقل يحاول ما يأمل أن يكون صادقا وذلك أمر مشروع لايمكن تجنبه.من طبيعة العقل أن يحاول شيئا, ومحاولاته أن يقترح أفكارا تتلاءم مع ما للكائن الحي من ميول و حاجات وأهداف يود أن يحققها في البيئة.إن لم يحاول العقل شيئا فلن يكون شيئا.وحين يحاول محاولاته الفكرية فإن المرجع الأخير للصدق هوتأييد التجربة أوإنكارها. كيف يحاول العقل محاولاته ؟

جواب**"جيمس":"إنها الإرادة ,فلم تعد الإرادة عند جيمس ذلك الجهد الذي يدفع الجسم إلى تنفيذ حركات معينة ولكنها ذلك الجهد الذي يحفز العقل على إبراز فكرة وتقديرها وإعلائها على بقية الأفكار.هذه هي فكرة جيمس الجديدة في الأخلاق والتي حل بها مشكلة حرية الإرادة الإنسانية. وجوهرها إعلاء سلطان الإرادة على سلطان العقل خاصة في مسائل الدين والأخلاق." (39)**

***العلاقات الخارجية**:لم يعجب**"جيمس"**برأي**"هيوم"** في العلاقات كما لم يعجبه رأيه في موقف الشك وموقفه من طبيعة العقل.**لقد تصور"هيوم"العالم منفصل الأجزاء مستقل بعضها عن بعض وأن العالم عبارة عن وقائع متباينة ,وحوادث مختلفة متعددة قد لا يربط بينها رباط ورد"جيمس"على ذلك برأيه المسمى بـ"التجريبية الأصيلة"*قال فيه إن الإنفصال المطلق بين أجزاء العالم ليس القاعدة الأساسية,والحق أن الإتصال والإنفصال موجودان وتدعمهما التجربة.(40)**

---

(38)عويضة كامل محمد محمد، "وليام جيمس"،مرجع سبق ذكره، ص 23
(39) المرجع نفسه ،ص 24
(40)- المرجع نفسه ،ص25

وقد وافق"**جيمس**"على قول"**هيوم**"أن الإتصال المطلق الضروري غيرموجود,ولكنه زاد قوله إن الإنفصال المطلق غيرموجود أيضا.العالم منفصل الأجزاء لكن قد يرتبط بعضها ببعض يوما ما بل يوجد ما يؤكد وجود وحدة من نوع ما وجودا تجريبيا.

ويعلن"**جيمس**" نظرية جديدة أخرى يرى فيها أن العلاقات بين الوقائع إنما هي وقائع ويمكن أن تدرك إدراكا حسيا كما تدرك الوقائع الجزئية تماما.

***موقفه من جون إستيوارت مل**:

شعر"**وليام جيمس**"بمشاركة وجدانية عميقة "**لجون ستيوارت مل**"إذ رأى أن يتفق معه في ميوله وإتجاهاته,أو قد يكون لمل أثر كبير في توجيه جيمس لهذه الإتجاهات.كان مل مهتما بالإصلاح الإجتماعي والسياسي ومعتقدا بالأثرالضخم الذي تحدثه تربية النشأ وبأن الأفكار كفيلة بتغيير طباع الناس.ولكي يصل"**مل**"إلى الإصلاح يهتم بالمعرفة فرأى أن بحثها أمرضروري: تلك المعرفة التي تنطوي على معرفة الغايات الصحيحة ووسائل بلوغها .وكان إتجاه مل علميا خالصا فقد دافع عن المنهج العلمي ,ودعم المنهج الإستقرائي بكل قواه,وإعتقد بأن العمل الرئيس هو تطبيق تطورات العلوم الطبيعية على العلوم العقلية والخلقية :علم النفس والأخلاق والإقتصاد والسياسية والتاريخ .كانت هذه الميول والإتجاهات هي نفسها ميول"**جيمس**" التي تلقاها في صباه وجاء"**مل**"ليدعمها ويؤكدها, وليس من قبيل المصادفة أن يهدي"**جيمس**"أضخم كتاب فلسفي نشره إلى"**جون ستيوارت مل**"وهو براغماتيزم.**وأجد فكرتين أصيلتين في فلسفة جيمس لهما ما يقابلهما عند"مل",هما إنكارمل للحقائق القبلية,وتصورمل للجبرية والحرية في الأخلاق,فيه إنكار.(41)**

* **الحقائق القبلية** :

نرى أن"**جيمس**" إستعان برأي"**جون إستوارت مل**" في إنكاربعض أراء" **كانت**"(42)في المعرفة القبلية أو الضرورية الكلية.رأى"**مل**"أنه لا توجد حقائق فطرية في العقل أوحقائق قبلية مستقلة عن التجربة.وأن كل المعارف مستمدة من التجربة.

وأن القوانين العامة(مثل إطراد الحوادث في الطبيعة والعلية)نتائج تجريبية أوتعميمات إستقرائية وليست قوانين ضرورية بحال.وكذلك كل مبادىء المنطق والرياضة المشتقة من التجربة وحين نقول إن نتائج العلوم الإستنباطية ضرورية نقصد بذلك أن النتائج ناتجة بالضرورة عن طائفة من التعريفات والبديهيات.

---

(41)عويضة كامل محمد محمد:"وليام جيمس"،مرجع سبق ذكره،ص 26

(42)*إيمانويل كانت(Immanuel Kant):" 172-1804"فيلسوف وعالم ألماني برز في المجالات التالية : فيزياء فلكية،رياضيات، جغرافية، علم الإنسان من بروسيا، عُتبرَ عموماً أحد أكثر المفكّرين المؤثرين في المجتمع الغربي والأوروبي الحديث والفيلسوف الرئيس الأخير لعصر التنوير .كان لكانت تأثير حاسم على الرومانسية والمثالية فلسفات القرن التاسع عشر .كما شكل عمله نقطة بداية لفلاسفة القرن العشرين. من مؤلفاته : نقد العقل الخالص ونقد العقل العملي وميتافيزيقا الأخلاق ومشروع من أجل سلم دائم.

ولكن هذه التعريفات أفكار تجريبية وهذه البديهيات تعميمات إليها بإحساساتنا وشعورنا الداخلي.ويرى **مل** أنا نتائج العلوم -إستنباطية وإستقرائية - شرطية لا مطلقة إذ تقوم كلها على مجموعة من الفروض وهي أمور تقريبية لامؤكدة.وسوف نرى أن فلسفة "**وليام جيمس**"هي هجوم على المذاهب العقلية الترنسندنتالية وإنكار للمعارف الثابتة المطلقة ودفاع على المذاهب التجريبية الجزئية.

ولقد قال "**جيمس**":"....**لا شيء في الذهن ليس مدينا في دلالته أوإشارته للوجود أوفي الصدفة للتجربة." ويقول أيضا:"يدير البراجماتي ظهره للتجريد والحلول الكلامية,والأسباب القبلية والمبادىء الثابتة والمذاهب المغلقة ويلتفت إلى المحسوس والدقيق والوقائع وإلى العمل."(43)**

***حرية الإرادة :**

إن للفيلسوف الأنجليزي"**جون استيوارت مل**"نظرية كاملة في الأخلاق ،سنجتزئ منها رأيه في الجبرية والحرية لصلتها بتفكير"**جيمس**".يرى"**مل**" أن من الخطأ أن نعرف الجبرية بأنها الإجبارأوالإضطرار, ومن الخطأ أيضا أن نعرف الضرورة بأنها تنطوي على سلطة خارجة على الإنسان تحتم عليه نوعا معينا من السلوك.إن المعنى الدقيق للجبرية تتابع ثابت مطلق للحوادث لا يتغير ولا يتوقف على شرط معين,أوأنه إذا توفرت دوافع معينة و ظروف أمكن التنبؤ بالسلوك.وإستطاع "**مل**" أن يصل من هذا التعريف للجبرية إلى القول بأن الإنسان مجبر حر في وقت واحد.إن الإنسان مجبر في سلوكه بمعنى أن السلوك ينشأ عن سلسلة منظمة من العلل هي دوافعه الطبيعية,وظروفه المحيطة به,إذ لا توجد أفعال بلا علل.والإنسان مختار في سلوكه بمعنى أن ميوله ورغباته هو–لا سلطة خارجية عليه – هي التي توجه أعماله,فإذا رغب الإنسان في تغيير سلوكه إستطاع.ولكن مل يختم رأيه بقوله إن هذه الرغبة خاضعة لعلية داخلية. أنكر"**جيمس**"طرفا من هذا الرأي وقبل الطرف الآخر منه:أنكرالجبرية السيكولوجية من"**مل**",ولكنه قبل تعريفه للجبرية وأخذه عنه وإستطاع أن يضيف إليه أن الإنسان حر مختار ذلك لأن الصدفة-لا الحتمية- هي المقولة الأساسية في الطبيعة ويمكن للإنسان أن يخلق في البيئة من الظروف والدوافع التي تهيا له فعل ما يرغب فيه.

***نظرية التطورالبيولوجي:**إنَ "**جيمس**"تأثر بالمدرسة الإنجليزية دون **بيرس أو ديوي**,فهذان المفكران تأثرابالفلسفة الألمانية ,أما نظرية التطور فقد أثرت في الثلاثة جميعا. **(44)**

ونظرية التطور التي عرفها"وليام جيمس"هي نظرية"داروين"و"**لامارك**"**(45)**و"سبينسر".

---

(43) عويضة كامل محمد محمد، "وليام جيمس"، مرجع سبق ذكره،ص27

(44) المرجع نفسه ،ص28

(45)*لامارك، جون باتيست (Jean-Baptiste Lamarck) :عالم فرنسي ولد فى أوت عام 1744 وتوفى فى 18 ديسمبر 1829 ،إهتم بالطبيعة وقرر ان يدرس الطب وقد كان جنديا فرنسيا, تقاعد من الجيش بعد أن جرح في عام 1766. ،وكان أكاديميا مهتما بالطبيعة.قام بنشر كتابه " فلسفة علم الحيوان Philosophie Zoologhque " عام 1802 م ،اعتقد لامارك أن التطور يتم عن طريق تمدد الأعضاء في الكائنات الحية، فعلى سبيل المثال، الزرافة حظيت برقبة طويلة لانها دائماً ما ترفع رقبتها إلى الاشجار، إلا أنه تم تفنيد هذه النظرية فيما بعد لصالح التطور عن طريق الإنتخاب الطبيعي .

3- المطلب الثالث: المنهج البراجماتي عند وليام جيمس :

أراد"**وليام جيمس**"بالفلسفة البراجماتية أن يقف موقفا وسطا بين المذهب التجريبي والمذهب العقلي,رأى في كليهما خيرا كثيرا ولكنه رأى كليهما يهمل جانبا معينا من جوانب الطبيعة البشرية:لاحظ أن المذهب التجريبي شديد الإخلاص للوقائع الجزئية والأشياء المحسوسة ,شديدالإهتمام بالمشاهدات والتجارب,وهذا فضله الكبير,لكنه مهمل للقيم الخلقية والدينية في الإنسان.للإنسان مطالب وحاجات ورغبات طبيعية كمطلب الإيمان وحاجته إلى الحرية والأمل والرضي والتفاؤل ورغبته في تحصيل الخيروالسعادة,كما لاحظ أن المذهب العقلي يفي بهده الحاجات الروحية في الإنسان,لكنه يتنكر للوقائع الجزئية والأشياء التجريبية .

رأى"**وليام جيمس**"أن هذين الإتجاهين يوقعان الفيلسوف في مأزق,-(قال"**كولردج**" مرارا:إن كل إنسان يولد أفلاطونيا أوأرسطيا.وكان يقصد بالأول العقلي وبالثاني التجريبي,والحق أنه يمكن تجاهل الإختلاف بين أفلاطون وأرسطو إذا فهمنا أن ديموقريطس وبروتاغوراس تجريبيان أكثر من أرسطو,وبذلك يكون من الأفضل من"**كولردج**"أن يقول:إن كل إنسان يولد أفلاطونيا أوديموقريطيا)- مأزق إختيارأحدهما وأن الإنسان لا يستطيع تفاديهما معا أوالجمع بينهما.ومن هنا شعر"**جيمس**"أنه بحاجة إلى إتخاذ موقف وسط بين هذين الإتجاهين يحقق الإخلاص للواقع والتجربة ويعطيه الإيمان بالقيم الروحية في نفس الوقت فنادى بالمذهب البراجماتي.

إن المذهب البراجماتي يفي المطلبين معا:يحتفظ بالدين كالعقليين,ويحتفظ بالإخلاص العميق للوقائع كالتجريبيين. وقد أعلن"**وليام جيمس**"أول مرة أن فلسفة البراجماتية منهج وليست مذهبا فلسفيا,وقصد من المنهج **أنه إتجاه فحسب:إتجاه إلى توضيح الأفكار,وإعطاء دلالات صادقة لتصوراتنا وقضايانا،ورأى أنه يحل – بهذا المنهج- كل المناقشات الفلسفية وذلك بمتابعة"مبدأ"بيرس"البراجماتي"والذي يقتضي أن ينحصر معنى التصور في نتائجه العملية وآثاره الحسية ,وأن الخلاف بين تصور وآخر هو الخلاف في واقعة محسوسة تنتج عن أي منهما أونتيجة سلوكية يؤدي إليها أحدهما.**

فالمنهج البراجماتي هو:"محاولة لتفسير كل فكرة بتتبع وإقتفاء أثر نتائجها العملية كل على حدة».(46) ومن الممكن أن يكون أحد أسباب ولادة المنهج البراجماتي هو ذلك الصراع بين التجريبية من جهة،والتي تخلص للوقائع الجزئية والأشياء المحسوسة والعقلية من جهة أخرى،والتي تعنى بالحاجات الروحية للإنسان، لكنها تتنكر للوقائع الجزئية والأشياء المحسوسة.وقد وجد المنهج البراجماتي أن كلا المدرستين يهمل جانباً ويهتم بجانب آخر،وكلا الجانبين مهمين، فجاء المنهج البراجماتي لكي يفي المطلبين،«**فهو ديني كالعقيلين ولكنه في نفس الوقت مثل التجريبية شديد الإخلاص للوقائع الجزئية والأشياء المحسوسة».(47)**

وقد وضع"**جيمس**"قاعدتين لمنهجه هما:**أولا**:إذا كان لديك قضيتان وإعتقدت بصدقهما معا,فأنظرإلى أثر كل منهما على سلوكك العملي،إن إختلف سلوكك نتيجة إعتقادك بالقضية الأولى عن السلوك الناتج عن إعتقادك

---

(46)- جيمس، وليام: البراجماتية، مصدر سبق ذكره،ص63-64.

(47) المصدر نفسه ،ص51

بالقضية الثانية،إذافالقضيتان مختلفتان حقا.وإذا لم يوجد خلاف عملي بينهما بمعنى لم يوجد خلاف في السلوك نتيجة إعتقاد الفرد بكل منهما فتأكد أنهما قضية واحدة بصورتين لفظيتين مختلفتين.

ثانيا:عندما لم يوجد أي أثرعملي في سلوكك نتيجة إعتقادك بصدق قضية ما,يختلف عن سلوكك نتيجة إعتقادك بكذبها,فأعتبرأن هذه القضية لا معنى لها ,بل لا وجود لها:**إذ أن دلالة الفكرة فيما ينتج عنها من أثر في السلوك (48).**

وقد شبه أحدالفلاسفة البراجماتيين المعاصرين **"ولیام جيمس"** والآخذين عنه– الفيلسوف الإيطالي **بابيني Papini***– الإتجاه البراجماتي على أنه منهج وليس مذهبا بما يأتي:**"مثل المنهج البراجماتي كمثل ممرفي فندق يطل على كثير من الغرف,قد تجد في إحدى الغرف كاتبا يكتب في (نزعة الإلحاد),وتجد في غرفة أخرى رجلا راكعا يطلب الإيمان,وتجد في ثالثة عالما كيمياويا يبحث في خصائص الكائن الحي ,وتجد في رابعة فيلسوفا يضع مذهبا في الميتافيزيقا المثالية ,وتجد في غرفة خامسة من يبرهن على إستحالة الميتافيزيقا يجب أن يمر هؤلاء جميعا في هذا الممر إذا أرادوا أن يدخلوا غرفهم أويخرجوا منها."(49)**

ويصرح **"وليام جيمس"**أن منهجه ثورة على الفلسفة التجريبية التي أنكرت قضايا الدين والإيمان، وأنه ثورة كذلك على الفلسفة العقلية حين كانت حلولها للمشاكل حلولا مجردة غيرمجدية.ولقد تبين **لجيمس** أن المشكلات التي بحثها العقليون أنها خرافات وليست مشاكل,أو قد يتبين لنا أنها مشاكل ولكنها لم توضع الوضع الصحيح ,ومن هنا نفهم إعلان جيمس عن منهجه أنه يتصف بالثورة على الأبحاث المجردةوالمبادئ الثابتة والمذاهب المغلقة والحلول الكلامية والأسباب القبلية,وأنه يتصف بالإخلاص للوقائع الجزئية والنتائج المحسوسة والآثارالدقيقة المحددة.كان أساس فلسفة**"جيمس"**إنكار الحقائق القبلية,والإعتقاد بأن الإنسان هومصدر الحكم على الأشياء،بالصدق أوالكذب وأن ليس هناك حقائق خالدة مهمتنا أن نتأملها ,ولذلك ثارعلى تلك المذاهب العقلية التي تجعل أساس بحثها مبادىء ثابتة تصادر على صحتها ولا يسندها سند تجريبي.وكان أساس فلسفته كذلك تبرير حاجات الإنسان الروحية إذا وجد لها سندا في التجارب الجزئية ,وإذا كان الإعتقاد بها ينتج آثارحسية دقيقة محددة في العالم الذس نعيش فيه.كما يمكن التأكيد أن هناك قاعدتان في المنهج البراجماتي وضعهما**(بيرس)** من خلالهما نستطيع أن نعرف أونميز الفكرة الواضحة من الغامضة،الحقيقية من الباطلة، أوالتي لها فائدة عملية تكمن في إمكانية التأثير في السلوك مستقبلاً من التي ليس لها ذلك التأثير وبيان انها ليست ذات معنى:**أولا:إذا أبدت إحدى العبارات العامة مقاومة،وإذا لم يقدم الشخص الذي يستخدمها تأكيداً على ان هذه الفكرة أوالعبارة ذات فائدة عملية وأن هذه الفائدة العملية يمكن لنا أن نتأكد من وجودها إذا اخضعنا العبارة إلى التجربة أوالملاحظة فيجب الحكم على العبارة بأنها خالية من المعنى. ثانيا:إذا كان التعريف أوالترجمة لعبارتين هامتين يؤدي إلى نتيجة واحدة فإن العبارتين تكونان مترادفتين من الوجهة العلمية أوالبراجماتية مهما إختلفتا في النواحي الأخرى.ولم يختلف (جيمس) عن (بيرس) بالقول بالقاعدتين السابقتين ولكنه إختلف عنه في الصياغة اللغوية.(50)**:

---

(48)- زيدان، محمود فهمي: وليام جيمس، مرجع سبق ذكره، ص46. كذلك راجع المعنى نفسه في كتاب (بعض مشكلات الفلسفة)، وليام جيمس، ترجمة: محمود فتحي الشنيطي، المؤسسة العربية العلمية للتأليف والنشر،مصر

(49)- جيمس، وليام: البراجماتية، مصدر سبق ذكره،ص65

(50)-- وايت، مورتن: عصر التحليل، ترجمة: أديب يوسف شيش، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا. دط ،1975،ص152.

4- المطلب الرابع: سبب إتجاه جيمس نحو الفلسفة البراجماتية :

أراد**"وليام جيمس"**أن يشرح لنا الأسباب التي أدت به إلى ترك البحث في المشكلات بحثا نظريا، مجردا، تأمليا والإتجاه في بحثها عمليا حيث كتب مقالا شهيراعنوانه **(ميل الإنسان إلى التفكير الفلسفي)** إنتهى فيه إلى أن الأبحاث النظرية ناقصة بالضرورة وأن الحلول الصادقة للمشاكل الفلسفية هي المرتبطة بالسلوك العملي والمرضية لمطالب الإنسان.يرى جيمس في هذا المقال أن للإنسان مطالب نظرية وأخرى عملية, **وأول مطلب نظري** يرغب فيه الذهن هوالتبسيط , إنه ينزع بطبعه إلى البساطة ويميل إلى رد المعقد إلى البسيط ,والكثير إلى الواحد,لأن النتيجة المبسطة موفرة للجهد الذهني,والرغبة في الإقتصاد في وسائل التفكير رغبة فلسفية أكيدة إذ يشعر الإنسان برضى وإرتياح حين يدرك أن مجموعة من وقائع متباينة فيما بينها ,يمكن ردها إلى واقعة واحدة أو يمكن أن نفسرها واقعة واحدة.**وثاني المطالب النظرية** التي يرغب فيها الذهن هوالرغبة في التمييز.ويقصد بها جيمس رغبة الإنسان في معرفة الأجزاء والتفاصيل وعدم الإكتفاء بالإدراك العقلي للكل,وفهم الإنسان والأشياء فهما معمما.**ويرى أن معرفة الجزئيات والتفاصيل أهم من معرفة الأشياء معرفة عامة وإدماجها في أنواع وأجناس.ومظاهرهذه الرغبة في التمييز هي الإخلاص في توضيح الإدراك الحسي توضيحا يبرز معالمه وتفصيلاته وكراهيته للمجمل والمشوش والتشابه الغامض في الأشياء.إن البساطة من جهة الوضوح من جهة أخرى مطلبان أساسين للفكر فيما يرىوليام جيمس(51)**.وينتقل من هذه الخطوة إلى حكم عام هو أن أي فلسفة تنكر أحد المطلبين أوكليهما أوتعطي لأحدهما مرتبة أعلى من الآخر فلسفة غير مقبولة ,ويدلل على ذلك بفلسفة **"باروخ سبينوزا"ودافيد هيوم**. رأى **"جيمس"** أن سر إهمال الناس لفلسفة سبينوزا أنه إهتم بالوحدة المطلقة دون غيرها,فلم يراعي الجزئيات ولا التفاصيل,وإنما رد كل الأشياء المادية إلى مبدأ واحد مطلق يفسرها.

وسرإهمال الناس فلسفة **"هيوم"**هوإهتمامه الشديد بالكثرة المطلقة والإنفصال المطلق بين الأشياء بحيث تعثر الجمع بينها وإيجاد رابطة أوعدة روابط توحد بينها.ينتقل **جيمس** من هذا الحكم إلى حكم آخرهوأن الفلسفة هي التصنيف الكامل لجزئيات الكون:أي حصر ما في الكون من أشياء حصرا دقيقا محددا دون إهمال التفصيلات والجزئيات ثم تصنيف هذه الأشياء المتكثرة المتعددة في مجاميع ،تشمل كل منها عددا من الأشياء ،تشترك فيما بينها في خصائص واحدة ،وحين يناقش **جيمس** هذا الحكم يرى أن إيجاد هذه الفلسفة الصادقة عمل مستحيل.لأن التصنيف هوإيجاد ماهية مجردة كائنة في الأشياء وترك ما عداها.وبذا لا يكون التصنيف كاملا بالضرورة وإنما فتح مجال الأشياء تظل مجهولة.وهذه النتيجة – وهي إستحالة بناء مذهب نظري صادق، يبرر **لوليام جيمس** إنعدام الثقة في المطالب النظرية للإنسان والإتجاه نحو مطالبه العملية .

---

(51)- زيدان، محمود فهمي: وليام جيمس، مرجع سبق ذكره، ص46. كذلك راجع المعنى نفسه في كتاب (بعض مشكلات الفلسفة)، وليام جيمس، ترجمة: محمود فتحي الشنيطي، المؤسسة العربية العلمية للتأليف والنشر، مصر .

يرى**"جيمس"**أن معرفتنا للأشياء معرفة صحيحة قائمة على مقدارالتنبؤ بنتائج تلك الأشياء.إن لعلاقة الشيء بنتائجه قيمة كبرى ولذا ينبغي أن نتخذ إرتباط المدرك بنتائجه المستقبلة قاعدة فلسفية .

ويتابع جيمس بحثه فيقول إن حب الإستطلاع الفطري فينا هو الذي يحفزنا إلى الوصول إلى نتائج الأشياء وأثارها,فإذا ماوصلنا إليها إستراح العقل وإطمأنت النفس وأحس الفردالأمان والإقتناع بما وصل إليه. كان أول مطلب -عملي-عند**"جيمس"**هو الرغبة في الوصول إلى توقعات محددة للأشياء أما إن لم تحقق هذه الرغبة وظل المستقبل غامضا عاش الفرد في قلق وحزن وإضطراب عقلي.ولكن مستقبل الوقائع قد يحدد بطرق كثيرة :منها ما يلائم طبيعتنا ومنها ما لايلائم .

والفلسفة الصحيحة هي تلك التي تحدد المستقبل بحيث ترضي طبيعتنا,والفلسفةالكاذبة هي تلك التي تتجاهل الميول الإنسانية أوالتي تنطوي على تعارض بين مستقبل الوقائع ورغبتنا وأمانينا.ماهذه الطبيعة الإنسانية التي تتردد في كتابات**"وليام جيمس"** كثيرا ويمر عليها دون أن يشرحها ؟

يقول جيمس في خاتمة مقاله**"ميل الإنسان إلى التفكيرالفلسفي"**:"**إن في الإنسان ميولا ينبغي أن نحترمها مثل الإستجابة والأمل والصبروالإحتمال والإعجاب والإشتهاد والمخاطرة وكفاحه ضد الشك ونضاله لليأس والخوف والضيق و ميله وسعيه نحو الخير والتفاؤل والبعد عن الشر وما يؤدي إلى التشاؤم ".(52)**

هذه هي الفلسفة العملية كما يراها **"جيمس"** تبين أنها ليست وجهة نظر في شؤون الحياة اليومية و إنما الوصول إلى حلول لمشكلات نظرية لاعن طريق تحليلها تحليلا جدليا ،أوعن إفتراض فروض قبلية مستقلة عن التجربة ,بل يكون حل المشكلات بمتابعة آثارها المحددة ،ونتائجها الدقيقة بحيث لولم يكن للمشكلة نتيجة أولحلها أثر في الحياة (النظرية أوالعملية) فالمشكلة باطلة.

وقد إستخدم جيمس هذا المنهج وطبقه على نظريات له في المعرفة والميتافيزيقا التي تشمل مشكلات ثلاث: **(الجوهروالتدبير في الكون,وخلاص العالم.)**

---

(52) - زيدان، محمود فهمي: وليام جيمس، مرجع سبق ذكره،ص47.

المبحث الثالث:شبكة المفاهيم (ضبط المفهوم إثمولوجيا)

أولا – المطلب الأول: مفهوم الإعتقاد: Belif, Croyance

أ- لغة: مشتق من اللاتينية **Crédentia** ،ومن الفعل **Credere** ومعناه إعتقد.بمعنى الإيمان أوالتصديق الجازم.(53) و**في معاجم اللغة العربية** نجد أن مادة(عقد)تدور حول الربط، والإحكام، سواء أكان ذلك في الأمورالمادية أو المعنوية.وهذا ما أكده ابن فارس بقوله:"العين والقاف والدال :أصل واحد، يدل على شدَّ، وشدة وُثوق، وإليه تُرجعُ فروعُ البابِ كلها" (54) وقال الزبيدي"عَقَدَ الحَبْلَ ، والبَيْعَ، والعَهْدَ، يَعْقِدُهُ عَقْداً، فانعقَدَ: شَدَّه والذي صرَّحَ به أئِمَّةُ الاشتِقَاقِ: أصلَ العَقْدِ: نَقِيض الحَلّ" (55) وقال الخليل بن أحمد:"عَقْدُ اليمين : أن يَحْلِف يَمِينا،لا لغو فيها، ولالِبتثناء، فيجبُ عليه الوفاءبها. وعُقْدَةُ كُلِّ شَيءٍإِبْرَامُه.وعُقْدَةُ النِّكَاحِ وجُوبُهُ. وعُقْدَةُ البيْع: وجُوبُهُ.وعَقَدْتُ مالا: جَمَعْتهُ. وعَقَدَ قَلْبَهعلى شَيْء: لم يَنزع عنه.وانْعَقَدَ الشَّيْءُ ضِدّ انْحَلّ.وانْعَقَدَ الإخَاءُ والمَوَدَّةُ بينهمأي ثَبَتَ " (56) والإعتقاد والعقيدة مترادفان، لا فرق بينهما في المعنىإلا أنهما يفترقان من الناحية الصرفية؛ فالأولى على وزن (الافْتِعَال)، والثانية على وزن (الفَعِيلَة).والناظر المدقق في المعاجم اللغوية، يجد أن تعريف كلمة (العقيدة)أو(الاعتقاد) لم يرد في المعاجم اللغوية القديمة سوىالمصباح المنير؛فقدعرفها أحمد الفيومي* بقوله:"(العَقِيدَةُ) ما يدين الإنسان به" (57) وورد في المعجم الوسيط تعريف للعقيدة،حدها بقوله:"الحكم الذي لايُقْبل الشكُّ فيه لدى معتقِدِه،وفي الدين:ما يقصد به الاعتقاد دون العمل،كعقيدة وجود الله،وبعثة الرسل" (58) وكلمة العقيدة أوالإعتقاد لم ترد كذلك في القرآن الكريم، وإنماالذي ورد هو مادتها فقط، التي تدل على الربط والإحكام والتوثيق. وفمن :العهود،كما في قوله تعالى: (59)(**يأيها الذين آمنو أوفوا بالعقود.....)**. قال الطبري في تفسير معنى(العقود):"يعني:أوفوا بالعهود التي عاهدتموها ربكم، والعقود التي عاقدتموها إياه"*(60)

ب-إصطلاحا:هوالحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده سواءكان حقا أم باطلا فهو مجموعةالأفكاروالمبادئ التي يؤمن بها الفرد بصحتها ثم يبني عقيدته عليها. بمعنى إعتناق فكرة والتسليم بصحتها وتقوم على عدة إعتبارات إجتماعية ،أخلاقية ، دينية.....الخ. (61)

---

(53)*لالاند (أندرية) : الموسوعة الفلسفية ،تعريب : خليل أحمد خليل،تعهده وأشرف عليه أحمد عويدات، ثلاث مجلدات ، ط1- ، منشورات عويدات ، بيروت – لبنان ، 2001 ص338-339

(54) إبن فارس :معجم مقاييس اللغة: تحقيق عبد السلام هارون ج4 ،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة ،مصر ط19461 ص86

(55)– الزبيدي، محمد مرتضى :تاج العروس، تحقيق: إبراهيم الترزي، دار التراث العربي، بيروت، لبنان(دط ت)،ويراجع القاموس المحيط، لصاحبه الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب بن محمد بن يعقوب بن إبراهيم،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،القاهرة،مصرط 2د ت.

(56)الفراهيدي ،الخليل بن أحمد : معجم العين، تحقيقإبراهيم السامرّائي ومهدي المخزومي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،مصرط1 1985 ص140

(57)الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري:المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية،بيروت، لبنان ط2 دت ص421.

(58) مجمع اللغة العربية"إبراهيم أنيس، وعبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد.":المعجم الوسيط، ، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة, مصر ط2، 1972،ص 614 .

(59) سورة المائدة: الآية1

(60)* تفسير الطبري: ج 4 ص385.ويراجع تفسيرابن كثير:ج 3ص7.

(61) مدكور، إبراهيم: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،مصر دط 1982، ص 29

عند العلماء المسلمين:

قال **المناوي**:(62)"الإعتقاد:عقد القلب على الشيء،وإثباته في نفسه."وقال **أبوعبد الله الحنبلي**: (63)"الإعتقاد: من أفعال القلوب،من عقد القلب على الشيء، إذا لم يزل عنه. وأصل العقد:ربط الشيء بالشيء،فالإعتقاد إرتباط القلب بما إنطوى عليه ولزمه." فكل أمرٍعقد الإنسان قلبه عليه،وتمسك به، سواء أكان هذا الأمر المعقود عليه صحيحًا،أوفاسدًا؛ فهوعقيدة.وقال**أبو يحيى زكرياالأنصاري**:(64)"الإعتقاد:هوالعلم الجازم القابل للتغير،وهوصحيح إن طابق الواقع؛ كإعتقاد المقلد سنية الضحى،وإلا ففاسد؛ كالإعتقاد الفلسفي بقدم العالم."فالإعتقاد عبارة عنحُكْمٍ قلبي ذهني، يحتمل أمرين؛إما صحيح،وإما فاسد.فالإعتقاد بأن الله واحد، فرد، صمد،لم يلد ولم يولد،فهذا إعتقاد صحيح، سليم،مطابق للواقع.أما الإعتقاد بأن لله ولدًا،أوهو ثالث ثلاثة (أستغفرالله) فهذاإعتقاد فاسد،مخالف للواقع.

عند الفلاسفة الغربيين:

-**عندالقديس أنسلم**:"أعتقد حتى أفهم"يؤكدعلى أن الاعتقاد إرادة والإيمان يأتي تصديقا، ثم بعد ذلك يأتي الفهم،فالفهم يكون من صورالإيمان وتوضيحا له.(65)

-**عند كانط**:كل تصديق قام لايقبل التشكيك من دون أن يكون له بالضرورة صفة عقلية أومنطقية ،فإما أن يكون هذا التصديق مستندا إلى مبادئ كلية مشروعة أو إلى عوامل فردية عاطفية.(66)

-**عند وليام جيمس**:لقد ربط جيمس الإعتقاد بالإرادة وأقر بأن إرادة الإعتقاد هي التسليم بإعتقادات لايستطيع العقل أن يبرهن على صدقها ولكنه يقبلها مع ذلك لعدم تناقضها وللمنافع العلمية التي تنشأ عنها تعتمد أساسا على الثقة وطمأنينة القلب أكثر مما تعتمد على الحجج العقلية.وهي عنده كذلك تتضمن معنى الإستعدادالنفسي للسلوك.وهكذا يكون الإعتقاد فعل إراديا والأمر نفسه أشار إليه رينوفيه في كاتبه "إرادة الحرية"وتأثر به جيمس في أن الإعتقاد لايحدث دون عوامل إنفعالية فقوة الإرادة تفوق قوة العقل. (67)

---

(62)*المناوي ،محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق:د. محمد رضوان الداية،دارالفكرالمعاصر,دارالفكر، بيروت, لبنان،1990،ص 75

(63)* البعلي، أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح الحنبلي:أبواب الفقه،تحقيق :محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان،1981م،ص 408

(64)* زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري ،أبو يحيى:الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة،تحقيق: د. مازن المبارك،دارالفكرالمعاصر، بيروت، 1991هـ، ص69

(65)* - صليبا، جميل : المعجم الفلسفي ج2 دارالكتاب اللبناني،بيروت،لبنان دط، 1985 ،ص 78.

(66)* - المرجع نفسه، ص 104.

(67)* - مدكور، ابراهيم: المعجم الفلسفي، مرجع سبق ذكره، ص 30.

ثانيا- المطلب الثاني: مفهوم الحقيقة: (La veritè), (Truth)

أ- لغة :*مشتق من اللاتينية (**Vèritas**) ؛ "**Qualitè de ce qui est vrai** "، أي أنها "سمة أوخاصية ما هوحق،وهي القضية الصادقة. **(68)**ومعناه في اللسان العربي يشتق لفظ الحقيقة من فعل حق الشيء إذا ثبت وإستقروتحمل الحقيقة معنى الثبات والإستقرارحيث يصبح الحقيقي في المجال الوجودي هوالجوهر والماهية، واللاحقيقة هي المظهر، أما في المجال المنطقي والمعرفي فالحقيقة هي الصدق واليقين،واللاحقيقة هي الوهم والخطأ والخيال، أما في المجال اللغوي فالحقيقي هوما وضع اللفظ له،واللاحقيقة هي المجاز من داخل هذه التقابلات يفرض علينا ضرورة المعالجة الفلسفية.

يعرفها**"الجرجاني"(69)**في **كتابه التعريفات"**هي الشيء الثابت قطعا ويقينا، يقال حق الشيء إذا تبين،وهي إسم للشيء المستقر في محله ومابه الشيءهوهو الملاحظ أن الجرجاني في هذا التعريف يختزل الحقيقة فيما هو تابث ومستقر ويقيني يقابله المتغير والزائف والمتحول،وبذلك يلتقي هذا التعريف مع المعنى الأنطولوجي للحقيقة كماهية وجوهر في المقابل الأعراض المتغيرة والفانية. أما على المستوى المنطقي فيرادف لفظ الحقيقة الحق والصدق ويقابله الباطل والكذب فتصبح الحقيقة بهذا المعنى هي الحكم المتطابق مع الواقع، ففي الحق يكون الواقع مطابقا للحكم،بينما في الصدق يكون الحكم مطابقا للواقع وبذلك تكون الحقيقة صفة للحكم المطابق للواقع. فهذا**"الجرجاني"**يحدد مفهوم الحقيقة فيماهو ثابت ومستقر ويقيني.هكذا يكون للحقيقة معنى لغوي ومعنى فلسفي أنطولوجي.فالثابت لغة هو المعنى الحقيقي ويقابله المعنى المجازي؛والثابت أنطولوجيا هو الجوهروتقابله الصورة.وذلك ما يزيد إشكالية تحديد مفهوم الحقيقة تعقيدا،الأمر الذي يدفع بنا إلى اللجوء إلى التحديد الفلسفي.ففي المعجم الفلسفي:"الحقيقة في اللغة ما أقر في الإستعمال على أصل وضعه،و المجازما كان بضد ذلك ،وحقيقة الشيء خالصه وكنهه ومحضه وحقيقة الأمر يقين شأنه،وحقيقة الرجل ما يلزمه حفظه والدفاع عنه".

ب- إصطلاحا:

-عند "أفلاطون":**(الحقيقة بناء فكريا يتجلى في تمثل واقع موضوعي مفارق للواقع المادي الحسي ..)

-عند "أرسطو":**(الحقيقة بناء فكريا يتجلى في تمثل واقع موضوعي محايث له).

ويقول**"ابن اسينا"****(إن لكل شيء ماهية هو بها ما هو"وهي حقيقته بل هي ذاته).

ويعرف**"لالاند"***Lalande الحقيقة بأنهاهي"خاصية ماهوحق **Ce qui est vrai** وهي القضية الصادقة، وما تمت البرهنة عليه،وشهادة الشاهد الذي يحكي ما فعله وما رآه والحقيقة بمعنى أعم هي الواقع" الذي لا يمكن الشك فيه. يكتسي تعريف**"لالاند"** للحقيقة طابعا وصفيا حيث جمع أغلب التصورات حول مفهوم الحقيقة رغم تباينها،وبالتمعن في تعريف" **لالاند"** وفي تعليق لالاند النقدي على هذه الدلالات يشير إلى أن

---

(68) لالاند(أندرية):الموسوعة الفلسفية، م3 ، مرجع سبق ذكره ،ص1540/1539

(69)صليبا،جميل: المعجم الفلسفي ج1،مرجع سبق ذكره،ص485-486

(الحقيقة بمعنى الواقع) أصبحت متجاوزة،وأن مفهوم الحقيقة منذ الفلسفة الحديثة صار أكثر فأكثر مختصا بالمعرفة،وأصبحت الحقيقة تنحصر في مجال الفكر واللغة وبصفة عامة يمكن تعريف الحقيقة:"أنها المطابقة بين ما أقول وبين ماهو موجود بالفعل":ما أقول:يتعلق بحكمي أنا.وما هو موجود بالفعل يتعلق بالواقع ،أي ما هو معطى بشكل مستقل عن ذاتي .

-عند ديكارت*(70):يدعوإلى تجاوزالمعرفة الحسية ولا تعني بالضرورة تجاوزالعالم المادي إلى واقع غيبي ميتافزيقي.

وعند الوضعيين:تقول بأن مفهوم الحقيقة مرتبط فقط بالمشاهدات الإمبريقية ولا يتعداها إلى نظراتناعن العالم الخارجي.فهذا العالم الخارجي موجود بإستقلال عن الذات العارفة ولن يتأثر بقناعتنا ونظرياتنا عنه. وبالتالي فمن غير المفيد التحدث عن الحقيقة بغير علاقتها مع المشاهدات الإمبريقية.

-عند كانت*(71) **(Immanuel Kant):**الحقيقة بناء عقليا يتم بتظافرالعقل والحواس،فالحواس تمد العقل بمادة المعرفة،والعقل يوظف مقولاته القبليةلإعطاء هذه المادة صورااإبستيمية.وهكذايبين**"كانت"** أن الحقيقة ليست على نحوجاهزلافي الواقع ولافي الفكر،وإنما الحقيقة تفاعل جدلي بين معطيات التجربة والمفاهيم العقلية. ومهما بلغت درجة معرفتنا،فإنها ستظل نسبية مادمنا نجهل حقيقة النومين والأمورالميتافزيقية.

-عند مارتن هيدجر*(72) **(M. Heidegger):** حاول أن يتجاوزأطروحات الفلسفة التقليدية حول المطابقة بأن تساءل حول الكيفية التي يمكن أن تكون بها الحقيقة إستنساخا للواقع وترجمة أمينة له؟ فالتطابق لا يمكن أن يكون إلابين شيئين متماثلين في الشكل والطبيعة،فكيف يمكن أن يكون الفكر مطابقا للواقع وهما مختلفان؟ لذا يرى**"هيدجر"**أن المقرالفعلي للحقيقة ليس هوالفكرأو(المنطوق)لأن الحقيقة إنكشاف وحرية.أو بتعبير آخر :الحقيقة هي إنفتاح على الواقع وإستعداد لإستقباله في الصورة التي ينكشف بها أمام الذات،وهي كذلك تعبير حر للذات في تعاملها مع الواقع،أوكما قال هيدجر:"**الحقيقة هي الحرية**." وفلسفيا الحقيقة :هي مطابقة التصور والحكم للواقع". وتطلق الحقيقة على الشيء قطعا ويقينا .والحقيقة أيضا هي مطابقة الشيء لصورة نوعه أو لمثاله الذي أريد له ،فالحقيقة بهذا المعنى هي ما يصير إليه الشيء:"نقول لا يبلغ المؤمن حقيقة الإيمان حتى لا يعيب إنسانا بعيب هو فيه".

وأخيراالحقيقة هي الماهية أوالذات ،فحقيقة الشيء ما به الشيء هوهوكالكائن الناطق للإنسان بخلاف الضاحك والكاتب مما يمكن تصورالإنسان دونه.وإذا إستقصينا تاريخ الفلسفة ،يتأكد أنه تم تحديد العديد من المفاهيم ،وأعطيت للحقيقة قيم متعددة ،تتأرجح بين قيم فكرية ونظرية، وقيم نفعية عملية، وقيم أكسيولوجية أخلاقية. وقد تميزت الفلسفة التقليدية في إعتبار الحقيقة غاية في ذاتها وكان الفيلسوف يطلب الحقيقة لذاتها.

---

(70) - سبيلا محمد وبنعبد العالي عبد السلام - سلسلة دفاتر فلسفية:الحقيقة ،دارتوبقال للنشر،دار البيضاء، المغرب،ط2 سنة2005.ص 48/47

(71) المرجع نفسه ،ص65/64

(72) المرجع نفسه ،ص 67/66

حيث حاولت الفلسفة البراجمائية بزعامة "**وليام جيمس**"تجاوز التصور التقليدي للحقيقة،وسوف نترك توضيح هذا الأمر في الفصل الثاني.

وبعد عرضنا في هذا الفصل، لتطورات الفكر والمجتمع في أمريكا وكيف تحول إلى البراجماتية، والأسس الفلسفية لدى **وليام جيمس**،مع مدخل مفاهيمي، عبر مباحث ثلاثة، سوف ننتقل في الفصل الثاني إلى عرض مفهوم الحقيقة ومعاييرها وخصائصها وأنواعها وعلاقتها بالواقع ،من خلال نظرية الصدق لوليام جيمس. وفي البداية نستعرض مسألة الوهم وإشتباه الحقيقة ، في الفلسفة والسحروالعلم والدين.عبر مباحث ثلاثة لاحقا.

الـفصل الثانـي

الحقيقة الإعتقاد عند وليام جيمس

المبحث الأول: عن الوهم وإشتباه الحقيقة.

1 ـ المطلب الأول: في الفلسفة. 2 ـ المطلب الثاني: في السحر.

3 ـالمطلب الثالث: في العلم . 4 ـ المطلب الرابع: في الدين.

المبحث الثاني :عن نظرية الصدق عند وليام جيمس والبراجماتيين .

1- المطلب الأول: مفهوم الصدق.

2- المطلب الثاني: موقف وليام جيمس من العقليين.

3- المطلب الثالث: موقف وليام جيمس من التجريبين.

4- المطلب الرابع: تطبيق المنهج على الصدق .

المبحث الثالث : عن مفهوم الحقيقة ومعاييرها عند وليام جيمس.

1 ـ المطلب الأول: تعريف الحقيقة عنده(الفرق مع تعاريف أخرى عامة وبراجماتية).

2 ـ المطلب الثاني: معايير الحقيقة (معيارالنجاح والمنفعة).

3 ـ المطلب الثالث: الحقيقة والإعتقاد اليوم.

4 ـ المطلب الرابع: خصائص الحقيقة وانواعها.

5- المطلب الخامس: الحقيقة والواقع.

أ/ عند الإتجاه المثالي. ج/عندالإتجاه التجريبي.

ب/ عندالإتجاه المادي. د/عند وليام جيمس.

الفصل الثاني : عن الحقيقة والإعتقاد عند وليام جيمس.

تمهيد:

تعد مشكلة الحقيقة وعلاقتها بالإعتقاد،من أعقد المشكلات التي يتعين على الفلسفة بحثها,لذلك لأنه ليس هناك كثرة من الحقائق فحسب,بل أن الناس نادرا ما يعنون نفس الشيء عندما يصفون عبارة بأنها"حقيقة".وكثيرمن المناقشات التي تنتهي بصياح أحد الطرفين أوكليهما:"كذاب"إنما تصل إلى هذه النهاية المؤسفة لابسبب تزييف متعمد أوحتى خطأ غيرمقصود, بل لأن الخلاف الأساسي يكمن في أن أحد الطرفين يستخدم معيارا معينا للحقيقة غيرالمعيارالذي يستخدمه الأول.

فلاغروإذن أن لا يشاهد كل المتنازعين خصمه وجها لوجه, بل أنهمالا يتكلمان لغة واحدة حتى وإن كانا يستخدمان نفس اللفظ.ذلك لأن المعاني,لاالأصوات,هي التي تكون ماهية اللغة .فلو قلت"حقيقي"وكان في ذهني معنى معين,وقلت أنت نفس اللفظ وكان في ذهنك معنى آخر,لكان في مواصلة الحديث مضيعة للوقت مالم نتمكن من التوقف وتحليل خلافاتنا من أجل كشف أساس معقول للتفاهم يتيح مواصلة الحديث.وقد كان إهتمام الفلاسفة منصبا على مسألتين متعلقتينبالصدق: تتعلق الأولى بمعنى لفظ الصدق أو(الحقيقة),وتختص الثانية بالمعيارأوالمعاييرالتي يمكننابواسطتها أن نحكم على القول أوالمعتقد بأنه صادق أوكاذب.ويبدوأن هاتين المسألتين متداخلتان إلى حد كبيرعلى وجه، يتعذر معه في الغالب إدراك الفارق بينهما .

وليس أدل على ذلك بأن معظم الفلاسفة يركزون إهتماماتهم" أثناء بحثهم لموضوع الصدق"على تقديم المعايرالتي ميزبين ماهوصادق وماهوكاذب,ولانكاد نجد شيئا يذكرعن معنى الصدق أومعنى اللفظ المقابل له,أعني,الكذب وقد قدم لناالفلاسفة العديد من النظريات في موضوع الصدق لعل من أشهرها"نظريةالتطابق"و"نظريةالإتساق"..

وإستقراؤنا لتاريخ الفكرالبشري،يبين لنا أن الحقيقة لم تستطع،أن تتواجد في معزل عن اللاحقيقة؛ونقصد بذلك أضداد الحقيقة التي يمكن تلخيصها في نوعين أساسين:الخطأوالوهم. فالحقيقة العلمية التي تعتبرالنموذج الأعلى لليقين لم تستطع أن تعيش في معزل عن الأخطاء. فقد ظلت فكرة مركزية الأرض – مثلا– مهيمنة على العقول إلى أن تم إكتشاف خطئها.

المبحث الأول: عن الوهم وإشتباه الحقيقة.

1- المطلب الأول: في الفلسفة:

إنَ لفلسفه **وليام جيمس** جانبان:أحدهماعلمي،والآخرديني-(فهوبروتستاني للغاية)- وقدنشرت نظريته التجريبية لأول مرة سنة1904 في مقال بعنوان:(هل الشعورموجود؟).وفيه أنكرالعلاقة بين الذات والموضوع،ووصف الشعوربأنه إسم بلا كيان،ولا حق له في مكان بين المبادئ الأولى،وأنه ليس هناك خامة بدائيةأوكيفية بدائية للوجود،تباين تلك الخامة التي تصنع منها الموضوعات المادية،تصنع منها أفكارنا،أماالوظيفة التي تنجزأفكارنا فتسمى**"حدوث الشعور"**؛والخامة أوالمادة التي يتشكل منها كل شيء في العالم هي"الخبرة الخالصة"،وهذه الأخيرة هي"تيارالحياة المباشرالذي يزود تفكيرنا اللاحق بالمادة".كان جيمس مهتمأفي المقام الأول بالدين والأخلاق،وفلسفته معنية بالنظر في الآثار من النوع العملي التي يمكن تصورها متضمنة في الموضوع.كما أنه وضع فهماً جديداً لوظيفة الفلسفة بأنها تُعنى بصدق الصيغة المتصورة عن العالم،وهكذا تغدوالنظريات أدوات وليست إجابات عن أحجية.

أما الفكرة فتكون صادقة بقدرمانعتقد أنها مفيدة لحياتنا.والحقيقة هي نوع من الخير،فهي ليست مقولة حيادية.والأحداث هي التي تجعل الفكرة صادقة،أي أنها تتفق مع الواقع،والصادق هوفقط المناسب في طريق تفكيرنا.ويعتبر**"وليام جيمس"**هوجعل الفكر البراجماتي فلسفة عامة سائدة,فهو الذي صاغ أسس النظرية لما يمكن أن نسميه الفكرالرسمي الأمريكي.إنه فيلسوف الحرية,حرية الإرادة الفردية,إذ يصف نفسه,ويصفه الناس بذلك.ولكن بأي معنى وفي أي إطارونحن نجد لكلمة الفرد رنينا خاصا,وجرسا عاليا في لغة**"جيمس"**الفرد الفعال المتجددالمؤمن بأن هناك جديدا دائما تحت الشمس.الفرد الذي يضيق بالقيود أيا كانت هذه القيود متمثلة في قوانين فكرأومجتمع.الفرد الذي أنجزوحقق الكثيروالذي هوقانون ذاته.سخر**"جيمس"** من الكون المتحجر،الكون المكتمل الذي قالت به المثالية المطلقة,وقال إنه عالم ليس فيه إمكان.ويقصد هنا بعبارة الكون المتحجرالحتمية سواءأكانت هي الجبربالمعنى الديني أم مثالية**"هيجل"** (73) **Hegel** وقوانين جدل الفكر,

---

(73)هيجل جورج ويلهلم فريدريك:Georg Wilhelm Friedrich Hegel "ولد بتاريخ 27 آب عام 1770 في عائلة بروسية تنتمي إلى البورجوازية الصغيرة. كان والده موظفاً في الدولة البروسية. وبعد أن أنهى دراساته الثانوية في مدينته الأصلية شتوتغارت دخل إلى كلية اللاهوت الشهيرة في مدينة توبنغين. وهناك درس التاريخ وفقه اللغة الألمانية والرياضيات بصحبة صديقه هولدرلين الذي سيصبح شاعراً كبيراً فيمابعد. وقد مات هيغل بمرض الكوليرا عام 1831. أما عن كتبه الجماليات وفلسفة الدين وفلسفة التاريخ فلم تنشر إلا بعد موته عرف عن هيجل ميله الحاد الى التناقض والتعقيد, وقد دعا الى الأخلاق ونادى بالمسيحية."

أم بالتالي حتمية أوضرورة علمية,أي قوانين علمية تحسم تلك الحركة وهنا يكمن مفتاح فلسفته ,إذ كان قدإستشعرحرجا عميقا وهوفي شبابه من جراء الجبرية التي إلتقى بها بوصفه عالم نفس بيولوجي.وأدرك أن هذه الجبرية تعني وجود كون مكتمل وإنتهى تماما,كون المغلق لايعرف معنى الجبريةوالتجديد.وتساءل:كيف السبيل إلى الحرية إذن؟ إنه يجدها في تأكيد القوى العنيفة بأن الكون ليس نظاما على الإطلاق,بل كثرة من الأحداث المتباينة التي لاتكاد تربطهاعلاقات متبادلة,والتي تحدد نفسهابنفسها.قال"**جيمس**":"**الكون عملية كبرى ممكنةالوجود,وهويؤكدالكثرة الجوهرية.**" (74) ومن ثمة تبدو فلسفة "**جيمس**" فلسفة يمكن وصفها بأنها فسيفسائية,أوقل أحداثا كثير متداخلة أومتخبطة غيرمستمرة ولامستقرة,متشابكة ,ملونة حزينة.إنه يقف بوعي الإنسان عند حدود المحسوس المباشر.لذلك ليس غريبا أن يصف نفسه بأنه فيلسوف حرية الإرادة, ولكن بمعنى الإنفلات من الحتميةالعلمية,ورفض قيد القانون العلمي أوقفص الواقع الموضوعي.ومن هنا تعني حرية الإرادة عنه,التحررمن قيم الماضي ومن كل ما قد يعوق حرية المرء في الكسب والمغامرة وتحديد صورة المستقبل الذي ينشده وأن لا يكون سجين الماضي.والماضي هنا هوالثقافة والتراث والفكر والتاريخ والنظريات العلمية عن المجتمع والإقتصاد أوغيرهما وقد أعلن "**جيمس**" رفضه الصريح لكل مظاهرالحتمية,وباتت الحرية عنده في التباين التلقائي أوالعفوي.ولكن أي حرية يريد وأي فرد يقصد جيمس؟ الحرية هي حرية الإرادة الفردية التي تحتكم إلى المصلحة الذاتية.فالناس جميعا سواسيةلا فرق بين هذا أوذاك إلا بالعمل أي العمل الناجح المربح.إن مسألة الإرادة الحرة هي مسلمةأخلاقية عن الكون,المسلمة القائلة بأنما ينبغي أن يكون يمكن أن يكون,وأن الأفعال السيئة ليست قدرا مقدورا,وأن الأفعال الخيرة (أي ما أراه أنا خيرا) يجب أن تكون ممكنة،بدلا من تلك التي أراها سيئة,ولكن إذا كانت المسلمات العلمية والأخلاقية تتصارع مع بعضها البعض ولن نجد برهانا موضوعيا,فليس أمامنا من مسارغيرالإختيارالإرادي الفردي،وحرية الإرادة ضرورة معنوية لأنها إختياروومحاولة للتغلب على المقاومة.

---

(74) James ,W:Pluralistic Universe (Dodo Press) Centenary edition (May 18, 2007).,p83

بل إن الفرد عند **"جيمس"**حر أيضا من**"القانون الفردي"** فالإرادة بمعنى فعل قائم على حصاد خبرة سلف وخلف,ودراسة لواقع موضوعي بل هي إختيار فردي محصور في إطار خبرات ذاتية في ضوء المصلحة,إذ يقول **جيمس:"أريد أن أؤكد قبل كل شيء أن فعل الإرادة هوأولا علاقة ليست بين ذاتنا وموضوع خارج العقل,بل علاقة بين ذاتنا وحالات عقلنا."** (75)

ثم يمضي**"جيمس"** قائلا:**"خلاصة القول إن الإرادة واقع نفسي أومعنوي خالص و بسيط , ويكتمل مع تحقق حالة الإستقرار للفكرة و يمكن أن نضيف قائلين:إنها تكتمل عند مصالحة الذات مع ذاتها في إطار أفكارها وتجنب الضرر والأذى."**(76)ويحذرنا **جيمس** من التعلق بأوهام الحديث عن واقع موضوعي,والقول إن حرية الفرد رهن بفهم قوانين حرية هذا الواقع لإختيارالمستقبل,مستقبل الفرد الذي هومكون إجتماعي.

يرى « **وليام جيمس**» أن من غير المجدي الإعتماد على العقل والعلم في حل المسائل العقائدية الهامة ,كقضية (الإيمان بالله) مثلاً,فمثل هذه المسائل لايمكن حلها إلا بالإعتقاد على الشعوروالإرادة. والوهم و الحقيقه تظل من الأضداد التي تتصارع شأنها شأن غالبية الأشياء المتضاده؛ولو أن هذا الصراع التضادي قد قوضهُ منطقياً**"هيجل"**الذي ألتهّم فلسفة ما قبله وأسندّ نفسه لمن بعده, فالتناقضات حتى ولودحض**"هيجل"** تضادهاوحاول التوحيّد بينها صيرورياً تظل حقيقه عيانيه للفكر البشري بأنها مهما منطقنا توحدها أنها تضادات وليس توحدات,والوهم والحقيقه حديّن منفصلين ولكن صيرورياً أحدهما يقود للآخر,فلكّي تتحرر من الوهم وتذهب للحقيقه على الأقل العيانيّه لابد أن تحررعقلك مما تتصورهُ حواسك وما تتعرض له من تفاعلات حياتيه .في الفلسفه الافلاطونيه رسّخ لديه فكر المُثل, ورسخ لديه فكر المدينه الفاضله ورسخ لديه فكرة الكهف(صراع الحقيقه والوهم),الكثيرمن الناس يعلم عن مدينة أفلاطون ولوبشكل بسيط ,والكثير يعلم عن المُثل الأفلاطونيه (التصورات),ولكن كهف أفلاطون ربما ظل الحلقه الأكثر جهلاً من الغالبيه الضالعين بالفلسفه أوغيرهّم ,فالفكره ربما لا تحتاج لتوضيح كبير وشرح فلسفي عميق,الفكره بإختصار تقول لنا بأن من يعيش حياته في ظل ضروف معينه تحيط به تصبح هذه الضروف هي الحقيقه لانهُ مارسها طوال عمره,ولذلك يرفض الإنسان أي حقيقه أخرى حتى لو كانت هي الحقيقه بعينها والوهم ما يؤمن به هوويعتقده.

---

(75) James William The Varieties of Religious Experience 1902 Centenary edition 2002,p15

(76) Cousin (Victor), Cours of the history of philosophy. Vol.II., New.York: D.Appleton & Company, 200Broadway. MDccc LII.,p112

2- المطلب الثاني: في السحر:

يرى"**وليام جيمس**"«William James »أن مصدر الإكتشاف الجديد ينطلق من المسائل التي لم تدخل تحت قاعدة علمية في مقابل ما نظم وسلم به من حقائق ثابتةو هذه المسائل نادرا ما يصادفها المرء وغالبا ما يتجاهلها حين يصادفها لكن النوابغ هم الذين يجهدون أنفسهم في محاولة وضع هذه المسائل تحت قاعدة بعد البحث فيها وراستها،ومن أهمها نجد الظواهر الروحية الغامضة المتعلقة بالمسو الجن، الأشباح، الغيبوبة، الوجد، الشفاء بالرقى والتعاويذ و خوارق العادات ...الخ ،إضافة إلى أن هناك أشخاص يتصفون بقوى غريبة تؤثر على محولهم من أفراد أو أشياءغير أن العلم الأكاديمي لا يعنى بهذه الظواهر ولا بإعتقادات هؤلاء الأشخاص لأنه لايعترف بوجود الحقائق التي لاتبدو منسجمة مع قواعده العامة و أما الطب فينفيها ويقول بأنهامن عمل الوهم والخيال.ومن هنا يتضح لنا الجدل القائم بين النظرة العلمية التي تكون على حق فيما يتعلق بالنظريات وبين النظرة الروحية التي تكون على حق فيما يتعلق بالواقعيات مثل التنويم المغناطيسي،العلاج الطبيعي،العلوم الإلهامية التي وصفت بالخرافات ولكنها إعتبرت فيما بعد حالات يمكن أن يكون لها أساس في الواقع .

ويعتقد"**جيمس**"أن كل من يفطن إلى هذه المسائل التي يعتز بها الروحانيين ويفكر فيها على نحو علمي فإنه يكون في خير مركز يسمح له بخدمة الفلسفة ،وأهم من تبنى هذا الإتجاه أي الإتجاه العلمي لهذه المسائل هي جمعية البحوث النفسية التي تأسست بإنجلترا بجماعة من المثقفين سنة 1882م، ويعتبر Sidgwick Henry من أهم أعضائها و أكبر ناقد فيها، إضافة إلى نائبها Belfour Arlthur بلفور آرثر"، ومن أعضائها في الفلسفة الطبيعية نجد،"لودج"(Lodge)ومايرز (Mayres).

ثم انتقلت هذه الجمعية إلى الولايات المتحدة الأمريكية بفضل الدكتوروالسكرتير الأمريكي الذي كان مقتنعا بحقيقة الكثير من المسائل المسماة بالمسائل الروحية و هو هدجسون (Hodgsen)، فكانت المهمة الأساسية لهذه الجمعية هو القيام بجمعمعلومات متعلقة بظهورالعفاريت والخيالات و المنازل المأهولة بالجن وإجراء عليها تحليلا علميا وإختبار الأدلة الشاهدة على ما وراء الطبيعةو عمل تجارب منظمة على الأشخاص الذين يتعرضون لمثل هذه المسائل الروحية. (77)

---

(77)جيمس وليام:إرادة الاعتقاد، ترجمة محمود ،حب الله، داراحياء للكتب العربية دط بتاريخ 1947 .ص15-26

و أول أعمال هذه الجمعية هو بحثها فيما يسمى "**بتجاوب الأرواح**" بمعنى إهتمامها بالتجارب حول معرفة ما في الضمير(بنات قس) يعتقدان بأن لهما قوة خارقة في حدس الأسماء و الموضوعات التي يفكر فيها الأشخاص الآخرون،وبعدهاالاهتمام بالتنويم المغناطيسي ولعل أشهر التجارب كانت فيما يتعلق بالكتابة الأوتوماتيكية و التي بينت بأن الإدراك في حالات التنويم المغناطيسيستقر في بؤرة من بؤرالتوترمتأثرا بالاقتراحات الموجهة أثناء النوم،ثم يعبر عن نفسه،بعد ذلك بحركات إضطرارية، ويعدُ هذا إكتشافا جديدا في علم النفس التجريبي.

إضافة إلى هذه الأعمال ما تستحق الذكر هو تلك الظاهرة المتعلقة بالوساطة المادية والنظرة البلورية، وكذلك ما يسمى بـ"**النفس التي لا تدخل تحت الإدراك أو ما وراء دائرة الشعور من النفس**"(78) حيث أن البحوث المتعلقة بالخيالات والأوهام والكتابة الأوتوماتيكية و التنويم المغناطيسي كلها ظواهر متعلقة بهذه النفس اللاشعورية.وهو الأمر الذي لاحظه جيمس بإعتباره كان من المتعلمين في عملية الإحصاء الأمريكية حول ظهور الخيالات لأشخاص أصحاء وتوصل إلى نتيجة و هي أن كلنا لنا نفوسا كامنة قد تظهر في أي وقت على حياتنا العادية و هي عبارة على مخزونا من مدركاتنا المنسية لا نعرف شيئا عنها في ناحيتها العليا.غير أن العلم الحديث،لا يهتم بهذه التجارب ،باعتبار العلم في شكله عبارة عن نظم وقواعد وممثلا لمجموعة من العقائد،كإعتقاد أن نظام العالم نظاما ميكانيكيا و أن كل ما هو ليس بميكانيكي من الطرق هو طريق عقيم. و هذا ما تؤدي إلى إلغاء كل طرائق التفكير الأخرى للإنسان كالتفكير الديني،الخلقي، الخيال الشعوري والتفكير الغائي و العاطفي، فهذه المسائل بالنسبة للنظرة العلمية هي خارجة عن الدائرة العلمية.

وفي الأخير يرى "**جيمس**" أن التطرف الذي قد يؤدي إليه الإتجاه الرومانتيكي الشخصي في الحياة إذا لم تهذبه النظرة العلمية العقلية العامة يكون خطرا على العلم و هذا هو سبب كره رجال العلم لذلك النوع من التفكير،ولكن و بالرغم من نظرة العلم فإن جيمس يعترف بالإستحقاق الكبير لأعمال هذه الجمعية لما توصلت إليه من براهين على صدق العديد من المسائل،و بينت أن هناك أساس منطقي لما كان يفسرمن قبل على أنه خرافة وضلالة ،فهي تستمد معارفها من التجارب العلمية بجمع البيانات المتعلقة كلهابتجارب

1- حقيقية للأفراد و التي تشترك في أمور ثلاثة:
غرائب لاتبدو مرتبطة بشيء آخر.
2- تحتاج إلى شخص غريب(شاذ) لكي تقع على يده.
3- أهميتها ترجع للأشخاص الذين تتعلق بهم خاصة.

(78) جيمس وليام:إرادة الاعتقاد، مصدر سبق ذكره،ص28-35

3- المطلب الثالث: في العلم:

يمكن تحديد معنى الوهم في العلم،بأنه معلومة أو فكرة مخطئة يعتنقها فرد أو مجموعة أفر اد إقتناعاً بها أوبواحد أو آخر من معتنقيها،ويقيمون مواقفهم النظرية والعملية عليهاواإذا كان صاحب الوهم أصيلاً لا تابعاً، فأخطاؤه تأتي عموماً من عوامل مثل عدم تحديد موضوعه أو نطاق عملهواإقتصاره على شواهد محدودة،وخلل في مرحلة أو أُخرى من عملية الإنتتاج.ومن أبرز الأمثلة على الأوهام ظاهرة واسعة الانتشارتمثل حيِّز اً كبير اً في علم النفس الاجتماعي، هي ظاهرة التحيُّزأو الإنحياز(79) **Prejudice** ، التي لا ينجوالعلماء أنفسهم منها،وبينهم علماء نفس وعلماء اجتماع يحاول كل نَفَر منهم نَفي الشرعية أو الإستقلالية عن منهجية الفريق الآخر وخَفْضها إلى منهجيته هو.

*** أوهام العلم وهي تتمثل فيمايلي:1- العلم مصدر المعارف والمواقف الوحيد:**لعلَّ أخطر أوهام العلم ذلك الإعتقادالواسع الإنتشار القائل بأنالعلوم هي المصدر الوحيد للمعارفـوالمواقف والقيم.ولئن سلَّمنا بأنَّ العلوم هي المصدر الأول للمعارف،فإنَّ المواقف والقيم لا تأتي منها، بل تأتي من حقول كالدين والفلسفة.فالعلوم حيادية خلقيا او قيميا،في إستطاعة الإنسان تسخير نتائجها للهدم كما للبناء.

2-التفسير الآلي للوجود ينفي التفسيرات الغائيَّة:

الوهم الثاني يذهب إلى أنَّ التفسير الآليَّ للوجود هو التفسير الوحيد الممكن عقليا،وأن كل نظرة غائيَّة إلى الوجودهي نظرة غير صحيحة لأن الطريقة العلمية لا تؤدي إليها.وللنظر إلى هذا الوهم ضمن إطاره،لا بدَّ من إستذكار الثورات العلمية المتتالية منذ القرن السادس عشر،بدءاً بالفلكي البولوني **نيكولاس كوبرنيكوس (1473 – 1543)**الذي برهن بالدليل الإختباري أنَّ الأرض تدور حول الشمس،بعدما كان الاعتقاد المؤيَّد من الدوائر الدينية أن الشمس تدور لأنها تبدو هكذا للعيان،وأن الأرض قائمة في وسط الكون.وتلاه الفلكي الإيطالي"**يوهانز كيبلر**"**Johannes Kepler**(80) **(1571 – 1630)**ليؤيِّدسلإتنتاجه لجهة دَوَران الأرض حول الشمس وليثبت،بواسطة التلسكوب الذي إبتكره،أن القمر ليس جسماً كروياً تاماً، لكنه مليء بالجبال والأودية،وفي حين ساد الأوساطَ العلمية طويلاً الاعتقادُ القائل بأن الأجرام السماوية محمولة على أجنحة ملائكة،رفض الفيزيائي الإنجليزي "**إسحاق نيوتن**"**Isaac Newton (1642 – 1727)** تلك الفكرة وأَحدثَ نظرية الجاذبية. لكنه كان يأتي بالله إلى المشهد كلما لاحظ شذوذاً في حركة الأجرام عن قانون الجاذبية – لا ليبرهن وجود الله، إذْ كان مؤمناً به،لكن ليفسر ذلك الشذوذ.

---

(79)/من أبرز الكتابات في علم النفس الاجتماعي حول ظاهرة التحيُّز الكتاب الآتي:

***Gordon Allport, The Nature of Prejudice, Cambridge (Mass.): Addison-Wesley, 1954.**

(80)*يوهانز كيبلر "Johannes Kepler (1571 – 1630) عالم رياضيات وفلكي ألماني كان اول من وضع قوانين تصف حركة الكواكب بعد إعتماد فكرة الدوران حل الشمس كمركز لمجموعة الكواكب من قبل كوبرنيك و جاليلي ولد في عام 1571م ، ورحل في عام 1600م إلى براج ، وعمل كعالم فلك في بلاط الإمبراطور رودلف الثاني.وتوفي في 15 نوفمبر1630 وهو في التاسعة والخمسين من العمر

وما لبث الفلكي الفرنسي "**بيير سيمون لابلاس Pierre-Simon Laplace** "**(1749 – 1827)** أن بَيَّن شمول قانون الجاذبية بإظهاره أن تلك الحركات ليست شاذة حقًا،لا بل هي ضرورية لحسْن سَير ذلك القانون.ويُروى أن الإمبراطور نابليون سأل لابلاس عن سبب إبقاء الله خارج نظامه العلمي، فأجاب – وهو مؤمن أيضـًا – أنه لا يحتاج إلى تلك الفرضية لرفْضه إدخال الله إلى نظرته العلمية كإله ثغرات أو إله فجواتحتى إذا سُدَّت هذه الثغرات انتفت الحاجة إليه.هذه الثورة العلمية جَعلت بعض العلماء والفلاسفة يستنتجون أن الطبيعة نظام قائم في ذاته، يعمل وفق سببيَّة آليَّة لا مكان للغايات فيها.وصارت اللاغائيَّة من مرادفات الطريقة العلمية، وامتَدَّت من العلوم الطبيعية إلى العلوم السلوكية لتَكتسب إسم "الحتميَّة" **Determinism**.لكن إذا كانت الغائيَّة مسألة خارج حدود الطريقة العلمية، فهذا لا يعني أنها يجب أن تكون خارج حدود العقل. تفسيرنا لكسوف الشمس، مثلاً، لا يتمُّ بقولنا إن الشمس شاءت هذا. لكن تفسيرنا لفعل إنساني لا يحصل إلا على هذا الأساس.حتى على صعيد الأحداث غير العاقلة، حيث يمكن النظر إلى الطبيعة كآلة ضخمة تؤلّفها مجموعة من الآلات الصغيرة،ما الذي يمنع أن يكون هذا النظام الآلي البديع كلُّه خَلْقَ الله، وكله مخلوقًا لهدف؟ ليس من الضروري أن يكون أي شيء في فيزياء نيوتن أدَّى إلى انهيار الإيمان الديني. لكن العقل الحديث افترض ذلك.ولا شيء في فيزياء نيوتن يمنع الإيمان بهدف كوني. لكن العقل الحديث افترض أنه يفعل... وكل هذه الدلالات الضمنية المختلفة دليل على تشوش منطقي مخطئ**(81)** ولئن كانت العلوم تكتفي بالأسباب الآلية ولا تتطرق إلى الأسباب الغائية لأنها تقع خارج الطريقة العلمية وأهداف العلم، فهي تكتفي بدراسة جانب واحد من الوجود ومن التجربة البشرية، لعلَّه الجانب الأصغر.

3-العلم يُبطِل الدين:

هوأن العلم والدين، في نظر عدد من العلماء والمفكرين الذين يحتكمون إلى العلم، يناقض أحدهما الآخر. ويتابع هؤلاء أن عصرنا اليوم هوعصر العلم،ولا مجال فيه للدين وللإيمان الديني.ويضعون خطًا فاصلاً بينها، يثبتون على جانب منه العلم وعلى الآخر الدين.وكل ما يصنفونه كصفة إيجابية للعلم يقابلونه بصفة سلبية للدين. هكذا يضعون تحت الدين صفات كالجهل والشك والخرافة والانغلاق والتعصب، وتحت العلم صفات كالمعرفة واليقين والعقل والانفتاح والتسامح. فالعلوم في نظرهم، سواء أكانت طبيعية كالفيزياء والكيمياء وعلم الفلك وعلم الأحياء، أم علم النفس،تقوم على دراسة العالم الذي نعيش فيه بهدف أن نعرفه ونسيطر على ما استطعنا من محدوديات وضعنا البشري ونوجِّه حياتنا نحو الأفضل.والتقدم الذي أحرزته العلوم منذ العصور القديمة حتى اليوم إنما تَحقق، حسب دعاة هذه النظرة، بهجر الدين وخرافاته وكشف المبادئ والقوانين التي تحصل بموجبها الأحداث.

---

(81)T. Stace William, Religion and the Modern Mind, London: Macmillan, 1953.p128

من أسباب الشقاق بين العلم والدين التفسير المرحلي للنشاطات الإنسانية، الذي إتخذ أوّل شكل واضح مع المفكر الفرنسي"**أُوغست كونت August Comte** (82)"**(1795–1857)**.ففي كتاباته عن"**الفلسفة الإيجابية**"، شرح كونت ما سماه "قانون الحالات الثلاث"(83)وهو أن الفكر البشري،على مستوى الفرد والحضارة، يمر في مراحل ثلاث:المرحلة اللاهوتية،المرحلة الميتافيزيقيةالمرحلة الإيجابية.طريقة التفكير اللاهوتية تأتي في مرحلة بدائية.وهي طريقة "خيالية"،حسب وصف "**كونت**"،يحاول الإنسان بواسطتها أن يفسر كل ظواهر الطبيعة كما لوكانت النتيجة المباشرة لكائن فوق الطبيعة أوكائنات عدَّة من هذا النوع. في المرحلة الثانية تأتي طريقة التفكير الميتافيزيقية،وهي الطريقة التي يحاول الإنسان بواسطتها تفسير مصادر الأشياء وطبائعها، مستعيضاً عن لكائنات المتعالية بمبادئ مجردة.هنا تحلُّ مثُل أفلاطون، مثَلاً، محل آلهة الاغريق القديمة.في المرحلة الثالثة والأخيرة، يكون الإنسان قد ترك البحث عن المفاهيم المجردة والمطلقات،ومنها أصل الكون ومصيره،لكي ينصرف إلى دراسة القوانين العلمية الصارمة،أي علاقات المشابهة والتتابع بين الأشياء.ما يميز هذه المرحلة عن سواها أن كل التفسيرات فيها قابلة للاختبار لأنها نتيجة مراقبة.ولا مكان في هذه الطريقة للتفسيرات السببية اللاهوتية والميتافيزيقية،لأنها سابقة للعلم.ودعا كونت إلى أن تصير الطريقة العلمية أوالإيجابية طريقة كل الدراساتوإلى أن تحل "فيزياء المجتمع"محل الميتافيزيقا، فتغدو الفلسفة دراسة علمية للمجتمع وأداة فاعلة للانسجام الاجتماعي والسعادة الإنسانية.

إنالعلم الحديث يريد أن يضع يده على عالم الواقع ,لأن يكون تأملا جدبا لعالم خيالي.غير أننا قد ننحرف عن جادة الصواب إذا إعتقدنا أننا بذلك نستبعد تلك الفلسفة الإنسانية, فلسفة **أفلاطون و أرسطو** , التي تستهدف تركيب عالم معقول يقوم على العالم المحسوس الذي تضل فيه عقولنا.وتميل الفروض العلمية بوجه عام إلى أن تضع في العلم الوحدة أوالبساطة أو الإتصالو هذه الخصائص ليست وقائع من ثمرة الملاحظة لأنها تظهر أولا أنها مقابل الحقيقة.بل أنه ليعسر التوفيق بينها لأن عالمنا ما دامت كثرة أجزائه لا نهاية لها ,فأن ترغب أن يكون واحدا كأنك تتطلب من كل أجزائه أن يؤثر بعضها في بعض و أن يتأثر بعضها ببعض مما يجر إلى تعقيدلا خلاص منهو الأمر كذلك في البحث عن الإتصال لأنه إبتعاد عن البساطة التي من الأفضل أن تضمنها كثرة من المقولات تتميز فيما بينها تماما.فما هي إذا هذه الغايات التي ينشدها العلم إن لم تكن قوانين يفرضها العقل على الأشياء ,لأنها بمقتضى طبيعته لا يستطيع أن يتقبلها كما تعطى له بالتجربة البحتة.ولما كات الوحدة والبساطة و الإتصال تؤلف ما يسمى بالتعقل , فليست أي حياة ذهنية كيفما إتفقت هي التي تتجلى في الإختراع العلمي,بل الحياة الخاصة بذكاء و عقل تمتاز بنموذج معين من التعقل .

---

(82)أوغست كونت August Comte " (1795–1857) عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي ، أعطى لعلم الإجتماع الاسم الذي يعرف به الآن ، أكد ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة ، إلا أن كتاباته كانت على جانب عظيم من التأمل الفلسفي ، ويعد هو نفسه الأب الشرعي والمؤسس للفلسفة الوضعية. القائلة بأن لا سبيل إلى المعرفة إلا بالملاحظة و الخبرة. يعتبر تلميذا لـ سان سيمون وهو فيلسوف فرنسي.ومن أهم أعماله كتاب " الفلسفة الوضعية" الذي ظهر لأول مرة في ستة أجزاء (1830- 1842). يرى كونت Comte أن تاريخ البشرية ينقسم إلى ثلاث مراحل من التقدم الشامل ، و المرحلة الدينية ؛والمرحلة الميتافزيقية، ثم المرحلة العلمية. قدم مقترحات على جانب كبير من التعقيد لإقامة دولة وضعية تقوم على صفوة من علماء الاجتماع لإدارة المجتمع وتوجيهه. وأنه أعطى المناقشات التي أدت إلى ظهور علم الاجتماع الحديث الدفعةالتي حركته وفعّلته.

(83)-Bourdeau Michel, Les trois états chez Auguste Comte, Paris: Cerf, 2006.p17

أهذا كل شيء؟ أليس العقل أداة العلم ؟هل للعمل الذي يحققه العلم غرض خارج عن ذاته ؟ و هل يرمي فقط إلى العمل بالمعنى النفعي لهذه اللفظة ؟ يلوح من العسير إنكار علم مجرد عن الهوى موجود عند الإنسان,أو إن شئت علم إهتمامه الأخير هو العلم ذاته. حقا لايزال كثير من العلماء في الوقت الحاضر يحملون لواء الفكر اليوناني ويقولون مع **أرسطو** بالعلم لذاته و أنه :" **مع أن كل المهام ألزم من مهمة العلم لكنك لا تجد أي مهمة أفضل منها.**"(84) قد يعترض على هؤلاء المفكرين بأنهم يتخذون من الوسيلة غاية و هذا الإعتراض جائز ولكن هذا التبديل الذي يرى فيه البعض خطأ هو قانون عظيم من قوانين الطبيعة واحد من موارد خصبتها .فمع أن المادة إنما هي وسيلة بالنسبة للحياة إلى أن الطبيعة تظهرها كما لو كانت غاية في ذاتها وغريزة الحيوان التي ليست بالنسبة للإنسان سوى وسيلة تعد عند الحيوان غاية ,ويرجع ضخامة النمو الإنساني إلى أن كل فرد يقدر مهنته تقديرا غريبا فيتصور أنها غاية بل أنها أسمى كل الغايات و أشرفها.وليس الجميل إلا خصائص معينة للأشياء فصلت على حدى,وما اللعب ؟ أليس هو مجرد الرياضة بملكاتنا وكأن هذه الرياضة غاية في ذاتها.وماذا يهم في نطاق نهاية المطاف أن يكون الشيء في أصله وتبعا للتطور التاريخي غاية أو وسيلة ؟ إن تقدير قيمة الأشياء لا يقوم و لا يتوقف على دورها الغائب,فإذا أراد الإنسان أن يرفع العلم فوق النافع ,أوأن يقرر أن العلم نفسه هو المنفعة القصوى فكيف نثبت له أنه مخطأ ؟ إذا نظرنا إلى أحكام الناس العملية رأينا أنهم يجدون لذة في قلب...للوسائل و الغايات, فيرفعون إلى أعلى درجة ما لم يكن في الأصل إلا ثانويا أدنى,و هذا هو الأصل في الغالب لكل ما يحدث من جديد وعظيم,ومع ذلك فالعلم حين نجرده من المنفعة بمعنى الكلمة لا يتحول لهذا السبب وحده إلى غاية مطلقة,بل يصبح وسيلة لنمو العقل الذي كما يقول ديكارت:يحتاج إلى أن يرضع لبان الحقائق حتى يوجد وينمو ويتحدث تبعا لطبيعته,و العقل ككل كائن لا يوجد إلا حين يفعل , فهو يتكون بنفس فعله,وهو يخرج بالعلم الذي هو أكمل أفعاله الفكرية إلى الفلق ما يشتمل عليه من قوى فكرية.و هكذا ليس العلم عملا من أعمال الطبيعة التي لن يكون الشعور إلا مسرحا لها,وليس كذلك مجرد حشد من المعلومات,المنفعة هي علة وجودها.ولكنه نشاط محدد,إنه النشاط الإنساني نفسه من حيث أنه نشاط عاقل بصير بالعلم،لا يستطيعون القول بالآليَّة ولا بالإلهيَّة ولا بالحتميَّة.هذه مقولات لاتنتمي إلى العلم.

---

(84)Alan Richardson, Religious Truth in an Age of Science, inaugural lecture, University of Nottingham (England), 1954, p 10

4- المطلب الرابع: في الدين:

إنَّ النظرة المادية أوالآليةإلى الوجود، التي تتحوَّل إلى حتمية عند الحديث عن السلوك البشري، ليست نظرية علمية،وإن أُعطيت بإسم العلم وسُخِّرت لها شواهد علمية. فالعلماء،إلى حد إشتغالهم وبعض الفلاسفة المحتكمين إلى العلم وأتباعَهم يروجونرأءهم ونظرياتهم كما لو كانت صحيحة ويقينية، لمجرَّد إلصاق صفة العلم بها.

وكان"**وليام جيمس**"«**William James** » قد تَنبَّه إلى هذا الأمر حيث كتب،في أواخر القرن التاسع عشر،أنَّ **في العقل البشري نزعة طبيعية ومادية متأصلة،لا يمكنها التسليم إلابالحقائق الملموسة فعلاً.وتجد هذه النزعة فيما يسمَّى علماً وثنها المعبودوإحدى العلامات لمعرفة العابد هي ولعه بكلمة "عالِم".وهناك طريقة قصيرة للقضاء على أي رأي لا تؤمن به هذه النزعة،هي وصفه باللاعلميَّة**"(85).من هنا أنطلق إلى تعيين بعض أوهام الدين،علماً أن رأي "**وليام جيمس**" هذا ورد في إطار الردِّ على زعم بعض العلماء والفلاسفة المحتكمين إلى العلم أن الظاهرة الدينية تدخل في عداد الظواهر المرَضية، وأن واجب العلم دراسة أعراضها وأسبابها ونتائجها تمهيداً لإيجاد العلاج الملائم لها.

***أوهام الدين** :

1-**العلم يبرهن عن وجود الله**:

الوهم الأول في هذا النطاق هوإقتناع بعض ممثلي الفكر الديني– وبينهم عدد من العلماء – بأن العلم يبرهن عن وجود الله. فالعلماءعبر مراقبتهم كل ما في الوجود ودراسته في مختبرات الكيمياء والفيزياء وعلوم الأحياء وطبقات الأرض والبحار والفلك وما إليها،لا بدَّ من أن يقفوا مندهشين أو منشدهين أمام أمرين: حقيقة وجود الأشياء وكيفية وجودها.إذا نظرنا الآن إلى هذا الوهم الديني،في جانبيه المتعلقَين بالوجود المحض وكيفية هذا الوجود، لرأينا أن ما يجعله وهماً ليس قسيره لفعلَي الخَلق والنظام،بل محاولته إرساء هذا التفسير على العلم أوالطريقة العلميةالعالِم لا يحتاج،في حدود عمله،إلى أيِّ نجدة ميتافيزيقية، سواء على هيئة العلة الفاعلة أو العلة النظامية،من أجل قيام علمهوإستمراره.فالعالَم هناك،وكفى.وهو يعمل بإنتظام،والعلم يتحرَّى هذا النظام في إطاره الطبيعي.وبُ عالِمٍ كان غير مؤمنولم يَعِب عدمُ إيمانه علمَهوبُ عالِمٍ كان مؤمناً، من غير أن يسعف علمَه إيمانُهوإننا لواجدون من العلماء،ضليعهم وضئيلهمَفَراً كبيراً على أحد جانبي الإيمان واللاإيمان،أوفي مكانأو آخر بينهما .

---

(85)**William James, Essays in Popular Philosophy, New York: Longmans, Green and Company, 1896, pp. 52 – 53.**

2-الدين يكمل ما يعجز عنه العلم : (86)

الوهم الثاني من أوهام الدين هوالقائل بأن الدين يكمل ما يعجز عنه العلم.ويذهب أصحاب هذه النظرة أوضحاياهذا الوهم إلى أن العقل يأخذنا بعيداً جداً على طريق المعرفة،وإلى أن العلوم الكثيرة التي إبتكرها الإنسان تزوّده بالأجوبة الملائمة عن معظم الأسئلة التي يحتاج إلى طرحها في حياته.إلا أنه يصل إلى نقطة تعجزعندها هذه العلوم عن الإجابة.وهنا بالذات يأتي دَور الإيمان الديني،الذي يتجاوزالعقل كما يُقال.

ويجدرالتذكيرهنا بموقفَ الفيزيائيَّين "نيوتن ولابلاس"في هذا المجالفطالما عمد نيوتن،كما مرَّ معنا، إلى نظرية التدخل الإلهي كلما لاحظَ شذوذاً عن مبدأالجاذبية.وسرعان ماأفضت هذه الطريقة إلى نتيجة مضحكة عندما إستطاع لابلاس إعادة تلك الحركات الشاذة إلى حضن القانون،وهي أن الإله"العلمي"الذي لاذَ به نيوتن هوبمثابة إله ثغراتها إنْ تُملأُ بالمحتوى العلمي الصحيح حتى يُستغنى عنه.لذلك آثَر لابلاس إبقاء الله – وهو كان مؤمناً به عن غير طريق العلم – خارج نظرته، خوفاً ألا يكون مصيره خيراً من مصيرإله نيوتن.وما حاوله نيوتن يشبه ما يحاوله بعضمفسِّري الخوارق أوالمعجزات بإدراجها في نطاق الأحداث المجهولة الأسباب.لكن ماذا يحصل بمفهوم المعجز لدى العثور على الأسباب؟ لقد رأينا أن تاريخ العلوم يزخر بتطوُّرات هائلة في التفسيرات السببيةيغدو معها المجهول معلوماً.

وإذا استطعنا اليوم تفسيرما عجزنا عن تفسيره أمس، وفَسَّرنا غداً ما نعجز عن تفسيره اليوم، فهذا يوصلنا إلى نتيجة مربكةهي أنَّ إعجاز الأمس قانون اليوم وإعجاز اليوم قانون الغدوفي هذا معنى ضعيفٌ جداً،لا بل مرفوض، للمعجز.هذا الوهمالقائل بأن الدين يتابع ما يعجز عنه العلم يفتح مسألة فلسفية كبيرة،هي مسألة تَجاوُز العقل المرتبطة بمفهومَي الموضوعية والذاتية.

هناتصنَّف الحقائق العلمية تحت الموضوعية العقلية،فيما تصنَّف الحقائق الدينية تحت الذاتية التي تتجاوزالعقل،حيث الموضوعي يشير إلى الشامل واليقينيّوالذاتي إلى الفردي أو الأقل شمولاً ويقينيةً.هذا يعني أن تصنيف الحقائق الدينية في النطاق الذاتي هوتسليم بافتقارها إلى الشمول أو إلى الدرجة اللائقة من اليقين.فتصريحنا بأن الله موجود يغدو،في ضوء هذه النظرة،أقل يقينيةً من تصريحنا بأن هذه الصفحة موجودةلكن ما من مؤمن جادٍّ يمكن أن يقبل بهذه النتيجة،لأن وجود الله، بالنسبة إليه،أمرلايقل موضوعيةً ويقينيةً عن وجود هذه الصفحة. والأحرى إعادة النظر إلى الذاتية والموضوعية كمفهومَين نسبيَّين،بمعنى أنه ليس هناك ذاتية واحدة ولا موضوعية واحدة.فموضوع المراقبة العلمية مختلف عن موضوع التذوُّق الفني أوموضوع التأمل الديني،وموقف الذات يختلف بالتالي من موضوع إلى آخر.

(86)انظر: أديب صعب، نحو منهج موحَّد لفهم الدين، مجلة آفاق، بيروت، العدد 39، 2005، ص 6 – 13.

المبحث الثاني : عن نظرية الصدق عند وليام جيمس .

1/ المطلب الأول: مفهوم الصدق:

يبدأ**"وليام جيمس"** نظريته في الصدق:بتعريفه لكلمة (الصدق) حيث يقول: **"الصدق علاقة بين شيئين:فكرة,وواقع خارج عن الفكرة.ولهذه العلاقة أساس هوالأساس التجريبي الحسي لاالمطلق المجرد ونعني بذلك أنه يمكننا تعريف هذه العلاقة تعريفا تجريبيا خالصا ومن ثم وصفها وصفا محددا"**(87).

ويقول:**" يعني الصدق في الأفكارمطابقتها للواقع ويعني الخطأ فيهاعدم مطابقتها له ".**(88)

ويحسن – قبل أن نمضي في شرح هذه التعريفات – أن نضح بعض أفكارمتصلة بنظرية "جيمس" في الصدق.سنوضح فكرتين هما:قوله بأن الصدق مرادف للمنفعة,ومناداته بالنظرية الواقعية في الصدق .

2/ المطلب الثاني: موقف وليام جيمس من المذهب العقلي:

يعارض**"جيمس"**بنظريته في الصدق ما يراه المذهب العقلي,حيث يرى العقليون أن الصدق غاية معرفتنا, وأنه ليس من صنع إنسان بل هو شيء مجرد مستقل عن التجربة الحسية,وهو أزلي في وجوده سابق علينا,وما علينا إلا أن نسعى إلى معرفته .يهاجم"جيمس"هذا التصورالعقلي للصدق ويرى أن الصدق ليس غاية وإنما هووسيلة لتحقيق أغراضنا الفكرية والعملية – أي أغراضنا النظرية ومنافعنا في شؤون الحياة,ما يحقق أغراضنا هذه فهو صادق,وما لايحققها كاذب. والصدق إنساني الصناعة يعتمد في وجوده علينا,ونحن الذين نقول عن الفكرة أنها صادقة,وليس الصدق شيئا ذاتيا من جوهر الفكرة,الصدق في الفكرة علاقة خارجية عليها ونحن الذين نضيفها أوننكرها."هب أني فقدت في غابة,وأصابني الجوع ,ثم وجدت حظيرة البقر.يهمني جدا من ذلك أن أستدل على وجود بشر وراء هذه الحظيرة,وسيترتب على إستدلال ذاك بأنني سأتابع السيروأنقض نفسي". (89)

يقول **"وليام جيمس" :"إن هذا التفكير صادق لأنه مفيد,أومفيد لأنه صادق .ويصر ولا يتحرج من إعلانه بأن الصدق والمنفعة صفتان مترادفتان للفكرة"**.وأراد أن يوضح فكرته فقال **:"أسمي الفكرة صادقة حين أبدأ بتحقيقها تحقيقا تجريبيا,فإذا ما إنتهيت من التحقيق وتأكدت من سلامة الفكرة سميتها نافعة.إن الصدق أعلى مراحل التحقيق والفائدة أعلى مراحل الصدق".**(90)

---

(87)-عويضة، كامل محمد محمد، "وليام جيمس"، مرجع سبق ذكره،ص 76
(88)- المرجع نفسه، ص76
(89)- المرجع نفسه، ص77
(90) جيمس، وليام: البراجماتية، مصدر سبق ذكره،ص203

ويقصد**"جيمس"** من ذلك الذي يحدد الصدق للفكرة هو تحقيق للنتائج ,وفي محيط التجربة الجزئية فإذا كان التحقيق إيجابيا كانت الفكرة صادقة.وسيترتب على صدقها نتائج :منها أني سأستخدمها في تحقيق فكرة أخرى أوسأستخدمها في القيام بسلوك معين.وهذا هو معنى فائدتها ومنفعتها.أخطأ من أخذ فكرة المنفعة في نظرية **"جيمس"** للصدق بمعناها الضيق , فقد كان **"جيمس" يرى أن طلب المعرفة منفعة والفهم الدقيق لحقائق الكون منفعة ونحو ذلك .والشيء الثاني الذي أردت توضيحه قبل الخوض في طبيعةالصدق هو تقرير أن "جيمس" واقعي بالمعنى المعرفي(الإبستيمولوجي)لا بالمعنى الميتافيزيقي .(91)**

يعتقد **"جيمس"** أن للعالم الطبيعي وجودا مستقلا عنا سواء عرفناه أم جهلناه,أي لا يعتمد العالم في وجوده على إدراكنا له,إنه موجود الآن,وكان موجودا قبل وجودنا.وسيستمر في الوجود بعدنا. قلإنَ **جيمس ثنائي في المعرفة أي أن الذات العارفة والأشياء المعروفة نوعان مستقلان من الكائنات.(92)**

وتوجد أسباب كثيرة من أجلها رفض أن يتابع المثاليين سواء أكانو عقليين أو تجريبيين.

وجد **"جيمس"** أن في متابعة هؤلاء إنكار لحقائق التاريخ و للتجارب الماضية في حياة الإنسان.وإثبات هاتين الحقيقيتين من جوهر فلسفة جيمس في المعرفة.ويعتقد **"** أن حقائق التاريخ لا بد أن تكون مما نسلم به دون مناقشة ولذلك يقول :"...لولم نعتقد بأن موسى كتب الوصايا العشر لصارت كل عباداتنا باطلة و لو ما لا نعتقد بوجود حقيقي ليوليوس قيصر لما صدقنا شيئا في التاريخ ."وسيقول **"جيمس"** من بعد في إحدى أفكاره المعرفية أن التجارب الماضية جزء أساسي وعنصر هام في الواقع ,إذ يرى أن المعرفة الحقيقة هي توفيق بين العقائد القديمة والعقائد الجديدة وأن التجارب الماضية التي مربها الإنسان يمكن أن يفسر على ضوئها أفكاره الجديدة .

ويقول**أيضا:"إن الصدق مطابقة الفكرة للواقع** .وسوف نوضح ما كان يعنيه **"جيمس"** من الواقع والمطابقة للواقع الذي يتصوره ؟

كان يقصد به ثلاث عناصرأساسية:قصد به: أولا الأشياء والحوادث والوقائع الجزئية التي يمكن أن تبدو للحس. وقصد به: ثانيا العلاقات الكائنة بين هذه الأشياء والوقائع.(93)

---

(91)،((الواقعية المعرفية هي الإعتقاد بذات عارفة متميزة عن موضوعات المعرفة , و أن العالم الخارجي قائم لا يعتمد على الذات العارفة في وجوده. و الواقعية الميتافيزيقية هي الإعتقاد بأن الكليات ليست تجريدات من الوقائع الجزئية و إنما لها وجود حقيقي كوجود الجزئيات .و"جيمس" واقعي بالمعنى الأولي و "بيرس" بالمعنى الثاني)).

(92) ((إن جيمس ثنائي في المعرفة , ولكنه قال من بعد ذلك بنظريته في الشعور يدعو فيها إلى أن الفصل بين الذات و الموضوع باطل .ويعتقد جيمس أنه ليس متناقضا في ذلك بل يرى أنه ثنائي وواقعي و , إنما فسر الثنائية تفسيرا جديدا –قال ذلك حين إتهمه "برادلي" بالتناقض)).

(93) جيمس، وليام: البراجماتية، مصدر سبق ذكره، ص245

3/ المطلب الثالث: موقف وليام جيمس من التجريبين:

إعتبر"**جيمس**" مذهب **"دفيد هيوم" و"جون ستيوارت مل" والوضعيين** ناقصا في نظرتهم إلى العلاقات حيث ردوها إلى صياغة العقل لترتيب الأشياء,رأى "جيمس"أن العلاقات جزء من الواقع الحسي وتخضع للإدراك الحسي كالوقائع سواء بسواء ورأى "جيمس"أن العلاقات أنواع ثلاثة:علاقات بين الوقائع,وعلاقات بين الأنواع,وعلاقات بين الأفكار. وقدتحدث"دفيد هيوم"عن النوع الأول فقط و"لوك"عن النوع الثالث فقط وجاء"جيمس" ليتحدث عنهما معا,ليدفع الإتهام بأن"لوك"أو"هيوم"لم يصلاالأفكارلما تمثلها من أشياء ثم أضاف النوع الثالث من العلاقات.وكان"جيمس" قد قسم العلاقات تقسيماآخر فقال إنه يمكن للعلاقات أن تكون متغيرةأو عارضة, وثابتة أوأساسية.ومن أمثلة العلاقات العارضة العلاقات الزمنية والمكانية,ومن أمثلة العلاقات الثابتة علاقة العلة بالمعلول,وعلاقة الأنواع والأجناس بما صدقاتها وكذلك العلاقات الرياضية.ويقول**"جيمس"**:**"إن كل علاقة سواء أكانت متغيرة أم ثابتة,سواء أكانت بين وقائع أو بين أنواع أم بين أفكار"كلها موضوع للإدراك الحسي المباشر".(94)**

ولقدعلم **جيمس** أنه قد توجد صعوبة إذا قلنا إن علاقة العلية أوالعلاقات الرياضية موضوع للإدراك الحسي فقال إن العلية تبدو في تعبيرحسي حين ترى العلة تؤدي عملها فيبدأ في أثرذلك ظهورالمعلول. ولاحظ في العلاقات العددية شيئا فريدا هوأنه يكفي إدراكها حسيا مرة واحدة ثم تعمم الحكم بالصدق,وليس من الضرورة الإدراك الحسي لكل حالة جزئية.وفي الموضوعات الرياضية الصادق مرة صادق دائما,وحين نربط بين هذه العلاقات العقلية المجردة يتكون لدينا ما نسميه نسقي الرياضة والمنطق. ولـ**"وليام جيمس"**تصورهام للأشياء المادية والعلاقات، يبدو أنه أخذه من زميله **"شيللر"** صاحب البراجماتيزم في إنجلترا والذي سمى مذهبه بالمذهب الإنساني **Humanism** .

يرى**"جيمس"** أن الوقائع المادية والعلاقات بينهما ليست صادقة ولا كاذبة:وإنما هي أشياء موجودة فحسب.إنها خرساء ونحن الذين نحكم عليها,لا توصف بصدق أوبكذب,وإنما نظرياتناعن مصدرها وطبيعتها والعلاقات بين بعض أجزائها وبعضها الآخر هي التي توصف بالصدق أوالكذب.حقا نحن نخضع للواقع لأنه المصدرالوحيد للمعرفة لكن هذا الواقع خاضع لنا,بمعنى ماأي أنه,لين مرن قابل للتشكل والتعديل بحيث يوضع على الصورة التي تلائم أغراضنا في الحياة .

---

(94) Perry, Ralph Barton: Present Philosophical Tendences, Longman's, Grren And Co. London. New York. Tornto, 1929, P.197

ويضرب"جيمس" مثالا طريفا فيقول إنه يمكنك أن تعتبر العدد 27 مكعب العدد3 أوحاصل ضرب 3×9 أوحاصل جمع 26+1 أوباقي طرح 37 من 100 أوبطرق لانهائية لها وكلها صادقة .إننا نضيف إلى العالم من صنعنا,وكل إضافة مطابقة له,وليست واحدة من هذه الإضافات بخاطئة.حين نقول إن إحداهما أكثر صدقا من غيرها فإننا نقصد الصدق على أساس إستفادتنا منها,فإذا كان العدد 27 مثلا عددا من الدولارات وجدتها في مكان تركت فيه28 دولارا فتكون الواقعة 28-1 , وإذا كان العدد 27 طول لوحة خشبية أريد أن أصنع منها رفا بصبورة طوله 26 فتكون الواقعة 26+1وهكذا.إن العالم موضوعات صماء ونحن الذين نصنع المحمولات.(95)

هذاهوتصورجيمس للعالم المادي وما فيه من علاقات,فإذا أضفنا المعارف السابقة والتجارب الماضية التي إكتسبناها من قبل من معتقدات وأراء, نكون قد أتممنا العناصرالثلاثة للواقع .

***معنى المطابقة :**

لم يفهم **"وليام جيمس"** المطابقة كما أرادها أتباع نظرية المطايقة التقليدية أي إيجاد نسخة شبيهة بالواقع ,وإنما أراد بالمطابقة معنى جديدا.

-**أولا**:حين يسأل**"جيمس"** نفسه:متى تكون الفكرة صادقة ؟يجيب:**إذا قادتنا إلى مدرك حسي هوموضوعها."لو قلت لك:(يوجد شيء ما),أصادقةهذه القضية أم كاذبة ؟بما تجيبني؟ لو قلت لي: (أي شيء تقصد؟) وأجيبك:(مكتب ما).لوسألتني:أين هو؟ وأشرت بيدي إلى مكان ما.ولو سألتني مرة أخرى:(أيوجد هذا المكتب وجودا ماديا أم أنه مجرد تخيل؟) وأجبت بأن وجوده مادي .بل قلت لك :أن أقصد هذا المكتب بالذات ثم نهضت وأمسكت به وهززته ووجدته أنت كما وصفت لك.(لوقلت لك ذلك إذن فالقضية صادقة)".**(96)

إنَ الفكرة صادقة إذا وجهتك إلى إحساس,ويتفق هذا الصدق إذا إرتبط حدان:حد أول تبدأ منه المعرفة هو الذات الشاعرة,وحد أخير يجب أن تنتهي إليه المعرفة هو الموضوع الجزئي المحدد. ولقد أثر تطورعلم النفس على نظرية المعرفة عند **"جيمس".** يقال إنه أول من نادى بعلم النفس الوظيفي,وأراد أن يطبق فكرة الوظيفة في المعرفة.وقدأنكر"جيمس"الوجود الجوهري للعقل وراء مجموعة من الوظائف بل تعمق في تطبيق الوظيفة,فقال إن للفكرة الصادقة وظيفة تؤديها فإن أدتها كانت صادقة.وظيفة الفكرة الصادقة أنها تنجح **work** ويقول أحيانا إنها تفيد**pay** وتهكم الكثيرعليه، وقالوا إنه رد الفلسفة النظرية إلى مسائل إقتصادية خاصة حين قال إن للفكرة الصادقة قيمة فورية تعاملية **Cash value**،ولكن كان يستخدم **"جيمس"**هذه التعبيرات بمعنى آخر:

---

(95) جيمس، وليام: البراجماتية، مصدر سبق ذكره، ص246

(96)- المصدرنفسه، ص246

كان يقصد بالنجاح والفائدة في الفكرة أن تقودك الفكرة من أجزاء من التجربة إلى أجزاء أخرى,وتشعرأنك بهذا الإنتقال مطابق للواقع ,أي تشعر أنك وصلت إلى موضوع محسوس، يمكن تحقيقه تحقيقا مضبوطا من خلال سلسلة معينة من التجارب الجزئية.وينبغي للفكرة – لكي تكون"ناجحة" – أن تربط بين أجزاء التجربة ربطا دقيقا وتوفر لك الجهد والوقت,وتبسط العلاقة بين الأشياء والوقائع وتزيل التعقيد.فإن لم تحقق الفكرة هذه الوظيفة كانت كاذبة .وجعل للمدرك الحسي نفسه وظيفة أخرى,هي أنه يبرهن على أن الفكرة أدت وظيفتها وهي قيادتنا إليه, بل أن المدرك نفسه هو الذي خلق هذه الوظيفة للفكرة , بمعنى أنه لولا وجود المدرك الحسي لما وجدت أفكاروتصورات.

- ثانيا :لايكتفي **"جيمس"** في نظريته الجديدة للمطابقة بإعتبارالصدق مساويا للوصول إلى الموضوع الحسي وإلا لم يقل رأيا جديدا.إنه لم يتردد في ضرورة الوصول إلى المدرك الجزئي,ولكنه رأى من واجبه "كصاحب منهج" أن يصف سبيل وصولنا من الفكرة إلى موضوعها وهذا هوالجديد.ماالسبيل الذي تتبعه الفكرة لكي تكون صادقة ؟ أوما الطريق الذي تسلكه الفكرة لتصل إلى موضوعها ؟.

تعتبر إجابة **"جيمس"** على السؤال فكرة أساسية جديدة في نظرية الصدق البراجماتية ، حيث يبدأ بعرض أفكارالسابقين في العلاقة بين الذات والموضوع. قال:"...تعثروا في في تفسير الهوة القائمة بين الفكرة وموضوعها,فقد ترك فلاسفة الفهم المشترك العلاقة بين الذات والموضوع دون حل قائلين إن للعقل قدرة على توضيح هذه العلاقة لقفزة مطلقة لاتفسر تفسيراتجريبيا.

وجاء العقليون ليروا أن عقولنا المحدودة عاجزة عن عبور الهوة القائمة بين الفكرة وموضوعها فيفرضون المطلق ليقوم بهذه الوظيفة.ووضع التجريبيون الصورالذهنية وسطا بين الذات والموضوع,أدرك الجميع إذا أن الهوة محيرة ويلزم عبورها بوثبة قاتلة Salto mortale أي قفزة لا تخضع لعقل أو تجربة ".(97)

وأتى**"وليام جيمس"** ليعلن تفسيرا تجريبيا أصيلا يمكن وصفه وصفا حسيا محددا,وليبرهن على أن الصدق ليس علاقة مطلقة, وأنه ليس محتاجا لوثبة قاتلة **فقال :"نظريتي أن المعرفة تتم بالإنتقال خلال التجارب الواصلة (بين الذات والموضوع)".(98)**

-(97) جيمس، وليام: معنى الحقيقة، ترجمة: أحمد الأنصاري المركز القومي للترجمة.مصرط1 سنة 2008 . ص85
(98)-المصدر نفسه، ص86

يقصد أنه ينبغي أن نقطع المسافة الكائنة بين الفكرة وموضوعها بخطوات تجريبية واقعية محسوسة ترتبط كل منها بالأخرى مكونة سلسلة مترابطة متصلة،تؤدي بك في نهاية الأمر إلى الموضوع حسيا. لايرى **"جيمس"أن وصول الفكرة إلى موضوعها كل شيء في المعرفة ,وإنما يعلق أهمية كبرى على الطريق الذي إتبعته الفكرة في الوصول للموضوع ,ففكرة التجارب الجزئية المترابطة الواصلة بين الذات والموضوع فكرة أساسية في نظرية الصدق البراجماتية, ويسمي"جيمس" هذه التجارب بأسماء كثير في المواضع المتعددة من كتبه.يقول مرة التجارب الواصلة Intervening experience ومرة التفصيلات الجزئية الواصلة Intermediate details,ومرة التجارب المتوسطة, بين الفكرة والشيء الجزئي Intermediares.(99)**

وإن للفكرة الصادقة وظيفة أساسية عنده, فهدف الوظيفة أن تسعى إلى المدرك الحسي,ولكن الوظيفة نفسها هي أن تؤدي بك الفكرة إلى تجربة جزئية تسلمك إلى حادثة وهذه تقودك إلى واقعة ,فواقعة بعدها حتى تقف عند الحد الأخير وهوالمدرك.إن هذه التجارب المتوسطة المترابطة ترابط السلة المتشابكة الآخذ بعضها برقاب بعض والواصلة بين فكرة و موضوعها هي كل شيء في المعرفة عند**"جيمس"**.

وضرب **"جيمس"** مثلا يوضح نظريته :**"أفرض أني جالس في مكتبي في كامبردج ,لا شك أن لها صورة في ذهني.لوسألتني ماالمكتبة التي لديك صورة عنها ولم أخبرك بشيء,أولم أنجح في الإشارة إليها,أو أن أقودك إليها أو أفرض أني قدتك إلى مكتبة وشككت أنها الموجودة في ذهني –حين إذن تنكر علي معرفتي في هذه المكتبة ,حتى ولو تشابهت المكتبة وصورتها الذهنية عندي بعض المشابهة ,لأن المشابهة لا تعني غيرالإتفاق ,والإتفاق بين جملة أشياء لا يعني أن الواحد مدرك للآخر.ولكن إذا أمكنني أن أقودك إلى المكتبة وأن أخبرك بشيء عن تاريخها ومنافعها الحاضرة ,وإذا وقفت فيها وأحسست أن فكرتي عنها قادتني إليها وأصبح وصولي إليها غاية فكرتي,وإذا كانت الأشياء المقترنة بالصورة الذهنية والمكتبة الفعلية متسقة ,أي إذا كان كل حد في صورتي مطابقا لكل حد في المكتبة كلما سرت فيها . إذن أصبحت فكرتي هذه مدركة Cognizant للواقع وأن ما وصلت إليه مدرك حسي وكان ذلك عن طريق الإنتقال من خلال تجارب واصلة مرتبطة متصلة،أما إذا لم تتوسط هذه التجارب التي أنتقل خلالها فلن توجد معرفة".(100)**

ثالثا : قلنا إن **"وليام جيمس"**عرف الصدق بأنه المطابقة للواقع ,وعرضنا معنى الواقع، وقلنا أن معنى المطابقة هو التحقيق التجريبي , وعنى به جيمس الوصول إلى الموضوع عن طريق سلسلة متصلة من التجارب الجزئية تصل بين الفكرة وموضوعها .

---

(99) جيمس، وليام: معنى الحقيقة، مصدر سبق ذكره، ص220

(100) المصدر نفسه، ص103

الخطوة الثالثة في المعرفة البراجماتية عند**"جيمس" قوله إن صدق الفكرة يحقق الرضى والقبول للإنسان.** متى يتم هذا الرضى والإقناع ؟ يتم إذا ما وصلنا إلى المدرك الجزئي المحدد ,وإذا ما وصلنا عن طريق هذه السلسلة المعينة من التجارب الجزئية .هذه ثورة "جيمس" على المطلق والمجرد والتأمل :ليس الصدق علاقة مقدسة خالدة لافضل لنا في إيجادها ونستقبلها منفعلين بها.وإنما الصدق علاقة بين فكرة معينة وموضوع حسي محدد.

إن الصدق تحقيق الفكرة في مجال التجربة :إنه عملية نجربها نحن على أفكارنا مقابلين الواقع بحيث نصل إلى نتيجة جزئية دقيقة لا غموض فيها ولاعمومية .إن رضانا عن صدق مجرد تأخذه بشكل مبهم رضا وهمي .إن الذي يرضينا و يقنعنا هو التجربة , فإذا وصلنا إلى تجربة جديدة أثرت تجاربنا القديمة وأضافت إلينا وتلاءمت مع مستودعنا القديم و إذا ما وصلنا إلى شيء أمكن وصفه وتحديده بألفاظ تجريبية ,أمكن القول بالرضا والقبول -هذا الرضا و القبول شرط صدق الفكرة أوالقضية. ولكن أريد أن أسأل جيمس:هل يتم هذا الرضا بمجرد إتباع الطريق التجريبي حيث جعله ضروريا للصدق دون الوصول إلى المدرك الحسي أم أن الرضا أن يوجد حتى أصل إلى المدرك ؟

إن **جيمس** متردد في الإجابة ترددا ظاهرا:يرى مرة أن الإقتناع شرطه الوصول إلى المدرك الحسي فعلا، يقول:**"إن الإقتناع ناقص ما لم يقدنا إلى واقع يطابقه,إذا لم نجد للواقع وجودا فلابد أن نحكم على الإعتقاد بالبطلان والخطأ بالرغم من أي رضا وإقتناع."(101)**ويقول أيضا:"..**إذا كان الطريق المتوسط بين الفكرة و الشيء كافيا مرضيا مقنعا,فالفكرة صادقة, وستظل صادقة سواء وصلنا إلى التحقق(الحد الحسي)أولا:"إنه في المرة الأولى مصر على الوصول لموضوع الفكرة محددا لكي تكون صادقة "(102)**, **وفي المرة الثانية** : غير مهتم بضرورة الوصول للموضوع ,وإنما دعا إلى منهج جديد هو المنهج البراجماتي،الذي لا يهتم بإقرار نظرية معينة .وأننا نميل إلى القول بأن الرأي الثاني أصدق من الأول للتعبير عن روح فلسفة **"جيمس"** من وجهين:

الأول أنه صاحب منهج ولا يتبع نظرية خاصة,إن عنايته بالطريق المؤدي إلى الصدق أكثر من عنايته بالوصول إلى نتيجة معينة إنه كسقراط الذي وإن لم يصل إلى تعريف محدد للعدالة،إلا أنه رسم طريق الوصول إليها.

الثاني أنه وضع الأساس التجريبي الخالص لصلة الفكرة بموضوعها، ذلك الأساس الذي يعارض به التفسيرات المطلقة ويكمل نقص التفسيرات التجريبية , حيث وضع سلسلة التجارب الجزئية التي تصل بين التصور و موضوعه دون وثبة مجردة.

---

(101)-جيمس، وليام: معنى الحقيقة، مصدر سبق ذكره، ص87

(102)- جيمس، وليام: البراجماتية، مصدر سبق ذكره، ص195

***التحقيق غير المباشر:**

يبقى سؤال ينبغي أن نعرف جواب **"جيمس"** عنه:"صدق الفكرة عنده هو تحقيقه لها والتحقيق هو الوصول إلى المدرك الحسي أي التحقيق المباشر.أينكرجيمس التحقيق غيرالمباشر إذن ؟

إنه يجيب بالنفي أي يعتقد بالتحقيق غيرالمباشر أيضا يعتبر التحقيق غيرالمباشر-ويسميه التحقيق بالقوة صادقا-.ويفسر ذلك بانه إذا كانت الظروف المحيطة بنا تثبت موضوعا ما , فلا داعي للتحقيق البصري:إننا نعتقد بوجود اليابان ولو لم نرها لأنها دولة تثبت لنفسها وجودا فإن معلوماتنا عنها تثبت وجودها ولاشيء عندنا يناقض هذا الوجود.إننا نحكم بأن الساعة المعلقة على الحائط أمامنا مضبوطة ولوأني لم أختبر آلتها بدقة لأعرف إن كان بها خلل أونقص.يكفيني أن أحكم بدقتها إن إتفقت مع ساعتي وساعتك وساعة المذياع .

ويفسر**"جيمس"** نفسه الدافع إلى قوله بالتحقيق غيرالمباشربقوله:**"أثق بالتحقيق غيرالمباشر لسببين: الإقتصاد في المجهود, ثم إن الأشياء توجد في أنواع ,أقصد بذلك أن كل شيء ليس فريدا في نوعه لا يشبهه شيء آخر,وإنما الأشياء مجاميع تتشابه أفراد كل مجموعة (في صفات معينة) فإذا حققنا فكرتنا عن أحد أفراد نوع ما تحقيقا مباشرا,فلا مانع من تطبيق هذه الفكرة على الأفراد الأخرى لهذا النوع دون تحقيق مباشر.إن العقل الذي يميز بين نوع الأشياء,ويتصرف طبقا لقانون الأنواع دون تحقيق مباشرعقل سليم.ولا إعتراض على ذلك."(103)**

---

(103)- جيمس، وليام: البراجماتية، مصدر سبق ذكره، ص206

4/ المطلب الرابع: تطبيق المنهج البراجماتي على الصدق:

هذه هي نظرية الصدق البراجماتي ,وبديهي أن يرد السؤال الآتي :ماالعلاقة بين الإتجاه البراجماتي كمنهج وبينه كنظرية في الصدق؟ وهل طبق **"جيمس"** منهجه على نظرية المعرفة ؟ في نظرية المعرفة كما عرضتها ثلاث أفكار أساسية :مصدر المعرفة ,ماهية الصدق وسبيلنا إليه,العلاقة بين الذات و الموضوع.

إن**"وليام جيمس"** حين قررأن مصدر المعرفة الإنسانية عقائد الفهم المشترك كان متسقا مع المنهج تمام الإتساق,لم يبحث في مصدرالمعرفة بحثا نظريا ولم يجعل المصدر مبادىء ثابتة وفروضا سابقة وأسباب قبلية ,وإنما إتصل بحثه بتفكيرالرجل العادي وإتصف بالصفة الحسية الجزئية المحددة.

وعالج **"وليام جيمس** الصدق علاج براجماتي بحت:لقدجاءت لمعالجة مصبوغة بالصبغة الحسية مستندة إلى العلم والسلوك و جعل السلوك المطابق لواقع التجربة معيارا للصدق .ويبدوا الإخلاص للمنهج جليا في هجومه على الصدق المطلق المجرد ,وإقامته على سلسلة الأعمال والوقائع المرئية لنا في حياتنا العملية .وحين عرف الصدق بأنه مطابقة الفكرة للواقع وأرادتحديد معنى المطابقة إستخدم قواعدالمنهج البراجماتي فقال:**"هب أن هذه الفكرة أوهذا الإعتقاد صادق,فما الإختلاف الملموس الذي يعمله الصدق في حياة الإنسان الراهنة ؟ وما التجارب المختلفة التي تنشأ عن صدق الفكرة في مقابل التجارب التي تنشأ عنها لوكانت كاذبة؟ وكيف نتحقق من الصدق ؟ وبإختصارماالقيمة الفورية التعاملية بألفاظ تجريبية؟"(104)**

وتجيب البراجماتيزم بوضوح :**"إن الأفكارالصادقة هي التي يمكننا أن نتمثلها ونتثبت من صحتها,ونتأكد من سلامتها وتحققها.والأفكارالكاذبة هي التي لا يمكننا أن نتمثلها أولا أو نثبت صحتها ولا نتأكد منها ولانحققها،هذا معنى الصدق." (105)**

ويتبين معنى هذا التعريف بعد الذي قلناه فيما سبق:الفكرة المتمثلة هي تلك التي أحدثت تكيفا بيننا وبين الواقع ,وشعورا بالرضا والإرتياح والإقتناع بها,وأن لا نحس بتضارب أوتناقض بين الفكرة ومعارفنا السابقة .ويزداد تثبتنا من صحة الفكرة إذا قادتنا إلى موضوعها المحدد الجزئي,الذي يمكن التعبيرعنه بألفاظ تجريبية .ونتأكد من سلامة الفكرة لوكان الطريق بين الفكرة وموضوعها طريقا مقنعاأي تقودنا الفكرة إلى سلسلة من تجارب جزئية معينة ترتبط الواحدة بما بعدها ,حتى نصل في نهاية الأمر إلى موضوعها الحسي, وهذا معنى التحقيق .. ومن جهة أخرى قصد **"بيرس"** ببساطة **"أن معيار صدق الفكرة ومدى وضوحها إنما يتوقف على ما تحققه في الواقع العلمي من نتائج ملموسة"(106)** خذ مثلا فكرة "الكهرباء"فنحن لا نعرف على نحو دقيق ما هي الكهرباء في حد ذاتها ,أي أننا لا نعرف ماهية محددة

---

(104) جيمس، وليام:معنى الحقيقة، مصدر سبق ذكره، ص 104

(105) المصدر نفسه، ص104

(106) رايت ،وليام كلي ، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمته : محمد سيد أحمد – مراجعة إمام عبدالفتاح إمام،دار التنوير للطباعة والنشر،ط1 سنة 2010 . ص487

للكهرباء,وكل ما نعرفه عنها إنما تحدده الآثار العملية المترتبة عليها والتي نلمسها جميعا في حياتنا اليومية .فإذا ما قام أحدنا بتركيب مصباح في سلك يسري فيه التيار الكهربائي لأضاء وأنارالمكان.وإذا قام أحدنا بلمس هذا السلك عاريا لصعقه التيار الكهربائي , وهكذا فنحن نعرف الكهرباء من الآثارالعملية التي تحدثها وينبغي أن يكون الحال نفسه في كل معتقداتنا وأفكارنا , فمن الضروري أن نقيس مدى وضوح أي فكرة وأي معتقد بما يحقق من نتائج ملموسة.

إن صدق هذه الأفكارأوالمعتقدات ،إنما يتوقف على تحقيق النتائج العملية الملموسة، في حياتنااليومية.ولقد إشترك البراجماتيون الثلاثة في التأكيد على هذه الأصل الأساسي للبراجماتية وهو الذي يمثل المعيار المنطقي للصدق في فلسفته.

ولكي يتضح لنا مدى جدة هذا المعيار وأهمية النتائج التي ستترتب عليه ،ينبغي أن نعلم أن الفلسفة عرفت قبل البراجماتية تيارين أساسيين هما كما قلنا سابقا التيارالمثالي,والتيار التجريبي, وكان أتباع هذين التيارين رغم إختلافهما حول مصدر المعرفة ماذا يكون:هل هوالعقل دون الحواس أم هو الحواس دون العقل ؟ ومن المعروف أن العقليين كانوا يقولون أنه العقل, بينما التجريبيون يقولون أنه الحواس .

نقول رغم إختلافهما في ذلك إلا أنهما إتفقا على أن مرجع التصديق قائم هناك إما في العقل عند المثاليين أوالوقائع والأشياء الخارجية عند التجريبيين,أي أن مرجع التصديق يتعلق إما "بما كان" أي بالافكار العقلية الأولية السابقة على أي تجربة حية عند المثاليين العقليين أو"بما هو كائن" في الواقع المحسوس عند التجريبيين الحسيين(107).أما البراجماتيون فإن ربطهم بين صدق الفكرة وبين النتائج التي تحققها في حياة الإنسان العملية قد شد الأعناق وجذب الأنظار "مما كان"و"مما هو كائن "إلى" ما سوف يكون",أي أنهم قد ركزوا على الصدق المستقبلي للفكرة وإشترطوا أن يكون معيار الصدق هوالنتائج التي تتحقق في الواقع الملموس .

فلا يعدُ القول أوالإعتقاد حقا في ذاته– من وجهة نظره– بل أصبحت حقيقته مرهونة بما يحقق من منفعة عملية في حياة الناس سواء كانت منفعة في مجال الزراعة أوالصناعة أوالتجارة..الخ ذلك هوجوهر التجديد الذي أدخله البراجماتيون على نظرية المعرفة في الفلسفة,إنه الربط بين الأفكاروالمعتقدات والنتائج التي تحققها تلك الأفكار في حياة من يؤمن بها.

فالنتائج الناجحة المفيدة التي تتحقق على أرض الواقع تعني أن هذه الفكرة أوتلك فكرة واضحة وحقيقية وصادقة وماعدى ذلك من أفكار ينبغي التنازل عنها أوالعدول عنها والبحث عن أفكار جديدة.

وفي الأخير يؤكد**"جيمس** على أن الأفكار تغدو صادقة بقدرماتعيننا على الوصول الى علاقات مشبعة مع الاجزاء الاخرى لخبرتنا."ففكرة تكون صادقة بقدر مانعتقد أنها مفيدة لحياتنا" .

---

(107) رسل ،برتراند:.تاريخ الفلسفة الغربية(الكتاب الثالث..الفلسفة الحديثة)ت: محمد فتحي الشنيطي،مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب،د ط .سنة 1977 ص472

المبحث الثالث: عن مفهوم الحقيقة ومعاييرها عند وليام جيمس

ماهي الحقيقة؟ وما هي السبل المؤدية إليها ؟ وهل يمكنني بلوغها ؟ وكيف يتسنى لي معرفة ما إذا كان ما توصلت إليه هو الحقيقة أم لا ؟

يدل مفهوم الحقيقة، بالمعنى العام للكلمة، على التطابق بين القول وموضوعه، بين ما يوجد وبين الأحكام التي نصدرها عنه. يدل القول على حكم يصدره المتكلم، وأما ما يوجد فهو الواقع الذي يتمتع بوجود موضوعي مستقل عن الذات المتكلمة. ومن هذا المنطلق يمكن التمييز بين الذات العارفة بما تحمله من أفكار أو أحكام، وبين الواقع الموضوعي أو موضوع المعرفة. ويدل مفهوم الحقيقة على القيمة التي نسعى إلى تحقيقها. أين توجد هذه الحقيقة ؟ هل توجد على مستوى الفكر أم على مستوى الواقع الموضوعي ؟ هل توجد في التطابق بين ما أقول وبين الواقع كما يبدو لي، أم في التطابق بين ما أقول وبين الواقع كما هو في ذاته ؟

إذا كانت**"الحقيقة هي تطابق الشيء والعقل"(108)**، بلغة الأسكولائيين، كان لابد من المقارنة فيها بين حدين، الفكر من ناحية، والشيء أو الأشياء من ناحية أخرى. ومن هنا تنقسم الحقيقة إلى نوعين؛ بحسب وجهة نظرنا إلى الفكر أو إلى الشيء:

الحقيقة المنطقية؛ وتعرف بأنها: تطابق الفكر مع الشيء، فإذا تطابقت رواية حادث مع الواقع كانت الرواية حقيقة.

الحقيقة الوجودية؛ وتعرف بأنها تطابق الشيء مع الفكر المعياري الذي يحكم عليها، أي تطابق الشيء مع العقل. فإذا قلت هذا رجل كريم: فمعنى هذا أن خلقه يتطابق مع قيمة الكرم كما قدرها العقل. وقد يتم التمييز بين الحقيقة المادية والحقيقة الصورية على أساس أن الحقيقة المادية هي تطابق الفكر أو القول مع الموضوع أو مع الأشياء، أما الحقيقة الصورية فهي اتفاق الفكر مع نفسه، أي خلوه من التناقض. فالحقيقة في القياس المنطقي صورية، بمعنى أن القياس يضمن فقط صحة الانتقال منه المقدمات إلى النتائج، ولا شأن له بالصحة الواقعية للنتائج، ذلك لأن النتائج تتوقف على صحة المقدمات. والقاعدة هي أن المقدمات الصادقة تنتج دائما نتائج صادقة.أما المقدمات الكاذبة فقد تنتج نتائج كاذبة أونتائج صادقة. وعلى حد تعبير الأسكولائيين من الكاذب ينتج أي شيء (الصادق أوالكاذب)، فيا ترى ما هي الحقيقة عند وليام جيمس؟

---

(108)-فام ،يعقوب ،البراجماتزم أو مذهب الذرائع ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع مصر ط2 ، سنة 1985 ص229

1/ المطلب الأول: تعريف الحقيقةعند وليام جيمس«William James »:

نإ ّ مصطلح الحق**(Truth)** (109) في أي قاموس هوصفة أوخاصية لبعض أفكار معينة لدينا للذات.وهذه الصفة تعني "اتفاق" هذه الأفكار مع الحقيقة**(Reality)** أوالواقع تماما، مثلما يعني الزور إختلافها مع الحقيقة والواقع تماما ،فنجد "وليام جيمس" والبراجماتيين عموما ينقلون هذا التعريف ويسلمون به تسليما وهم لا يبدؤون في النزاع والخصام إلا بعد أن يثارالسؤال الخاص بماذا يعني لفظ إتفاق على وجه التحديد وبالضبط ,وماذا يعني لفظ الحقيقة أوالواقع عندما تعالج على أنها شيء تتفق أفكارنا معها ؟

فالفكرة الشائعة هي أن أية فكرة صحيحة يجب أن تحاكي واقعها مثل وجهات النظرالشائعة الأخرى,فإن هذه الفكرة تتبع القياس التمثيلي لأكثر الخبرات المألوفة عادة,حيث أن أفكارنا الصحيحة عن الأشياء المحسوسة تحاكيها حقا وتنسخها فعلا .

"أغلق عينيك وفكر في الساعة المعلقة على الحائط وسوف ترتسم في ذهنك صورة صحيحة تماما أونسخة من مزاولتها ولكن فكرتك عن عملها وميكانيكيتها تتطلب منك أن تكون صانع ساعات ليست نسخة منها بالدرجة السابقة ولكنها تمر كنموذج أومثال لأنها لاتتعارض بأية حال مع الحقيقة."(110) لكن لاتستطيع أفكارنا أن تنسخ بالتحديد موضوعها،فماذا يعني الاتفاق مع ذلك الموضوع ؟ يبدوأن بعض المثاليين يقولون أنها صحيحة مادامت هي ما يقصد الله أنه ينبغي لنا أن نفكره عن ذلك الموضوع.والبعض الآخر يتمسك بوجهة نظرالنسخة طبق الأصل ويتحدثون كما لو كانت أفكارنا تتسم بالحق تماما بنسبة ماتناهز كونها نسخا طبق الأصل من طريقة تفكير"المطلق" الخالد.هذه وجهات نظر ناقشها الفكرالبراجماتي وبالذات فكر **وليام جيمس**.

إنَ الفرض الأكبرلأصحاب المذهب العقلي هوأن الحق يعني بالضرورة علاقة هامدة أوجامدة غير متحركة, فإذا حصلت على فكرتك الصحيحة أوالحقيقة عن أي شيء فقد قضي الأمر.وهذه هي نهاية المسألة فأنت مالك وحائز,أنت تعرف, لقد حققت مصيرك العقلي,أنت حيث ينبغي لك أن تكون عقليا معرفيا,أنت في توازن ثابت.أما جيمس يسأل السؤال التالي **حيث يقول**(111)**:" إذاسلمنا بأن فكرة أومعتقدا صحيحا,فماهوالفرق الملموس الذي يحدثه كونه صحيحا في الحياة الواقعية لأي إمرئ؟ وكيف تتحقق الحقيقة ؟وماهي الخبرات التي ستكون مختلفة عن تلك التي تحدث إذا كان المعتقد زائفا وباطلا؟**

---

(109) فام ،يعقوب ،البراجماتزم أو مذهب الذرائع ، مرجع سبق ذكره، ص232
(110) جيمس وليام، البراجماتية؛ مصدر سبق ذكره، ص234
(111)المصدرنفسه ، ص236

وبإختصار ماهي القيمة الفورية للحق,إختياريا وتجريبيا وممارسة ؟ الجواب:"الأفكار الصحيحة هي تلك التي يتسنى لنا أن نتمثلها وتدفع بمشروعيتها وصدقها و صحتها ونعززها ونوثقها ونؤيدها ونحققها بأن نقيم عليها الدليل والحجة.والأفكار الباطلة هي تلك التي لايتسنى لنا ذلك بالنسبة لها"(112).

هذاهوالفرق العملي التي تحدثه لنا حيازة أفكارصحيحة وعلى هذا النحو,فذلك هومعنى الحقيقة (الصدق العملي)لأن ذلك كل ما تعرف به الحقيقة يقول **جيمس:"هذا هو المبحث الذي يتعين علي الدفاع عنه.إن صحة فكرة ليست صفةأوخاصية جامدة ثابتة متوقفةعن التقدم والتطور والنماء ووليدة ذاتها.إن الصدق العقلي أوالحقيقة تحدث لفكرة ما إنها تصبح صحيحة لأن الأحداث جعلها صحيحة أو حقيقية إن صدقها يكون في الواقع حدثا,سبيلا ألا وهوسبيل إقامة الدليل على تحقيق نفسها وصدقها هوسبيل الدفع بالمشروعيةوتصحيح نفسها",(113)** ولكن ماذا يعني هذان اللفظان، لفظ الإثبات أوالتحقيق ولفظ التصحيح أوالدفع بالمشروعية ؟إنهما يدلان على نتائج عملية معينة للفكرة المثبتة أوالمدفوع بمشروعيتها وإنه لمن العسير إيجاد أية عبارة ولوواحدة تصف هذه النتائج أحسن من قاعدة الإتفاق العادية فمثل هذه النتائج هي ما يكون في ذهننا كلما نقول إن أفكارنا تتفق مع الواقع أوالحقيقة.فهي تقودنا,بصفة رئيسة عن طريق الأفعال والأفكار الأخرى التي تحظ عليها إلى أونحوأوحيال أجزاءأخرى من الخبرة نشعربها طول الوقت على إعتبار أن مثل هذا الشعورمن ضمن إمكانياتها ولكونه كذلك,فإن الأفكارالأصلية تظل في حالة إتفاق،أما الإرتباطات والتحولات فتأتي لنا من نقطة لنقط على إعتبار كونها تقدمية,متناغمة كافية.وهذه الوظيفة الخاصية بالإرشادالموافق مانعنيه بتحقيق أوإثبات فكرة.بيد أن مثل هذاالمستفاد غامض ويبدو لأول وهلة تافها,ولكنه نتائج ستشغل الباقي مما أطرحه لكي أشرحها فيمكن أن أذكر بأن حيازة أفكار صحيحة تني في كل مكان حيازة أدوات للعمل والأداة لا تقدر بثمن,وأن واجبنا لبلوغ لحقيقة ,أبعد ما يكون كونه أمرا مرسلا من الجهول أو لعبة بهلوانية مفروضة علينا ذاتيا بوساطة قرائحنا,هذا الواجب في وسعه أن يسوغ نفسه بموجب أسباب عملية ودواع عملية فائقة.فأهمية حيازة عقائد صحيحة بالنسبة لحياة الإنسانية عن مسائل الحقيقة والواقع أمرمشهر بلغ صيته مجالا بعيدا.إننا نعيش في عالم من الحقائق والوقائع,من الممكن أن تكون مفيدة إلى غيرحد أوضارة ومؤذية إلى غيرحد.

---

(112) جيمس وليام: البراجماتية؛ مصدر سبق ذكره، ص237
(113) المصدر نفسه ،ص237

فحيازة الحقيقة أبعد ما تكون هنا عن كونها غاية في ذاتها,لا تزيد عن كونها وسيلة أوأداة أولية بلوغ ضروب أخرى من الإشباع والرضى والسروروالحيوية.(114) إذا قدر لي أن أضل طريقي في الغابة وأتضور جوعا,ثم وجدت ما يشبه طريقا مطروقا للبقر, فإنه لأمر بالغ الأهمية إلى الدرجة القصوى أنى يتعين علي أن أعتقد بوجود مأوى إنساني في نهايته لأنني إذا فعلت ذلك ومضيت في أثره فسأنقذ حياتي.إن الفكرة الصحيحة نافعة هنا لأن المقام أوالمأوى الذي هوهدفها أوموضوعها نافع ومن ثم,فإن القيمة العملية للأفكارالصحيحة تشتق بصفة أولية من الأهمية العملية لموضوعاتها بالنسبة لنا.وليس ثمة ريب في أن موضوعاتها ليست,حقا,هي فكرة هامة في كل الأوقات.فربما في مناسبة أخرى لا تكون بي حاجة إلى المقام أوالمأوى, وعندئذ ففكرتي عنه مهما تكن محققة ستكون من الناحية العملية,فكرة منفصمة وغيرمرتبطة أولى بها أن تظل كمينة. بيد أنه حيث أن أي موضوع قد يصبح يوما ما بصفة مؤقتة, فإن ميزة حيازة رصيد من الحقائق الإضافية حقائق حقائق تكون صحيحة بالنسبة لمواقف ممكنة أومحتملة فحسب,ميزة واضحة وضوح الصبح لذي عينين.إننا نختزن حقائق إضافية وندخرها في ذاكرتنا ثم نملأ مراجعنا بالفائض, وكلما أصبحت حقيقة من تلك الحقائق الإضافية مرتبطة عمليا بمطلب عاجل من مطالبنا أوبضرورة ملحة من ضروراتنا,فإنها تنقل من مخزن التبريد حيث كانت قابعة لكي تؤدي عملا في العالم ويزداد نشاط اعتقادنا بها.**وفي وسعك أن تقول عنها عندئذ:"إنها مفيدة لأنها صحيحة" أو" أنها صحيحة لأنها مفيدة ".إن كلتا هاتين العبارتين تعنيان بالضبط نفس الشيء ألا وهو أن لدينا فكرة تحققت ويمكن تحقيقها وإقامة الدليل عليها.(115)**

فصحيح هي التسمية الدالة على أية فكرة تبدأ سبيل التحقيق واقع و نافع هي التسمية الدالة على وضيفتها التي اكتملت في الخبرة على أن الأفكار الصحيحة ما كان من الممكن أبدا أن تختارإنفرادا بهذه الصفة , وماكان من الممكن أن تكتسي إسم فئة ما لم تكن نافعة منذ البداية على هذا النحو فحقيقة الشيئ ترتبط بالضرورة بالطريقة التي تفضي بها لحظة واحدة من لحظات خبراتنا إلى اللحظات الأخرى التي سيكون من المجدي أن تفضي إليها بصفة أولية ,وعلى مستوى البداهة فإن صحة حالة عقلية معناها هذه الوظيفة من الإرشاد النافع أوالمجدي وعندما تلهمنا لحظة ما في خبرتنا,أيما كانت, بفكرة صحيحة.

---

(114)- جيمس وليام: البراجماتية؛ مصدر سبق ذكره، ص239
(115) المصدر نفسه ، ص241

فإن ذلك يعني أنناعاجلا أوآجلا سننغمس بتوجيه تلك الفكرة في جزئيات وتفاصيل الخبرة ,ثانية , ونعقد رابطة أوصلة نافعة معها.وأنا لا أنكرأن هذه العبارة محفوفة بشيئ من الغموض ولكن ألتمس منكم الإحتفاظ بها لأنها,لأنها جوهرية وفي غضون ذلك فإن خبرتنا تخترقها كلها طلقات قياسية والإنساقية والإنتظامية.إن شظية من شظاياها في وسعها أن تحذرنا لنستعد لشظية أخرى في وسعها أن ترمى إلى أوتكون كاشفة عن,ذلك الموضوع الأبعد إن مقدم الموضوع هوتحقيق المضمون أوالفحوى الكاشف عن معنى خفي.

والحقيقة في هذه الحالات,حيث إنها لا تعني شيئا سوى التحقيق التعقيبي المنتظر من أحداث المستقبل, فإنها مناقضة بكل جلاء لأية مشاكسة أوعناد من جانبنا وياويح من تجازف معتقداته مقتحمة النظام الذي تتبعه الوقائع في خبرته,فإما أنها لن تضي به إلى أي مكان, وإما أن تؤدي إلى إرتباطات زائفة وصلات باطلة.ونحن نقصد بكلمة "وقائع" أو"موضوعات "هنا إما أشياء البداهة الحاضرة عيانا ووعيا وإماعلاقات البداهة كالتاريخ والأماكن والمسافات والأنواع والمناشط فبمتابعة صورتنا الذهنية المتخيلة للبيت على طول طريق البقر,فإننا نحصل على التحقيق الكامل للصورة الذهنية.مثل هذه الإشارات المرشدة المحققة ببساطة وإكتمال هي يقينا الأصول الأولى والنماذج المثالية لعملية الحقيقة وحقا إن الخبرة تهيئ أشياءا أخرى في سبيل الحقيقة ولكنها تدرك وتفهم على أنها تحقيقات أولية يقبض عليها,أوتتضاعف أوتستبدل واحدة بأخرى فإذا كانت الحقائق تعني سبيلا من التحقيق فهل ينبغي لنا أن نسمي هذا الطراز من هذه الحقائق عبارة عن كومة من الأفكارالواهية كلا لأنها تشكل الأغلبية الساحقة من عدة الحقائق التي نعيش بها وعليها .

إن الحقيقة تعيش في الواقع من الأمر,في معظمها على نظام النسيئة بطريقة الإئتمان وفتح حساب.فأفكارنا ومعتقداتنا (تصرف) مادامت لا يتحداها أي شيء تماما,مثلما تصرف أوراق النقد ما دام لايرفضها أحد.(116)

بيد أن كل ذلك يشير إلى تحقيقات مباشرة وجها لوجه في مكان ما,بحيث إن نسيج الحقيقة أوبناءها يتقوض بدونها تماما مثل أي نظام مالي ليس له رصيد على الإطلاق فأنت تقبل تحقيقي لأمر,وأناأقبل تحقيقك لأمرآخروهلم جرا,فنحن نتداول ونتبادل و نتقارض الحقائق فيما بيننا ولكن المعتقدات التي يقوم عليها الدليل بطريقة ملموسة أومحسوسة على يد شخص ما,هي الدعائم التي يقوم فوقها البناء كله.وثمة سبب هام إلى جانب الإقتصاد في الوقت للتنحي عن التحقيق الكامل في شؤون الحياة العادية,هوأن كل الأشياء توجد في أنواع وفئات,ولا توجد فرادى .

---

(116) جيمس وليام: البراجماتية؛ مصدر سبق ذكره، ص245

فنحن نجد عالمنا يتميز بهذه الخاصية مرة لا تتكررعلى طول الخط ,بحيث أننا إذا حققنا أفكارنا مرة بطريقة مباشرة عن عينة واحدة من فئة أونوع , فإننا نعتبر أنفسنا أحرارا لتطبيقها على العينات الأخرى بدون تحقيق.والعقل الذي يعتاد التنقيب عن نوع الشيئ الماثل أمامه ويتصرف بمقتضى قانون النوع مباشرة دون أن يتوقف للتحقيق وإقامة الدليل,سيكون عقلا (صحيحا) أو(حقيقيا) في تسع وتسعين حالة من حالات الطوارئ,الأمر الذي يثبت بأنه كلك بدليل مسلكه الملائم لكل شيئ يصادفه دون أن يلقى نقضا أودحضا.وعلى هذا فإن السبل المحققة,كمونا فقط أو بطريقة غيرمباشرة ,قد تكون صحيحة مثل السبل المحققة تحقيقا كاملا سواءا بسواء,فهي تؤدي عملها كما تؤدي السبل الصحيحة وتعطينا نفس الفوائد والمميزات وتطالب بإعترافنا لنفس الأسباب كل هذا على مستوى البداهة لأمورالواقع الذي إنصب عليه,وحده إهتماما ولكن أمور الواقع ليست هي كل ما في حوزتنا في سوق التعامل.**ذلك أن العلاقات بين الأفكارالعقلية البحتة تشكل مجالا آخر تحصل فيه معتقدات صحيحة وباطلة,وهنا تكون العقائد مطلقة وبدون قيد ولاشرط . وعندئذ تكون صحيحة فنها تحمل إسم تعريفات أومبادئ,فالقول بأن(واحد+ واحد = 2 و 2 + واحد = ثلاثة) وهلم جرا,إما أن يكون تعريفا,وذإما مبدأ,وكذلك القول بأن الأبيض أقل إختلافا عن الرمادي مما هوعن الأسود,وبأن السبب عندما يبدأ في العمل,فإن النتيجة تبدأ أيضا.**إن الموضوعات هنا أوالأشياء موضوعات أوأشياء عقلية ,واضحة إدراكيا أوبلمحةأوبنظرة وليس من الضروري أي تحقيق حسي(117) وبالإضافة إلى ذلك,فإنها بمجرد ثبوت صحتها مرة ,فهي دائما صحيحة,بالنسبة لنفس الأشياء أوالموضوعات العقلية.فالحقيقة هنا لها صفة خالدة فإذا تسنى لك أن تجد شيئا ملموسا في أي مكان يكون(واحدا) أو(أبيض)أو(رمادي) أو(نتيجة) فعندئذ ستنطبق مبادئك عليه سرمديا.فهي ليست سوى حالة لتوكيد النوع,ثم بعد ذلك تطبيق قانون النوع على الشيء المعين بالذات.**فأنت واثق من الحصول على الحقيقة إذا تسنى لك فقط أن تسمي النوع تسمية صحيحة,لأن علاقاتك العقلية تنسحب على كل شيء من ذلك النوع بدون إستثناء.فإذا أخفقت بعد ذلك في الحصول على الحقيقة تجريدا,فإنك سوف تقول إنك صنفت أشياءك الحقيقية تصنيفا خاطئا وفي هذا المجال من العلاقات العقلية,فإن الحقيقة أيضا مسألةإيعاز أوإرشاد موصل.**(118) فنحن نربط فكرة مجردة بأخرى,بحيث نصوغ في النهاية نظما كبرى من الحقيقة المنطقية والرياضية، تحت الشروط الخاصة، التي بموجبها تنضم الوقائع المحسوسة للخبرة نفسها في نهاية الأمر، بحيث أن حقائقنا السرمدية تنسحب على الوقائع أيضا.

---

(117) جيمس وليام: "البراجماتية"؛ مصدر سبق ذكره، ص247

(118)المصدر نفسه ، ص24

وما نقوله هنا صحيح مقدما من قبل أي تحقيق أو تثبيت خاص إذا كنا قد عممنا وضمنا أشياءنا أوموضوعاتنا تعميما أوتضمينا صحيحين إن إطارنا أومرجعنا الحقيقي الجاهز لكل أنواع الأشياء أوالموضوعات الممكنة يترتب على نفس تركيب تفكيرنا ذاته.وليس في وسعنا بعد ذلك أن نجازف بإقتحام هذه العلاقات المجردة أكثر مما في وسعنا أن نفعل ذلك بخبرات حواسنا.إنها تلزمنا وتجبرنا ولزام علينا أن نعاملها بثبات خال من التناقض سواء أكنا نرغب في النتائج أم لاوهكذا نجد أن عقلنا محشوركالوتد بشكل محكم و متوتر:بين إلزامات وإجبارات النظام الحسي الإدراكي,وبين إلزامات وإجبارات النظام المثالي,فأفكارنا يجب أن تتفق مع الوقائع والحقائق,سواء كانت هذه الحقائق ملموسة أم مجردة,وسواء أكانت وقائعا أم مبادئا,تحت سيف مسلط من عقوبة التناقض والإحباط إلا مالانهاية فالحقائق إما أن تعني وقائعا محسوسة ملموسة وإما أنواعا مجردة للأشياء,وتعني علاقات تدرك(بالحواس) أوتفقه (بالذهن) بديهيا أوحدسيا فيما بينها وعلاوة على ذلك فإنها تعني ثالثا كأشياء يجب على أفكارنا الجديدة أن تدخلها في الحساب,جماع الحقائق الأخرى برمتها.التي في حوزتنا من قبل ولكن ماذا يعني الإتفاق مع هذه الثلاثة الأصناف من الحقائق ؟ فأولا بلا شك إن الإتفاق معناه النسخ والمحاكاة ولكننا رأينا أن الكلمة المجردة (الساعة) تكفي بدلا من صورة عقلية لشغلهاوآلاتهاوأن أفكارنا عن كثيرمن الحقائق لايمكن أن تكون إلا رموزا وليست نسخا(الزمن الماضي,القوة,التلقائية) كيف تستطيع عقولنا ان تحاكي أوتنسخ مثل هذه الحقائق؟

إن الإتفاق مع حقيقة,في أوسع معنى لا يمكن أن يعني إلا الإهتداء أوالإفضاء إما مباشرة إليها , وإما إلى ما يكتنفها ويحاورها أو الدنو منها على نحو تفاعلي في الأداء معها بحيث يتم تناولها هي أو شيء مرتبط بها على نحو أحسن مما لو إختلفنا معها أحسن أوإما عقليا أوعمليا.ثم غالبا ما يعني الإتفاق فقط الحقيقة السلبية بأن لا شيء معارض أومناقض من جهة تلك الحقيقة يأتي ليتدخل في الطريق التي تقودنا إليه أفكارنا في مكان آخر(119).

إن نسخ حقيقة,هوحقا طريقة هامة جدا للإتفاق معها ولكنه أبعد ما يكون عن كونه ضروريا.إن الشيء الضروري الجوهري هوسبيل التوجيه أوالإهتداء أوالإرشاد.إننا نلقي بأنفسنا خارج أية حقيقة قد يتضمنها ذلك النظام من الحديث والوقائع برمته. إن الغالبية الساحقة لأفكارنا الحقيقية الصحيحة لا تسمح بأي تحقيق مباشرأووجها لوجه على غرارتلك الحقائق من التاريخ كما هوالشأن في مسألة هابيل وقابيل.إن تيار الزمن لا يمكن ركوب متنه إلا شفويا ...لفظيا,أوتحقيقه بطريقة غير مباشرة

---

(119) جيمس وليام: "البراجماتية"؛ مصدر سبق ذكره، ص252.

بوساطة الإستطالات الحاضرة أوالآثاروالنتائج , لماأكنه الماضي وأضمره.**ومع ذلك فإذاإتفقت مع هذه الألفاظ والنتائج ففي وسعنا أن نعرف أن أفكارنا عن الماضي صحيحة .كما أن الماضي نفسه صحيحا,على نحو ما كان يوليوس قيصر صحيحا,وعلى نحو ما كانت أمساخ ما قبل الطوفان صحيحة كل منها في زمانه ومكانه الأصلي الحقيقي.وذلك الزمان الماضي نفسه كان,ولا يزال مكفولا ومضمونا بإلتحامه بكل شيء حاضر فصحيح أو حقيقي كما يكون الحاضر فكذلك كان الماضي.(120)**

ومن ثم

فإن الإتفاق يتمخض عن كونه بالضرورة وجوهريا مسألة إهتداء أوإرشاد, إهتداءأوإرشاد نافع لأنه يفضي أويهدي إلى مضارب أوحمى يحتوي موضوعات أوأشياء هامة.إن الأفكار الصحيحة أوالحقيقية تقودنا إلى حمى كلامي نافع وتصوري(عكس الحقيقي أوالواقعي),مثلما تقودنا مباشرة إلى نهايات مطاف مفيدة محسوسة فارهة.إنها تؤدي إلى الإرتباط والإنطباق والرصانة والخلومن التناقض والثبات والمعاشرة الإنسانية الدافقة في تيارإنسيابي موصول.إنها تنأى بنا عن الشذوذية واللاقياسية والعزلة,وتباعد بيننا بين التفكير الزخرفي,وتصرفنا عن التفكيرالعقيم.إن الإنسياب الذي لايعوقه عائق, لسبيل لإفضاء,وتحرره العام من الإصطدام والتناقض يؤخذ على أنه تحقيقه غير مباشر,ولكن كل الطرق تؤدي إلى روما وفي النهاية فإن كل السبل الصحيحة لا بد وأن تؤدي إلى وجه خبرات محسوسة يقوم عليها الدليل بصفة مباشرة في مكان ما, نسخته أفكار شخص آخر.

هذه هي الطريقة السببية التي يفسربها "وليام جيمس"البراجماتي لفظ إتفاق إنه يعالجها عمليا تماما. **فهويسمح لها بأن تغطي أي سبيل من الإيصال من فكرة راهنة إلى محط مقبل,بشرط أن تمضي فقط بنجاح ويسروفلاح ومن ثم فبهذه الطريقة فقط يمكن القول بأن الأفكار(العملية)على النحو الذي تتجاوز به البداهة,تتفق مع حقائقها ووقائعها.(121)**

إن الأمر كما سبق أن قلت كما لوكان الواقع مكونا من الأثيروالذرات والإلكترونات,ولكن يجب علينا أن لا نرتئي ذلك حرفيا بل إن لفظ الطاقةلا يدعي أنه يمثل أي شيء موضوعي أوينوب عنه إنه فقط طريقة لقياس سطح الظاهرة، لكي تربط تغييراتها وتضبطها على قاعدة بسيطة.بيد أننا في إختيارهذه القواعد التي هي من صنع الإنسان،لا يمكننا أن نكون هوائيين تمضي نزواتنا مع الإفلات من القصاص والتنصل من كل خسارة وضررأكثر مما في وسعنا أن نكون هوائيين على المستوى العملي البديهي .

---

(120) جيمس وليام،"البراجماتية"؛ مصدر سبق ذكره، ص253.
(121)المصدر نفسه ، ص353.

لزاما علينا أن نجد نظرية قادرة على أن تعمل وذلك يعني شيئا غاية في الصعوبة,لأن نظريتنا يجب أن تتوسط تعادلا بين كل لحقائق السالفة وبين بعض الخبرات لجديدة يجب عليها أن تزعج البداهة والإعتقاد الماضي أقل إزعاج ممكن, يتعين عليها أن تؤدي إلى نهاية مطاف محسوس معقول على نحومابحيث يمكن تحقيقه ولإقامةالدليل عليه بشكل مضبوط.ومعنى أن النظرية(تعمل) هو وفاؤها بكل هذين الأمرين والكبس محكم جدا هنا لدرجة أنه لا يدع أي مجال للمجازفة للقياس إلى أي فرض.إن نظريتنا تضبط وتحكم أكثر من أي شيء آخر.ومع ذلك توجدأحيانا قواعد نظرية بديلة تتطابق وتتوافق سواء بسواء مع كل الحقائق التي نعرفها,ثم بعد ذلك نختارمن بينها لأسباب شخصية ذاتية.فنحن نختار نوع النظرية التي لدينا بشأنها سابق تحيز,ونحن نتبع(الرشاقة)أو(الإقتصاد).

ويقول**"جيمس":إن الحقيقة في العلم هي ما تعطينا الحدالأعلى الممكن من كمية التعويض والتربية والوفاءوالسدادوالغبطة,بما في ذلك الذوق,ولكن الموافقة أوالانطباق على كل من الحقيقة السابقة والواقع المستحدث هودائما أكثر المطالب تعسفا.لقد جبت بكم خلال صحراء كثيرة الرمال والآن يمكن أن أقول عبارة دارجة تجري على لسان الصعاليك سنبدأ في تذوق اللبن في جوزة الهند وهنا يطلق علينا نقادنا من أصحاب المذهب العقلي مدافعهم بلا هوادة,ولكي نرد كيدهم فإن ذلك سوف يخرجنا من هذا الجفاف إلى رؤية كاملة لبديل فلسفي خطير الشأن. (122)**

إن حسابنا للحقيقة هو حساب للحقائق في صيغة الجمع لسبل من الإفضاء والإرشاد تنقض بالبرهان أوتدفع بالحجة ولكونها تشترك في هذه الخاصية فإنها تجزي بإدخالنا في نظام أوإرشادنا نحو جزء معين من نظام ينغمس في نقاط متعددة في مدركات حسية قد ننسخها عقليا أولا نسخها,ولكننا نصبح الآن,على أية حال,في نحو من التعامل معها يحدد ويسمى,إبهاما بالتحقيق. إن الحقيقة بالنسبة لوليام جيمس إسم جمعي دال على سبل التحقيق تماما كالصحة والثروة القوة ..إلخ فهي أسماء لسبل أخرى ترتبط بالحياة ويسعى في طلبها أيضالأن السعي في طلبها يجزي. فالحقيقة تصنع تماما كالصحة والثروة والقوة في سياغ الخبرة ومجراها.

وهنا يعترض أصحاب المذهب العقلي ويشنون هجومهم على فكر **وليام جيمس** حيث يقول:**إني لا يمكنني أن أتخيل واحدا من أصحاب المذهب العقلي يتحدث كما يلي:"الحقيقة لاتصنع إنها تدرك وتحرز,حيث إنها علاقة فريدة لا تقوم بخدمة أي سبيل وإنما تنطلق كالسهم فوق رأس الخبرة وتصيب واقعها كل مرة ".(123)**

---

(122) جيمس وليام، "البراجماتية"؛ مصدر سبق ذكره، ص256
(123) جيمس وليام، "البراجماتية"؛ مصدر سبق ذكره، ص258

إن إعتقادنا بأن ذلك الشيء,هناك على حائط هو ساعة إعتقاد حقيقي صحيح سابقا,على الرغم من أنه لا أحد في تاريخ العالم برمته ينبغي له أن يقيم الدليل عليه.إن الصفة المجردة لقيامها بتلك العلاقة الإستشرافية هي ما يجعل أية فكرة تحوزها,صحيحة سواء أكان هناك تحقيق أم لا "، فالعقليون يقولون أنتم معشرالبراجماتيين تضعون العربة أمام الحصان بجعلكم الحقيقة تكمن في سبل تحقيق.

فهذه السبل ليست سوى علامات على وجودها,مجرد طرفا أعرجا يأتي بعد الحقيقة إن الصفة نفسها أوالكيف ذاته سرمدي مثل كل جوهر وطبيعة.والأفكار تشارك فيه بصفة مباشرة كما تشارك في البطلان أوفي الإثبات وهذه الصفةأوالكيف لايمكن تحليلهما إلى نتائج براجماتية.

إن كل إستحسانية لكل هذاالخطاب العقلي مردها إلى الحقيقة التي سبق لناأن نوهن بها مرارا وتكرار.ففي عالمنا المفعم على النحو الذي هوعليه بالأشياء المتماثلة في الأنواع والمرتبطة مشاكلة و مجانسة كذلك, فإن تحقيقا واحدا يكفي للآخرين من نوعه وإحدى الفوائد العظمى لمعرفة الأشياء هي عدم الإتجاه إليها بقدرالإتجاه إلى أقرانها,وخصوصا للحديث الإنساني عنها.ومن ثم فإن كيف الحقيقة الذي تم بلوغه قبل الشيء يعني براجماتيا حقيقة أن أفكارالا حصرلها في مثل هذا العالم تعمل على نحو أحسن بوساطة تحقيقها غير المباشر أوالممكن مما نعمل بتحقيقها المباشر أوالفعلي في واقع الأمر.وعلى هذا فإن الحقيقة قبل الشيء تعني فقط القابلية لإقامة الدليل عليها,وإلا فهي حالة من الحالات التي تزخر بها جعبة صاحب المذهب العقلي من رصيد الحيل فيعالج إسم واقع الظاهرة الملموس كوحدة مستقلة سابقة في الزمن ويضعها وراء الواقع كتفسيرله.وفيما يختص بالحقيقة فإن معظم الناس يتجاوزون كل حد تماما ويعاملون قول لمذهب العقلي كشيء واضح بذاته.

ولكن – في الواقع – كل هذه الكلمات المعرفة بـ (أل) متشابهة بالضبط, فالحقيقة توجد قبل الشيء بقدرما توجدالأمور الأخرى, كثرة أم قلة سواء بسواء.

فالحقيقي ليس سوى المطلوب النافع الموافق في سبيل تفكيرنا تماما مثلا أن الصحيح ليس سوى المطلوب النافع الموافق في سبيل سلوكنا.(124)

وبإختصاريعرف **"وليام جيمس"الحقيقة بأنها" مطابقة الأشياء لمنفعتنا،لا مطابقة الفكر للأشياء ".**

---

(124)الأهواني،احمد فؤاد:نوابغ الفكر الغربي جون ديوي ،دار المعارف ،مصر .ط سنة1968.ص147

2/ المطلب الثاني: معاييرالحقيقة:

إن الحديث عن الحقيقة يدعونا إلى الحديث عن معاييرها، فالمعيار هوالمقياس الذي ينبغي أن يكون عليه الشيء،وهوالقاعدة التي نصدرمن خلالها حكمناعليه.إذن **هومقياس للحكم على الأشياء،** (125) وإذا طبقناه على مفهوم الحقيقة يمكن أن نتساءل:ما هوالمعيار الذي يجعلنا نحكم على فكرة ما بأنها حقيقية ؟هل هو معيار مادي أم صوري؟ تجريبي أم عقلي؟ وهل هناك معيار كوني للحقيقة؟ أوبعبارة أخرى ما هي معايير الحقيقة والصدق واليقين؟هل تكمن في مطابقتها للتجربة والواقع أم ترتبط بالبداهة والتمايز،أم تقترن بالأحكام المنطقية الصورية .؟

ان البراجماتيةجاءت لتقدم لنا معيارآخرللحقيقة أولصحة الفكرة أوالمعتقد يقوم على ربط الفكرة بنتائجها التي تترتب عليها ومدى ما يكون لها من طابع عملي. وكان" بيرس" أول من صاغ هذا المعيار,كما كان أول من إستخدم لفظ "البراجماتية "فقد نشر في عام 1978 مقالا بعنوان"كيف نجعل أفكارناواضحة "(126) حدد فيه معالم هذا المعيار على صورة مبدأ عام , وهو المبدأ الذي أطلق عليه **"جيمس"** إسم **"مبدأ بيرس"** ومبدأ " البراجماتية "ويقول هذا المبدأ:**"إننا لكي نقرر معنى تصور عقلي يبغي أن ننظر إلى النتائج العملية التي نتصورأنها تترتب بالضرورة على صدق ذلك التصور,وستشكل مجموع هذه النتائج المعنى الكلي للتصور"**.والتطبيقات المباشرة لهذا المبدأ هي:

أولا:إن الحديث عن معنى مفهوم ماهوحديث عن مجموع"التوقعات العملية"التي يقودإليهاهذاالمفهوم.

ثانيا:إنَ الحديث عن"التوقع العملي"هوحديث عن حادثة مستقبلية,تلك التي قد تكون متحققة تجريبية.

ثالثا:إن أية فكرة لا تكون قابلة للتحقق تجريبيا"أعني"بدون"توقعات عملية " تكون بلا معنى.

رابعا:إنناحينما نستخدم فكرتين منفصلتين بصورة واضحة,وتكون لهما نفس"التوقعات العملية", فإننا نستخدم في الواقع فكرة واحدة.

ويقدم هذا المبدأ البراجماتي إتجاهات جديدة للبحث الفلسفي, فهو يبعد بنا عن التأمل الميتافيزيقي,إذ يحدد صدق الإعتقاد بنتائجه العملية التجريبية.وهذا مايؤكده **بيرس**(127) في قوله:**"لنفحص موضوع إحدى أفكارنا,ولنتصورجميع النتائج التي يمكن تصورها التي ننسبها إلى هذا الشيء ويمكن أن تكون لها أهمية عملية ,فإن فكرتنا عن الشيء في رأيي لاتعدو كونها مجموع الأفكار الخاصة لجميع هذه النتائج ."**(128)

---

(125) حلمي مصطفى : الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي " دار الدعوة – الإسكندرية ،مصر، دط عام 1998 ص 216
(126) جيمس وليام، البراجماتية؛ مصدر سبق ذكره، ص333
(127) لقد اكد بيرس في هذه المقالة على ضرورة اعطاء تعريف او ترجمة لكل مفهوم او مصطلح نستخدمه.
(128) جيمس وليام، البراجماتية؛ مصدر سبق ذكره، ص45

وهذا يعني أن التصور العقلي ليس هوإلا مجموع الأفكارالخاصة بجميع هذه النتائج,وبعبارة أخرى ليس التصورالعقلي سوى مجموع الإستعمالات التي نتنبأ بها ونتوقعهامنه,وعلى سبيل المثال فإن الإدراك الحسي لشيء من الأشياء هو تهيئة الحركات التي يقوم بها المرء, فيمسك به مثلا,أوينقله,أويكتفي بإستطلاعه عن طريق اللمس أوالإستبصار.والتذكرهوالتهيؤ لإعادة تكوين الحركات التي تتلاءم والشيء المتذكر.والتخيل هوأن يسلك المرء كما لو كان الشيء ماثلا أمامه.وفي مستوى أرفع من هذا,نجد أن المعرفة العلمية هي الإستعداد للإنتفاع بالشيء عمليا.فالقوانين العملية هي إرشادات عملية على قدر كبير من التركيز,أوهي إرشادات يمكن إستغلالها من الناحية العملية.وعلى سبيل المثال **فإن قانون"ماريوت"يحدد مقدارالضغط الذي يجب أن نباشره لكي نجعل لكتلة من الغاز حجما معينا,وتحت ضغط معينا حجما آخر.**(129) ومثال هذا تماما قد يقال عن المذاهب الميتافيزيقية والدينية " لوشئنا أن نتوسع في تطبيق هذا المبدأ "فالعقيدة الدينية مثلا هي فكرة خاصة عن الله وعن الأمورالخارقة للطبيعة ,هذه الفكرة توضح,على نحو ما ,ما يمكننا أن نفعله تجاه هذه الأمور,أعني المسلك الذي ينبغي– لو أمكن – أن نتخذه بإيزائه.

وقد قال**"وليام جيمس": أن الله شيء يستخدمه المرء,إذ أن الإبتهال إليه أوالإكتفاء بحبه,أو بتبجيله أو خشيته ,كل هذه طرق في السلوك تجاهه,ومن ثم كانت تعني– بمعنى ما – طرقا يلجأ إليها الناس لإستخدامه من أجل تحسين أحوالهم . (130)**

وهكذا يكون"الحقيقي"أو(الصادق)هوذلك الذي ينطوي على أكبر قدرمن إمكانيات الإستخدام؛ فالإدراك الحسي مثلا يكون صحيحا إذا مكننا من إستخدام الشيء,ويكون باطلا إذا أخفق في ذلك أوأمكن أن يفشل في تحقيق ذلك.وعلى سبيل المثال, فإن إدراك المجداف معوجا في الماء إدراك حسي باطل,لأنه يؤدي إلى إخفاق في اللمس إذا تتبعنا المجداف بيدنا تحت الماء متوقعين أن نراه معوجا،والهلوسة البصرية باطلة لأنها تدعو المرء إلى أن يتوقع لمس شيء لاوجود له في الواقع. **(131)**

---

(129) ابراهيم، زكريا، دراسات في الفلسفة المعاصرة،"، مكتبة مصر سعيد جودة السحار وشركاؤه 1968،ص50
(130) المرجع نفسه، ص51
(131) بيرس ليس ضد القضايا التأملية التي تعتقد انها قضايا ميتافيزيقية.

ويؤكد**"وليام جيمس"أن التفكير من أوله إلى آخره,وفي كل حالة من حالاته هو من أجل"الفعل", وليس تصورنا لأي شيء ندركه عن طريق الحس سوى ذريعة يراد بها تحقيق غاية من الغايات,وهذا يعني أن الأفكاريجب إختيارهاإما بحصول مايتوقع حصوله من التجارب الحسية, أوأن تأتي الإنفعالات المعبرة عنها ملائمة للغرض المقصود منها.فليست الحقيقة سوى التفكير المطلوب النافع الملائم الذي يأتي محققا لغاياته,كما أن"الصواب"ليس سوى الفعل المطلوب النافع الملائم لسلوكنا في نهاية الأمر.**(132) فإذا لم يكن إختيارالأفكارعن طريق حصول مايتوقع حصوله عنها من التجارب الحسية,كان لنا أن نأخذ بها إذا شجعنا الأخذ بهاعوامل وجدانية أوعملية.إن هذه الطريقة في تمييز صحة أية فكرة أو معتقد هي"في نظر **وليام جيمس** " أساس المنهج العلمي الذي نادى به .إذأن هذا المنهج ما هو إلا محاولة يراد بها تفسير أي معنى عن طريق تتبع النتائج التي تقابلها المعنى في دنيا الواقع .فماهو جديربالإهتمام في نظره هومعرفة الفارق العلمي الذي يترتب عن صدق هذا المعنى أوذاك,فإذا لم نجد أي فارق عملي بين فكرتين كان معنى هذا أن الفكرتين متساويتان عمليا,وبالتالي يكون كل خلاف في هذا الأمرعبثا لا طائل من ورائه. يقول **وليام جيمس:"إذا سلمنا أن فكرة أو معتقدا صحيحا فما هو الفرق الملموس الذي يحدثه كونه صحيحا في الحياة اليومية لأي شخص ؟ وما هي الخبرات التي ستكون مختلفة عن تلك التي تحدث إذا كان المعتقد زائفا و باطلا ؟ "**(133).

إن هذا المحك البسيط كفيل في نظر جيمس في فض كثير من المنازعات الفلسفية فيقول:"إنه لأمريحير يدعو إلى العجب والدهشة أن نرى كم من المنازعات الفلسفية تتساقط و تهوى إلى خواء معدوم المعنى بمجرد أن نخضعها لهذا الإختبار البسيط من تتبع نتيجة ملموسة أوأثر محسوس.إن مهمة الفلسفة برمتها ينبغي أن تتركز في أن تجد ما هوالفرق المحدد الذي سيحدث لك أولي,في لحظات محددة من حياتنا,إذا كان هذا التفسير للعالم أوذاك هو التفسير الصحيح ؟ وإذا لم يكن هناك فرق في النتائج بين كون الفكرة صحيحة وبين كونها باطلة فتكون الفكرة زائفة.**"إن الطريقة البراجماتية هي محاولة تفسير كل فكرة بتتبع و إقتفاء أثر نتائجها العملية كل على حدة.فما الفرق الذي يحدث لأي إمرئ "من الوجهة العملية "**،(134) إذا كانت هذه الفكرة صحيحة بدلا من تلك ؟ إذا لم يكن ثمة فرق عملي يمكن تتبعه,فالبدائل إذن تعني من الوجهة العملية نفس الشيء، ومن ثم فإن أي نزاع أوحصار بشأنها, نزاع عقيم تافه معدوم الجدوى .

---

(132) جيمس وليام: "البراجماتية"؛ مصدر سبق ذكره، ص76
(133) حبيب، محمد: الانسان صانع التكنولوجيا، نقلاً عن كتاب (المعرفة التكنولوجيا)، مرجع سبق ذكره، ص92
(134) رايت،وليام كلي : تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سبق ذكره،. ص489

إن المحك النهائي لإختبار صحة أية فكرة " في نظر البراجماتيين " **المحك العملي فإذا ما ترتبت على الفكرة " علمية كانت أو غير علمية " نتائج نافعة كان هذا دليلا على صدقها فلا فرق بين وصفك لفكرة أنها " صحيحة " وبين وصفك لها بأنها "مفيدة".**(135)

فالفكرة في نظر البراجماتيين وعند **"وليام جيمس" أشبه ما تكون بالسلعة المطروحة في السوق , إذا عادت بالربح على صاحبها كانت سلعة حقيقية,وإذا لم تعد بهذا الربح أوعادت إليه بالخسارة, كانت سلعة بائرة لا تستحق عناء حملها.فإذا كانت للفكرة نتائج عملية نافعة كانت فكرة صحيحة, وإذا لم تحقق هذه النتائج النافعة كانت فكرة باطلة.**(136) ومن هنا نادى **وليام جيمس** بما أطلق عليه إسم**" القيمة الفورية Cash Value".**فطبقا للنظرية البراجماتية فإن نشاطنا العقلي,و تفلسفنا يهدف إلى محاولة حل الصعوبات التي تنشأ في مجرى محاولاتنا التعامل مع الخبرة، فإن**" القيمة الفورية " لأفكارنا إنما تتمثل في الإستخدام الذي يمكن أن نحدده لها . ولا بد هنا من حدوث لفارق العملي بين الإعتقاد بصحة الفكرة وبين الإعتقاد ببطلانها. فالفكرة الصحيحة لها هذه "القيمة الفورية " فهي تحقق لنا فائدة في الحياة العملية ,على عكس الفكرة الخاطئة.**(137) إننا حينما نكون بإيزاء أية فكرة أوأي معتقد لا بد لنا أن نسأل " ما هي القيمة الفورية للحقيقة إختباريا وتجريبيا وممارسة ؟ " وبعبارة أخرى لا بد لك أن تستخرج من كل فكرة " قيمتها النقدية " الفورية العملية , وأن تمرسها على العمل بإظهار كيفتها في نطاق مجرى خبرتك.فالفكرة هنا أشبه ما تكون بالوظيفة التي يؤديها العامل لكي يربح صاحب العمل,أو كأنها"صراف"يدفع نقدا.**فجيمس** هنا يصف هذه الوظيفة بانها" تعمل "أو" تنجح",وأحيانا يقول عنها بأنها " تدفع " أو" تفيد ".ومن هنا تهكم عليه بعض الباحثين وقالوا بأنه رد الفلسفة الأخلاقية إلى مسائل إقتصادية.

والآن إذا كان كل من **بيرس وجيمس** يركز على النتائج العملية التي تترتب على الفكرة أوالمعتقد، فإن هناك إختلافا هاما بينهما.وهذا الإختلاف يميز في إعتقادنا بين عقليتين:عقلية العالم الكيميائي(بيرس) الذي لا يعتقد إلا فيما تظهره التجربة من نتائج " مباشرة " كما يحدث في التجارب الكيميائية في المعمل,وعقلية عالم النفس(**جيمس**)الذي لا يحصرنفسه في طاق النتائج المباشرة,بل يفتح ذراعيه مرحبا بالنتائج "غير المباشرة " كأساس لقبولنا صحة الفكرة.

---

(135) جيمس وليام،"البراجماتية"؛مصدر سبق ذكره، ص69-70

(136) المصدر نفسه ،ص236

(137) راسل،برتراند،حكمة الغرب ج2 ت فؤاد زكريا ،سلسلة عالم المعرفة عدد ديسمبر 1983،المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت ص180

لذلك إقتصر**"بيرس"**على تلك النتائج المباشرة التي تترتب على صحة الفكرة كمعيارلصحتها,بينما إستخدم **"جيمس"** لفظ **"النتائج "** بمعنيين:في المعنى الأول **يكون معنى القضية بمثابة نتائجها المباشرة التي يمكن أن تتحقق فيها عن طريق التجربة. ولكننا لو تمسكنا بهذا لمعنى وحده"كما فعل بيرس" لأصبحت معظم المسائل الميتافيزيقية " كمسألة وجود الله "مسائل لايجب أن تثار,إذ أننا لا نستطيع التحقيق بطريقة مباشرة عن طريق التجربة الفعلية ما إذا كان الله موجودا أوغير موجود.**(138)

وفي المعنى الثاني لكلمة "نتائج".**يكون معنى القضية النتائج غيرالمباشرة التي تترتب عليها .وفي هذه الحالة لا تكون للقضية ذاتها نتائج موضوعية مباشرة نتحقق منها عن طريق التجربة,بل يكون للإعتقاد بفكرة أو قضية نتائج مرضية.**(139)

وبذلك يتوسع **"جيمس"** في معنى النتائج ليفسح المجال لكثير من القضايا الميتافيزيقية – تلك التي لم يكن لها مكان عند بيرس- وعلى رأسها القضايا الدينية التي يرى جيمس **بأنها تكون صحيحة بالنسبة للبراجماتيين إذا ما أثبتت أن لها قيمة في الحياة الملموسة والمحسوسة بمعنى أنها نافعة إلى هذا الحد أوذاك.**(140) وعلى هذا الأساس نفسه يقر جيمس بصحة المذاهب الروحية وببطلان المذاهب المادية, ذلك لأن:"..**العقيدة الروحية تقودنا إلى عالم مليء بالوعود والأماني في حين تغرب شمس المادية في محيط من الحسرة وخيبة الأمل ".**(141)

ومن أوضح الأمثلة على مفهوم النتائج غير المباشرة كمحك لصحة الفكرة أوالمعتقد هو مسألة وجود الله.إذ يرى **"جيمس" أن الإعتقاد بوجود الله اعتقاد صحيح,لأن هذا الاعتقاد يؤدي إلى نتائج عملية مرضية.ولاأهمية هنا للبحث فيما إذا كان الله موجودا أو غيرموجود،لأن هذا الأمر لا يحدث فارقا فيما يقع في خبرة الفرد.بل كل ما هنالك أن إعتقاد الفرد بوجود لله من شأنه أن يحدث نتائج مرضية بطريقة غير مباشرة,فحينما يشعر الفرد بالراحة والسلوى بأن الله موجود,فإن هذه الراحة أو السلوى ليست هي معنى إيمانه بوجود الله وإنما هي مجرد نتيجة لتمسكه بهذا الإيمان أو بذلك الإعتقاد.**(142)

---

(138) جيمس وليام، البراجماتية؛ مصدر سبق ذكره، ص96.
(139) رايت ،وليام كلي،تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سبق ذكره، ص493
(140) ابراهيم، زكريا، دراسات في الفلسفة المعاصرة،"، مرجع سبق ذكره،ص28
(141) رايت ،وليام كلي،تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سبق ذكره، ص497
(142) ابراهيم، زكريا، دراسات في الفلسفة المعاصرة،"، مرجع سبق ذكره، ص40

وينكرجيمس الموقف الإلحادي ,ويرى أن البراجماتية لايمكنها أن تجحد وجود الله"فكيف يمكن للبراجماتية بأي حال أن تجحد وجود الله ؟ "إنها لن تجد أي معنى أومغزى في أن تدفع بوصمة " غير حقيقي"فكرة نجحت كل هذا النجاح براجماتيا.أي نوع آخر من الحقيقة يمكن أن يوجد بالنسبة إليها أكثر من كل هذاالإتفاق مع الواقع الملموس المحسوس(143).

ويدفع جيمس عن مذهبه تهمة الإلحاد الذي وصمه بها نقاده,مؤكدا أنه يقر بالإعتقاد بوجود الله,على أسس براجماتية,لأنه إعتقاد"يعمل"ويحقق الرضاما في ذلك شك.ثم يقول"إنني كتبت كتاباعن خبرة الناس الدينية,يعتبر بمثابة توكيد لحقيقةوجودالله, وربما كان في ذلك تبرئة للبراجماتيةمن تهمة كونهانظاماإلحاديا." (144)

وقد شارك **"جون ديوي"** زميليه **"بيرس وجيمس"** في المبدأ العام للبراجماتية, وهوأن صحة الفكرة تقاس بمقدارما يترتب عليها من فائدة ,ومماالأفكار إلى مجرد"خطط للعمل".ولكن ما قد يميزه عنهما هو أنه ربط "الحقيقة " بـ" البحث ",أن يقررأن العلاقة بينهماهي علاقة "الحل" لـ " المشكلة " فما يؤدي إلى حل للمشكلة التي تطلبت البحث فهو"حقيقي".

ويضرب لنا مثلا بسيطا يصورهذا الأمر فيقول:**(لنفرض رجلا مسافرا في جهة غير مألوفة له,يصل إلى مفترق طرق.ولما كان يفتقر إلى المعرفة الأكيدة لطريق العودة , فهو يصل إلى حالة من التردد والشك أي طريق هو الطريق الصحيح ؟ وعلى نحو ستجد حيرته حلا لها ؟ ليس أمامه إلا إحتمالين:يجب إما أن يسلك طريقا بشكل أعمى أو بطريقة عشوائية,تاركا ماسيحدث لضربة حظ,أوأنه ينبغي عليه أن يميز أسسا للنتيجة،وهي أن طريقا معيناهوالطريق الصحيح. ومحاولة تقرير هذاالأمر عن طريق الفكر سينطوي على بحث لوقائع أخرى,أوعن طريق كليهما. فينبغي على عابر السبيل المتحير أن يتحرى بدقة ما هو متاح لديه و يجب أن يقدح ذاكرته.فهو يبحث عن دليل,قد يتسلق شجرة,قد يذهب في هذا الإتجاه أولا ثم ذاك.إنه يريد شيئا في الطبيعة لافتة أوخريطة.وفكرة المتأمل يهدف إلى إكتشاف الوقائع التي ستخدم غرضه.)** (145)

هذا المثال البسيط الذي ينصب على أنشطة لحل مشكلة عملية قد تواجه أي فرد منا,إنما يصور طبيعة"الحقيقة"عند **ديوي**, فمايساعد على حل الإشكال" فكريا كان أوعمليا "فهو"حق".

---

(143) مهران رشوان محمد "مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة " دار الثقافة القاهرة ط2 1984.ص68

(144)* جيمس وليام، البراجماتية؛ مصدر سبق ذكره، ص248

(145) مهران رشوان محمد "مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة " ،مرجع سبق ذكره، ص69

وقد طبق **ديوي**(146)**المبدأ البراجماتي في مجال المنطق أهم ما يميز المنطق لديه هوإتصال الخبرة الإنسانية.فتيار الخبرة متصل,يؤدي كل جزء منها إلى الجزء الذي يليه,وكل حل لمشكلة يعين على معالجة مشكلة تليها**.وهكذا يستحيل الفصل في حياة الإنسان بين المرحلة الأولى الذي كان إدراكه فيها للمشكلات المختلفة إدراكا فطريا يستهدف به جانب المنفعة والمتعة, وبين المرحلة اللاحقة وهي مرحلة البحث العلمي كما نعرفه اليوم,فهذه إمتداد لتلك.والمنطق الذي يفسر هذه هو نفسه الذي يفسر تلك.

وعلى أساس فكرة الإتصال هذه,لا يقر **ديوي** مذاهب المنطق الأخرى على تفتيت عملية لفكر إلى وحدات,هي قضايا,بحيث تستطيع أن تقول عن القضية الواحدة,وهي بمعزل عن سواها, أنها صادقة أوكاذبة.إذأن القضية في رأيه لا تكون إلا خيطا من نسيج ,وحلقة من سلسلة,ومرحلة من مراحل السير نحو حل لمشكلة بعينها أولا,ثم الإستفادة بنتيجة البحث في تلك المشكلة المعينة في حل مشكلة أخرى,وهكذا.ومن الواضح هنا تأثر ديوي بنظرية التطور,تلك التي رفضت تفتيت الكائنات إلى أنواع مستقلة,يقوم كل نوع بمفرده متميزاعن غيره بخصائص محددة ,ونظرت إلى الكائنات الحية على أنها متدرجة يصعب وضع الحدود الدقيقة بين أنواعها, وبذلك تظل الحياة في تدرج ,لا فواصل فيها ولا تقسيمات.ونحن هنا نجد صورة من فلسفة التطور مطبقة عند **ديوي** في مجال المنطق ،وعلى أساس ذلك، لم يقر ديوي **مايذهب إليه المناطقة عادة من أن القضية هي الجملة التي يمكن أن توصف بالصدق والكذب.ويرى أن الجمل التي يجب أن تأخذ بها هي تلك التي تكون ذات مهمة أدائية تؤديها في عملية البحث,أي تؤديها بالتعاون مع غيرها، في حل الإشكال الذي يكتنف الموقف المشكل الذي كان بادىء ذي بدء باعثا للإنسان على التفكير.فالقضايا عنده"وسائل"نتوسل بها إلى بلوغ هدف مقصود.**(147)

وعلى ذلك فهي لاتوصف بأنها صادقة أو كاذبة بلتوصف بأنها مؤدية إلى الغرض المقصود,أوغير مؤدية إليه.ومن هنا رفض ديوي كل كلام عن الصدق الصوري وحده,إذ أن الأمر في أي كلام كالأمر في الخرائط الجغرافية,فالخريطة الجغرافية لا تكون جديرة بإسمها إلا إذا صلحت في أن توجه السائر في طريق من شانه أن يؤدي إلى غاية يريدها .

---

(146) الطويل توفيق:أسس الفلسفة،دار النهضة العربية،القاهرة مصر ،ط6 ،عام 1976ص ،ص63-64
(147) مهران رشوان "مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة "،مرجع سبق ذكره،ص71

أما إذا صور المصور خطوطا هنا وخطوطا هناك تتخذ شكل الخريطة دون أن يكون لها جانب أدائي في توجيه الإنسان إزاء الرقعة المصورة فإنها لا تكون من الخرائط الصحيحة في شيء و هكذا قل في القضايا المنطقية, فلا يكفي فيها الإتساق الصوري لتقول عنها أنها صادقة منطقية , بل لا بد أن تنظر إليها على أنها أدوات تقدم أو تعوق السير بعملية البحث على نحوينتهي بنا إلى حل نراه ناجحا في ضل الموقف المشكل .

إن الفكرة عند ديوي لا تكون فكرة على الإطلاق إلا إذا كان من شأنها أن تهدي صاحبها إلى إحداث تغيير أوتحويل في مادة الوجود الخارجي , تغييرا وتحويلا يحققان هدفا مقصودا.فالقضايا عنده , سواء كانت تتحدد عن وقائع الخارج أوعن تصورات الذهن هي إذن ,مراحل وسطى في سبيل السير من مشكلة قائمة إلى حلها ,أي أنها أدوات وسيلية من شأنها أن تحقق لنا ما نستهدفه من تحول مقصود نريد له أن يطرأ على مادة الموضوع الذي نبحثه ,بحيث يصيب هذه المادة من التحول ما يجعلها في صورة جديدة ،غير الصورة،التي كانت لها أول الأمر وهذه لصورة الجديدة للمادة تكون بمثابة الإجابة عن السؤال الذي طرح في بداية البحث,أي بمثابة الحل للمشكلة التي أثيرت في البداية.فالقضايا لا يمكن إنتزاعها عن بقية القضايا الأخرى.كما يفعل المناطقة عادة , لندعي أنها وحدة قائمة بذاتها.لأن القضية عند **"ديوي"** لا تكون"قضية"إلا بمقدارما تؤدي إلى غيرها , ثم إلى غيرها,وهكذا حتى تنتهي آخر الأمر إلى "حكم" أخير يكون بمثابة حل للمشكلة التي نكون بصدد معالجتها وحلها.فالقضية بهذا المعنى هي دائما وسيلة إلى غيرها .

وعلى أساس منطق **ديوي سميت فلسفته بإسم" فلسفة الذرائع"أو" فلسفة الوسائل"أو"الأداتية Instrumentialism"،ذلك لأن كل فكرة هي بمثابة ذريعة أو وسيلة أوأداة لبلوغ هدف منشود.**(148) وكل ما يؤدي إلى هذا الهدف فهوحق,فصحة التفكير تقاس بمقدارما يحرزه من النجاح.وفي هذا يقول **ديوي:"إن كل ما هدانا حقا فهو حق"**,والهداية هنا خاصة بعملية البحث ,أي عملية الإنتقال من مشكلة إلى حلها.**هذه هي الصورة العامة لنظرية الحق أو"الصدق "**عند رواد فلاسفة البراجماتية الأمريكية , ويحسن بنا قبل أن ننتهي من هذا العرض أن نوجز الملامح العامة المشتركة بين هؤلاء الفلاسفة تجاه هذه المسألة:

أولا إنَ نظرية الحقيقة أو(الصدق) البراجماتية تقر بأن الحق أمريحدث للفكرة ,أكثر من أن يكون خاصية ثابتة للفكرة التي نحاول الكشف عنها .

(148) مهران رشوان "مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة "،مرجع سبق ذكره،ص72

فقبل أن يكتشف المرء ما إذا كان أي إعتقاد ,أوفكرة أو نظرية من شأنه أن "يعمل", فلا يكون صحيحا ولاخاطئا.**ومن خلال عملية إختبار الإعتقاد على أساس نتائجه, وإتفاقه مع غيره من الإعتقادات, يصبح المعتقد صحيحا أوخاطئا,أوأكثر صحة أوأقل صحة."**(149)

ثانيا:إن الحقيقة أوالصدق ليس أمرا جامدا وغير قابل للتغيير,بل هو ينموويتطورمع الزمن.ففي الازمنة المتعددة من التاريخ الإنساني,ربما تكون هناك نظريات أفكار مرضية بالنسبة للمشكلات التي كانت سائدة آن ذاك,وقد لا تصلح لأزمنة أخرى ,فنكون بحاجة إلى نظريات جديدة أوأفكار جديدة تواجه هذه المشكلات الجديدة.**ومعنى ذلك أن الأفكارإنما تخضع لتطورات مختلفة تبعا للمشكلات التي تواجه الجنس البشري,ولما كانت هذه الأفكارتتعامل مع هذه المشكلات,فهي تكون صادقة ما دامت مفيدة,ولا تكون كذلك إذا لم يكن لها عمل تؤديه وعلى ذلك,فالفكرة قد تؤدي عملا لفترة,وبالتالي تصبح صادقة لفترة,ولكنها قد تفشل بعد ذلك في أداء هذا العمل,ولا ترتب عليها نتائج مرضية,أولم تعد متحققة بالتجارب اللاحقة,فتصبح عندئذ فكرة كاذبة.(150)** وبذلك يكون الصدق والكذب,والحق والباطل,الصواب والخطأ ,كلها مفاهيم نسبية و ليست مطلقة .

ثالثا:إن النظرة البراجماتية هذه قريبة من النظرة إلى الإعتقاد التي تقول بها "النزعة السلوكية" إذ أن السلوك الناجح , في نظرالسلوكيين ,هوحده الدليل على صحة أي إعتقاد ,والسلوك الفاشل دليل على خطئه. فغذا كنت تعتقد بأن هناك قطارا سيتحرك من القاهرة إلى الإسكندرية في العاشرة و خمس وعشرين دقيقة فهذا يعني أنك ستشرع إلى الذهاب إلى المحطة في وقت معين . وحينما تقترب من المحطة تكون الساعة العاشرة وأربع وعشرين دقيقة.فإنك ستجري لكي تلحق بالقطار.فإذا إستطعت أن تلحق به بعد جريك مسرعا كان إعتقادك صحيح وإذا لم تلحق به, وإتضح بأن موعد تحرك القطارهو العاشرة و ثلاث وعشرين دقيقة كان إعتقادك خاطئا.فهذا السلوك هوالذي يشكل مكونات الإعتقاد ,وبالطبع يمكن أن نقول هذا على أكثرالمعتقدات تجريدا .

رابعا: وعلى أساس هذه النظرة إلى الإعتقاد ووصفه بالصحة إذا ما تقدم بنا إلى تحقيق الغرض المنشود ووصفه بأنه خاطىء إذا فشل في ذلك.

---

(149) ديوي جون :المنطق نظرية البحث، ت: زكي نجيب محمود ،دار النهضة العربية القاهرة مصر ط1سنة 1965 ص173
(150) المرجع نفسه ،ص174

توصف البراجماتية عادة بأنها من بين الفلسفات الواقعية,إذ أن نجاح الإعتقاد يعني ثبوت صحته بالخبرة العملية.لأن الإعتقاد هو في حقيقة الأمر دعوى بالصحة,ونحن نختبرالمعتقد بممارسته وبما يترتب عليه من نتائج في دنيا الواقع أوبما يقود إليه من سلوك ناجح لمواجهة المشكلات الواقعية.(151)

يؤكد **"وليام جيمس"** ببساطة أن معيارالصدق لأي فرد لابد أن يوجد في ملاحظة النتائج التي تترتب عليه إذا آثر المرء إفتراض صدقه.وهذا الموقف هو صورة من المذهب التجريبي,الذي يعتمد أساسا على الملاحظة ولايستخدم الإستنباط إلى بوصفه منهجا مساعدا لإستنباط مضامين فرض ما وليس لتحديد صدقه .

ويمكن أن يرتبط المنهج البراجماتي بالمذهب الواقعي,الذي يؤكد أن الحقيقة إما أن تكون تمثلا مباشرا لحقائق واقعية توجد مستقلة عن الذهن الذي يعرفها(وهذه هي الواقعية الجديدة),أوأن أفكار الذهن تطابق هذه الحقائق الواقعية (وهذه هي الواقعية النقدية الجديدة,الثنائية الإبستيمولوجية)، لكن تفسير طبيعة الصدق التي طورها بإستمرار.

(151) ابراهيم مصطفى إبراهيم: نقد المذاهب الفلسفية المعاصرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، ط1، 2000م.ص72

3/ المطلب الثالث: الحقيقة والإعتقاد اليوم:

يرى **وليام جيمس** إن تعريف الحقيقة بأنها "التطابق مع الواقع "هو تعريف لا يحسب حسابا لطابع الفكر الجوهري إذ يجعل من الفكرمجرد نسخة**(copy)** من الواقع,ومن الحقيقة(مجرد علاقة جامدة ساكنة),بينما الفكر في جوهره مرتبط بالفعل,وبالعمل.والعالم الذي يحقق فرضا,إنما يبين بالتجارب العملية في المعمل,صحة هذا الفرض.ولهذا ينبغي أن نعرف الحقيقة بواسطة نتائجها العملية:فالحق هوما ينجح وهوالمفيد,وهوالنافع والأمرأيضا بالنسبة للإعتقاد الأخلاقي:فماهوحق هوما يحق في النهاية أكبر قدرمن الخيرعمليا.

ويتوسع **"جيمس"** في معرفة ماهومفيد أوناجح أونافع : أ-

ففي ميدان التجربة الفيزيائية,المفيد هومايمكن من التنبؤ والعمل ومن التأثيروالإنتاج.

ب-وفي مجال التجربة النفسيةأوالعقلية هوماهومفيد للفكر,وما يزودنا بالشعوربالمعقولية وهو شعور بالراحة والسلام .

ج -وفي ميدان التجربة الدينية يكون الإعتقاد حقا إذا نجح روحيا أعني إذا حقق للنفس الطمأنينة والسلوى وأعاننا على تحمل تجارب الحياة وسما بنا فوق أنفسنا . يقول **وليام جيمس:"التطابق بالمعنى الأوسع للكلمة,مع الواقع لا يمكن أن يكون غير واحد من إثنين:إما الوصول مباشرة للواقع أو في قربه,أوهوالإتصال الفعلي بالواقع إبتغاء مزيد من التأثير فيه هو نفسه أوفي وسيط تأثير أقوى مما تكون عليه الحال لوكان هنالك خلاف,وأضيف أن المقصودهوالفعل في الميدان العقلي والميدان العملي على السواء.وغالبا مايكون هذا الإتفاق هو مجردهذه الواقعة السلبيةألا وهي أن لايصدرعن هذا الدافع شيئا يناقض أفكارنا ويعترض طريقها الذي يفضي بناإلى نقطة أخرى."(152)**

كلا ليس المهم هوإعطاء نسخة عن الواقع ,وإن كان ذلك أحد الطرق المهمة جدا للإتفاق معه والإنطباق.بل المهم هوأن نجد في الفكرة دليلا للتحرك وسط الواقع.إن الفكرة إذا أعاننتا على أن نكون(عقليا أوعمليا)على علاقة إما بالواقع وبأسباب الواقع ,وإذا كيفت حياتنا بالفعل مع كل جهاز الواقع ,بدلا من تعويق مسيرتنا بكل ألوان المضايقات هنالك سيكون إنطباق وإتفاق,فيه تتوافر بدرجة كافية الشروط التي تقتضيها للحقيقة:وستكون هذه الفكرة صحيحة (حقيقة) تجاه الواقع موضوع النظر.

***(152) بدوي عبد الرحمان:" مدخل جديد إلى الفلسفة". وكالة المطبوعات، الكويت، ط2 سنة (1978). ص144**

ويقول أيضا:**"إن علينا أن نعنى لا بالحقيقة (بصيغة المفرد) بل بالحقائق,في صيغة الجمع , ببعض الأفكارالموجهة ,ببعض العمليات التي تتحقق وسط الأشياء نفسها والتي لا تتصف بصفة مشتركة غير كونها جميعا أفكار نافعة."**(153) إنها تنفع من حيث أنها تقودنا – وإن لم تجعل أنفذ فيها – إلى أجزاء من النظام العقلي الذي يغوص في الإدراكات الحسية في مواضع عديدة. وهذه الإدراكات سيحدث لنا أن نتصوربعقولنا نسخة عنها,فإنه سيكون لنا معها ذلك النوع من العلاقة التي تسمى عامة باسم:التحقيق **vérification**.وبالجملة فإن كلمة(حقيقة) ليست بالنسبة إلينا غير إسم جمعي يلخص عمليات التحقيق ,تماما مثل(الصحة والثروة والقوة)هي أسماء تدل على عمليات أخرى متعلقة بالحياة عمليات أخرى نافعة أيضا.إن الحقيقة شيء يصنع مثل الصحة والثروة والقوة خلال تجربتنا.

ونخلص إلى القول أن"الحق" يقوم فيما هومفيد(نافع) للفكر,كما أن" العدل" يقوم فيما هونافع (مفيد) للسلوك.وأقصد بمفيدأنه:مفيد بأية طريقة,مفيد في نهاية الأمر في المجموع ,لأن ما هومفيد للتجربة المقصودة الآن,لن يكون كذلك بالضرورة,وبنفس الدرجة بالنسب إلى تجارب لاحقة.إن للتجربة أحوالها الخاصة بها في"تجاوزالحدود",وفي تصحيح صيغنا.والحقيقة"المطلقة",الحقيقة التي لن تغيرها أية تجربة,هي هذه النقطة المثالية,التي تندعن البصر,التي تتخيل أن كل حقائقنا ستتلاقى فيها ذات يوم.ليكن !هذا أمر في وسع الإنسان المستنيرتماما أن يتصوره أن تتصوره التجربة الكاملة تماما:وإذا تحقق هذا المثل الأعلى المزدوج ,فسيتحقق كلا الأمرين معا وبنفس العملية.ولكن إلى أن يتحقق هذا,لا بد لنا أن نعيش اليوم ,على مانستطيع إمتلاكه,فيما يختص الحقيقة,اليوم
حقا, مع إستعدادنا أن نعترف بأن ماهوحقيقة اليوم قد يصبح خطأ غدا.

إن الحقيقة الموضوعية هكذا يؤكد"وليام جيمس"لا وجود لها ولا يمكن العثورعليها.وتأمل أقدم الحقائق ,فستجد أنها كانت تسمى حقائق لأسباب إنسانية,أي لأنها كانت تشبع رغباتنا."والسبب في أننا نسمي الأشياء حقيقية هوالسبب في أنها حقيقية"،أي لأننا إعتبرناها كذلك بحسب تحقيقها لما نريده من أفعال.(154)

---

(153) بدوي عبد الرحمان:" مدخل جديد إلى الفلسفة". مرجع سبق ذكره، ص145
(154) المرجع نفسه،ص146

صحيح أن أصحاب المذهب العقلي يقررون أن الحق مستقل عن حاجياتنا ورغائبنا وأننا نعثر على الحق,ولسنا نحن الذين خلقه.لكن هذا الحق– بهذا يجيبهم جيمس– إذا فحصنا عنه وجدانه ليس إلا– القلب الميت للشجرة الحية– وبالجملة فإن**"الحق نوع من الخيروليس كما يزعم عادة نوع متميز من الخيرومتسقا معه.إن الحق هو إسم لكل ما يتحقق أنه خيرفي شؤون الإعتقاد,وما هو خيرأيضا لأسباب محددة."**(155) الأفكارالحقة هي الأفكارالمفيدة في الحياة ولوكانت الأفكار الزائفة (الخاطئة)هي المفيدة,لكان علينا أن نتجنب الحق وأن لا نسعى في طلبه.

والحقيقة هي عملية والأفكار تصيرحقيقة بتحقيقها لوظيفة مطلوبة في التجربة الإنسانية.وماهو حق يمكن أن يتغير,بل هويتغير فعلا كلما تغيرت حاجاتنا ومايشبع رغباتنا,وليس لنا أبدا أن نقيس الحق بأي مقياس آخرغير مقياس المنفعة في الحياة العملية.

ومن ثم فإن الحقيقي ليس سوى المطلوب النافع الموافق في سبيل تفكيرنا تماما مثلما أن الصحيح ليس سوى المطلوب النافع الموافق في سبيل سلوكنا.مطلوب ونافع وموافق على أي نحو أيا ما كان تقريبا.مطلوب ونافع وموافق في المدى الطويل وعلى الإجمال طبعا لأن ما يلاقى بملاءمة وموافقة وأهلية كل الخبرة المنظورة لن يلاقي بالضرورة كل الخبرات الأبعد، بنفس الموافقة والملاءمة والأهلية، سواء بسواء.فالخبرة كما نعلم ،لها طرقها من الفوران والغليان، وما وسائلها التي تجعلنا نصحح قواعدنا الراهنة.

والحقيقي"على الإطلاق"بمعنى ما,لن تغيره أبدا خبرة,بعد ذلك هو نقطة نظر مثالية في الفنون وأن كل حقائقنا المؤقتة سوف تتجه نحوها ميلا وتقاربا.وهي تماثل الرجل الحكيم الذي بلغ حد الكمال وتضارع القوة الكاملة على الإطلاق,وإذا قدرلهذه المثل العليا أن تتفق أبدا فسوف تتحقق كلها معا.وفي غضون ذلك يتعين علينا أن نعيش اليوم وفقا لأية فكرة يتسنى لنا الحصول عليها الآن سواء أن نكون مستعدين لأن ندمغها بالباطل.**إن علم الفلك البيطلموسي والفراغ الإقليدي والمنطق الأرسطوطاليسي وميتافيزيقا الفلسفة الكلامية,كانت مطلوبة لعدة قرون,ولكن الخبرة الإنسانية تعدت الحدود,ونحن الآن نسمي هذه الأمور صحيحة نسبيا أو صحيحة في نطاق الحدود من الخبرة.أما "على الإطلاق" فهي باطلة لأننا نعرف أن تلك الحدود كانت طارئة،وربما تكون قد إستشرفها أصحاب النظريات تماما كما هو الشأن على يد المفكرين الحاليين.**(156)

---

(155) جيمس وليام، "البراجماتية"؛ مصدر سبق ذكره،ص195

(156)) المصدر نفسه،ص263

وعندما تفضي الخبرات الجديدة إلى أحكام إستيعادية , في الزمن الماضي,فإن ما تفوه به هذه الأحكام كان على الرغم من أي مفكر ماض لم يسبق له أن أقتيد وعلى حد تعبير مفكر دانماركي فإننا نعيش إلى الأمام ولكننا نفهم إلى الوراء.

إن الحاضر يلقي ضوءا ورائيا على سبل العالم السابق,وربما كانت سبل حقيقة بالنسبة لمن عاشوا على مسرح أحداثها,ولكنها لم تعد كذلك بالنسبة لإمرء يعلم ما ظهروما بان من القصة بعد ذلك.هذه الفكرة التضمينية المنسقة لحقيقة كامنة ممكنة أحسن ستنشأ فيما بعد,ومن المحتمل أن ترسخ يوما، ما على وجه الإطلاق,ولها سلطات التشريع بأثررجعي...تولي وجهها مثل كل الأفكارالبراجماتية نحو تماسك الواقع ومحسوسيته ونحو المستقبل. ومثل أنصاف الحقائق، فإن الحقيقة المطلقة لا بد لها وأن تصنع , تصنع كعلاقة إتفاقية عربية لنمو كتلة من الخبرة التحقيقية تسهم فيها بنصيبها الأفكار نصف الحقيقية على طول الخط.

يقول **وليام جيمس:" لقد سبق لي أن تشبثت بحقيقة أن الحقيقة تصنع إلى حد كبير من الحقائق السالفة.إن عقائد الإنسان في أي وقت هي من الوفير المختزن من الخبرة إلى حد كبير,ولكن المعتقدات هي نفسها أجزاء من المجموع الكلي لخبرة العالم , ومن ثم تصبح مادة العمليات المتوفرة والإختزان المستقبلة.وما دام الواقع يعني واقعا قابلا للممارسة والخبرة ,فكلا الواقع والحقائق التي يكتسبها الناس عنهم في حالة تغير وتبدل وإنتقال مستمر**(157)،تغيروتبدل وإنتقال نحوهدف محدد ربما ولكن لا يزل تغيرا وتبدلا وإنتقالا – يستطيع الرياضيون أن يحلوا المسائل بمتغيرين إثنين,فعلى أساس نظرية نيوتن, فإن التسارع يتغير مع المسافة لكن المسافة تتغيرأيضا مع التسارع .

وفي ميدان سبل الحقيقة فإن الوقائع تأتي مستقلة وتحدد معتقداتنا مؤقتا وشرطيا,ولكن هذه المعتقدات تجعلنا نتصرف,وبقدر ما نسرع في ذل,فإنها تضع أمام ناظرنا أوتوجد وقائع جديدة تعيد تحقيق معتقداتنا والبث فيها طبقا لذلك.ومن ثم فإن كل لفة أوكرة الحقيقة وهي دور وتتدحرج هي نتاج تقدير مزدوج.فالحقائق تنبثق من الوقائع.ولكنها تنغمس قدما في الوقائع مرة ثانية وتضيف إليها,والوقائع الجديدة بدورها تخلق أوتكشف عن حقيقة جديدة (الكلمة محايدة) ...

---

(157)) جيمس وليام، "البراجماتية"؛ مصدر سبق ذكره،ص264

وهكذا إلى مالا نهاية و"الوقائع "نفسها في غضون ذلك ليست حقيقية هي وقائع فحسب...مجرد كائنات.أماالحقيقة فهي وظيفة العقائد التي تبدأ وتتمكن فيما بينها.إن الحالة شبيهة بنمو كرة الثلج، الذي مرده توزيع الثلج من جهة وإلى الدفعات المتتالية للأولاد من جهة أخرى مع هاذين العاملين مشتركين معا في تحرك بعضهما إستمرارا وتواترا وتواليا .

إن أعظم النقاط المصيرية إختلافا بين كون المرء عقليا أوبراجماتيا تبدوالآن أمام ناظرنا كاملة واضحة.الخبرة في حالة تغيروتبدل وإنتقال.كما أن الحقيقة من الناحية السيكولوجية في حالة تغير وتبدل وإنتقال ذلك أقصى ما يسمح به المذهب العقلي ولكنه لن يسمح أبدا لأن الواقع نفسه

أوالحقيقة نفسها في حالة تغيروتبدل وإنتقال.إن الواقع قائم كاملا وجاهز من السرمدية ذلك ما يصرعليه المذهب العقلي,وإتفاق أفكارنا معه هو تلك الفضيلة الفريدة الفذة فيها,والتي لا سبيل إلى تحليلها,والتي سبق للواقع أن أخبرنا بها.وبموجب ذلك التفوق الذاتي الجوهري فإن حقبة لا شأن لها بخبراتنا ,إنها لا تضيف شيئا لمحتوى الخبرة ,ولا تحدث أي فرق بالقياس إلى الواقع الحقيقي نفسه.إنها حادث,عرضا وواقع ,إتفاقا ومصادفة,إنها غير متحركة جامدة هامدة مجرد إنعكاس فقط. إنها لا توجد وإنما تعتقد أو تدرك.إنها تنتمي إلى بعد آخر يختلف عن بعد الحقائق،أوعلاقات الوقائع،وبإختصار فإنها تنتمي إلى البعد المعرفي؛وبهذه الكلمة الضخمة"المعرفي "يغلق المذهب العقلي باب المناقشة.

وهكذا تماما مثلما تولي البراجماتية وجهها شطرالمستقبل نجد أن المذهب العقلي يولي وجهه ثانية,هنا,إلى الخلف شطرالخلود الماضي.وإمعانا في الإخلاص لعاداته المتأصلة فإن المذهب العقلي ينكفئ إلى المبادىء ويعتقد أنه بمجرد أن يسمي"مجردا"ما,فإن لدينا حلا فاصلا قاطعا. إن ماتمخض عنه الآثار الهائلة بالنسبة للحياة لما يترتب على هذا الفرق المتطرف في النظرة ,لن يصبح واضحاوضوحا جليا إلا في محاضراتي الأخيرة.(158)

على أنني أرغب, في غضون ذلك,في أن أختم هذه المحاضرة بأن أبين أن سموالمذهب العقلي لن ينجيه من الخبل العقلي عندما ينصب كلامك بصفة رئيسة على سؤال أنصار المذهب العقلي,بدلا من إتهام البراجماتية بتدنيس وتلويث وإنتهاك فكرة الحقيقة ,بأن يحددوا هم لك فكرة الحقيقة ويفسروها بأن يقولوا بالضبط ماذا يفهمون هم منها, فإن المحاولتين الأكيدتين الوحيدتين اللتين تخطران ببالي هما الآتيتان : **أولا**:الحقيقة في نظام القضايا التي تملك الدعوة بلا قيد ولاشرط لأن لها الحق في أن يعترف بأنها صحيحة وشرعية .

---

(158)) جيمس وليام، "البراجماتية"؛ مصدر سبق ذكره،ص264

ثانيا: الحقيقة إسم دال على كل تلك الأحكام التي نجد أنفسنا مجبرين على إصدارها بنوع من الواجب الإلزامي.وأول شيء يصيبك لأول وهلة مثل هذه التعريفات هو تفاهتها التي تبلغ حدا لا يقال.إنها تعريفات صحيحة على الإطلاق طبعا,لكنها عديمة الأهمية على الإطلاق حتى نعالجها براجماتيا.

ماذا نقصد بكلمة "دعوى "هنا ؟ وماذا نقصد بكلمة "واجب" ؟ وكأسماء جمع مجملة للأسباب الملموسة التي تعلل لماذا يكون التفكير بالطرق الصحيحة مطلوبا ونافعا بشكل شامل للناس الفانين .؟

فلا جناح من التحدث عن دعاوى من جانب الحقيقة سيتعين الإتفاق معها,ولاجناح من القول بإلتزامات من جانبنا توافق عليها.إننا نشعر بكل من الدعاوى والإلتزامات ,وإنا لنشعر بها من أجل تلك الأسباب عينها . بيد أن العقليين الذين يتحدثون عن الدعاوى والإلتزام يقولون بصراحة ووضوح إنهما لاشأن لهما البتة بإهتماماتنا العملية أوأسبابنا الشخصية.إنهم يقولون إن أسبابنا التي تحدوبنا إلى الموافقة,وقائع سيكولوجية نسبية بالقياس إلى كل مفكر على حدا إلى مصادفات وأحداث حياة .إنها بينته ودلالاته فحسب,وليست جزءا,بأي حال من حياة الحقيقة ذاتها.ذلك أن تلك الحياة تنجز نفسها في بعد منطقي بحث أوعرفي خالص,على إعتبارأنه بعد مميز مختلف تماما عن البعد السيكولوجي وأن دعاواه متقدم تاريخيا على كل الحوافز الشخصية مهما تكن,وتعلوعليها وتتجاوزها وعلى الرغم من أنه لاينبغي للإنسان أوالله أن يستثبت الحقيقة أبدا.فإن اللفظ مع ذلك لايزال يتعين تفسيره وتحديده على أنه ما ينبغي إستثباته والإعتراف به.لم يسبق أن وجدمثل أكثر تماما وأناقة لفكرة أنتزعت وأستخلصت تجريديا من محسوسات الخبرة ثم إستعملت بعد ذلك لمعارضة وإنكار ومحو، ماإنتزعت وإستخلصت تجريديا منه.

يقول **وليام جيمس:"إنَ الفلسفة والحياة العادية زاخرتان بالأمثلة المتشابهة.إن"الخطأ المنطقي العاطفي"هو سكب الدموع على العدالة المجردة, والكرم المجرد والجمال المجرد ....إلخ دون أن تعرف أبدا هذه الصفات عندما تقابلها في الشارع,لأن الظروف والأحوال تجعلها مبتذلة و شائعة.(159)**

ويقول**"وليام جيمس"** في آخر مؤلف فلسفي:أجد عبارات مثل الآتية:(العدل مثالي ...مثالي لاغير . فالمنطق يدرك أنه ينبغي أن يوجد ولكن الخبرة تبين أنه لايمكن ... والحقيقة التي ينبغي أن تكون,لا يمكن أن تكون.إن الخبرة تشوه المنطق.وبمجرد أن يدخل المنطق الخبرة فإنها تصبح مناقضة للعقل**إنَ خطأ صاحب المذهب العقلي ,المنطق هنا هوبالضبط مثل خطأ العاطفي,المنطقي فكلاهما يستخرج صفة من جزئيات الخبرة الموصلة ويجدها في غاية النقاوة عندما تستخرج بحيث يقابلان بينها وبين كل حالة على حدة وجميع الحالات الموصلة كطبيعة مضادة وأسمى.إنه من طبيعة الحقائق أن تصحح وترسخ وتحقق(160).**

---

(159) جيمس وليام، "البراجماتية"؛ مصدر سبق ذكره،ص199
(160) المصدرنفسه، ص258

إنه لمن المجزي أن تصحح أفكارنا وتدفع بالمشروعية إن إلتزامنا بالبحث عن لحقيقة جزء من إلتزامنا العام نحو فعل ما يجزى.إن الوفاء والجزاء والأرباح التي تجلبها الأفكارالصحيحة هي العملة الوحيدة لواجبنا في أتباعها وإقتفاء أثرها.إن الحقيقة لا تقيم أي نوع من الدعاوى أوتفرض أي ضرب من الإلتزام يختلفان عما تفعل الصحة أوالثروة.كل هذه الدعاوى شرطية.فالفوائد المحسوسة والمنافع الملموسة التي نكسبها هي ما نعنيه بتسمية السعي في المطلب واجبة.

وفي حالة الحقيقة فإن العقائد غيرالصحيحة تنفث سمها بخبث في المدى الطويل مثلما تؤدي العقائد الصحيحة عملها ودورها بنفع و فائدة.فإذا تحدثنا نظريا وتجريديا, فإن صفة صحيح يمكن أن يقال من ثم,إنها تزداد نفاسة على الإطلاق وصفة غير صحيح (باطل) تزداد لعنة :فإحداهما يمكن أن تسمى خيرا,والأخرى شرابدون قيد لا شرط.ومن ثم ينبغي لنا أن نفكر في الحق وأن نعرض عن الباطل حتما.ولكننا إذا عاملنا كل هذا التجريد معاملة حرفية ووضعناه موضع المعارضة مع منبته الأم في الخبرة فانظروا أي وقف مناقض للعقل و مناف للطبيعة نزج بأنفسنا فيه.إننا لا نستطيع عندئذ ,أن نتقدم خطوة إلى الأمام في تفكيرنا الواقعي فمتى سأعترف بهذه الحقيقة ومتى سأعترف بتلك ؟ هل سيكون الإعتراف جهرا ؟أم سرا ؟ وإذا كان أحيانا جهرا أحيانا سرا فأيهما الآن ؟ متى يجوزوضع حقيقة في مخزن التبريد في دائرة المعارف, ومتى ستبرز للجهاد ؟ هل يجب علي دائما أن أكرر حقيقة أن 2 × 2 = 4 لأجل صاحبة دعوى خالدة في الإقرار بها,أم هل تكون أحيانا غير ذات موضوع ؟ هل يجب على أفكاري أن تثوي ليلا ونهارا قابعة في أصفاد ذنوبي الشخصية وعيوبي,لأني عندي هذه الذنوب والعيوب حقا ؟أم يجوز أن أغرقها و أتجاهلها لكي أكون وحدة إجتماعية وقورا مهذبة,وليس كتلة من إنقباض الصدرالكظيم العليل ومن الاعتذاروالمنافحة ؟ من الجلي جدا,أنإلتزامنا بالإعتراف بالحقيقة أبعد ما يكون عن كونه بلا قيد و لا شرط أمر شرطي.إن الحق مكتوبا بحرف الجمع أو بصيغة المفرد يطالب بالتسليم به والإقرار به مجردا طبعا,ولكن الحقائق الملموسة بصيغة الجمع لا تتطلب التسليم بها إلا عندما يكون التسليم بها نافعا لبلوغ مآرب.

إن الحق يجب دائما أن يفصل على الباطل عندما يرتبط كلاهما بالموقف ,ولكن عندما لا يرتب أي منهما بالموقف فإن الحق يتساوى مع الباطل في كونه ليس واجبا.فإذا سألتني كم الساعة و قلت لك إني أعيش بالمنزل رقم 95 شارع أرفنج , فغن إجابتي قد تكون حقا صحيحة ولكنها لا تجد سببا يجعل من الواجب علي أن أعطيها.وإذا أعطيتك عنوانا كاذبا فالمرء سيان بالنسبة للغرض.(161)

---

(161) ابراهيم، زكريا:" دراسات في الفلسفة المعاصرة"، مرجع سبق ذكره،ص237

بهذا التسليم بأن هناك شروطا تفيد تطبيق الحتم المجرد الذي لامندوحة عنه,فإن المعالجة البراجماتية تجرفنا بكل قوتهاإنَ واجبنا الذي يحتم علينا الإتفاق مع الحقيقة , يبدو لنا مبينا على أجمعه من قضاء المآرب المحسوسة وجر المغانم الملموسة .عندما إنتهى **بركلي** من تفسير ما يقصد الناس بالمادة ,ظن الناس أنه ينكر وجود المادة .وعندما يفسر **شيلر و جون ديوي** الآن ما يقصد الناس بالحقيقة فإنهما يتهمان بإنكار وجودها ويقل ناقدوهم إن هؤلاء البراجماتيون يحطمن كل المعايير الموضوعية ويستوي عندهم الخبل و الحكمة إذ يضعونهما على مستوى واحد.ومن العبارات الإصطلاحية المحببة إلي في وصف **مذهب شيللر** ومذهبي هي أننا شخصان نحسب أنه, بقول المرء أي شيء يجد من السرور أن يقوله وأن يسميه الحقيقة , فإنك بذلك تحقق كل مطلب براجماتي.وإني لأترك لكم الحكم فيما إذا كانت هذه التهمة قذفا ناهشا للأعراض أم لا ؟ وليس ثمة من يرى نفسه أشد أسرا من أي إنسان آخر أكثر من البراجماتي الذي يحس أنه واقع بين شقي الرحى بين جماع رصيد الحقائق المعتصرة من الماضي وبين إكراه وإجبار وإلزام عالم الحس من حوله,فمن ذا يشعر أكثر منه بالضغط الهائل للتحكم الموضوعي الذي تؤدي عقولنا تحته وظائفها ؟ وإذا تصور أي إمرئ أن هذا القانون رخو ، لين فليحافظ على ما تأمربه هذه الوصية يوما واحدا كما يقول **"إمرسون"**.لقد سمعنا كثيرا في المدة الأخيرة على فوائد الخيال و إستعمالاته في العلم ,ولقد حان الوقت لكي نحث على إستعمال قليل من الخيال في الفلسفة .

إن إحجام بعض نقادنا عن قراءة أي شيء,اللهم إلا أسخف المعاني الممكنة من بين سطور ما نكتب,أمر شائن قبيح يخزي خيالهم بشكل لايقل عن أي شيء آخر أعرفه في التاريخ الفلسفي الحديث.إن **"شيللر"** يقول **إن الحقيقي هو ذلك الذي "يعمل" و"يؤدي" وبناءا على ذلك فهو يعامل كشخص يحدد التحقيق هبوطا و إسفافا إلى الدرك الأسفل من المنافع المادية،و"جون ديوي"**يقول **إن الحقيقة هي ما تعطي فردية إشباعا أو"إكفاءا "(162)** . وبمقتضى ذلك فهو يعامل كشخص يعتقد في تسمية كل شخص حقيقيا بحيث يكون,بدرجة كونه حقيقيا,سارا,وليس ثمة ريب في أن نقانا يحتاجون إلى مزيد من الخيال عن الوقائع . لقد حاولت بكل إخلاص أن أمد خيالي وأن أقرء أحسن معنى ممكن يتسنى إستخلاصه من المفهوم العقلي و لكني أقر بالإعتراف بأنه لا يزال يحيرني تماما.إن فكرة حقيقة تدعونا إلى الإتفاق معها وتدعونا إلى ذلك بدون إبداء أية أسباب سوى أن دعواها " بلا قيد و شرط " أو"إستشرافية " سموا وعلوا,فكرة لا أستطيع لها فهما أو فقها.إنني أحاول أن أتصور نفسي كما لو كنت الحقيقة الوحيدة في العالم ثم أتصور بعد ذلك ماذا سأستدعي بعد ذلك أكثر من ذلك ,إذا سمح لي بذلك .

إذا بدا لكن أن تقترحوا إمكان دعواي لأن عقلا كان عليه أن يولد من الفراغ خاويا فاقدا المعنى و يقف ويحاكيني و ينسخني,ففي وسعي حقا أن أتخيل ما يمكن أن يعنيه التقليد و النسخ , ولكني لاأستطيع أن أستحضرأي حافز كما تستحضر الشياطين والجن بالسحر.أم أي نفع أو خير يعود علي إذا قلدت ونسخت،

---

(162) مهران رشوان محمد:" مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة " ،مرجع سبق ذكره،ص72

أوأي نفع و خير يعود على ذلك العقل إذا قلدني ونسخني ,إذا كانت النتائج الأبعد تحذف و تلغى صراحة ومن حيث المبدأ كحوافز للدعوى(كما هو الشأن على يد سلطان وحجج أنصار المذهب العقلي) ....فهذا أمر لاأستطيع سبر غوره عندما حمل المعجبون الايرلندي فوق كرسي لا قعر له على الأكتاف إلى مكان المأدبة قال : " يقينا , لولا ما في الأمر من تكريم وشرف لكان أولى بي أن أجيء سيرا على الأقدام " وكذلك الأمر هنا : لولا ما في الأمر من تكريم , وشرف لكان من المحتمل أن أظل بدون نسخ .إن النسخ واحد من الأساليب الأصلية الحقيقية للمعرفة,(ولسبب عجيب لاندريه يبدو أن معاصرينا من الإستشراقيين يسقطون بعضهم فوق بعض, ويوقعون ببعضهم بعضا لكي ينبذوه و يجحدوه).

ولكننا عندما نتجاوز النسخ ونرتد إلى أشكال أو صيغ غير مسماة من الموافقة من النوع الذي يفكر صراحة انه إما منسوخ وإما موجه,وإما مركب, وإما يندرج تحت أية سبل أخرى تحدد براجماتيا , فإن ماهية الإتفاق المطلوب تصبح غير مفهومة تماما مثل علته سواء بسواء.فليس في الوسع تصور محتوى أو حافزله إنه تجريد لا معنى له على الإطلاق .

وبكل تأكيد فانه في ميدان الحقيقة هذا فإن البراجماتيين"وليس العقليين "هم الفئة الأصدق في الدفاع عن تعقلية الكون.**فقيمة أية فكرة اليوم أو غدالاترجع الى صحتها أو صوابها في حد ذاتها ،وانما ترجع الى مدى مافيها من دفع الى العمل ، وترقية السلوك.**(163)

وصفوة القول يرى"**وليام جيمس"** إن الحقيقةاليوم وغدا ليست هي مطابقة الفكر للواقع وليست غاية في ذاتها،وإنما هي أداة ووسيلة لإشباع حاجات ضرورية، والتأثير في واقعنا وسلوكنا، فالأفكارالصحيحة هي النافعة والمفيدة وليست الصادقة هي ما ينبغي السعي إلى اكتسابها،وبالتالي فإن امتلاك الحقيقة يعني امتلاك المفيد (أدواة مفيدة ونافعة).وقد قيل" امتلاك أفكار صادفة يعني على وجه الدقة امتلاك أدوات ثمينة للعمل".

---

(163) زاهر رفقي:أعلام الفلسفة الحديثة(رؤية نقدية)،دار الطبوعات الدولية، القاهرة ،مصرد ط ،ت، ص169

4/ المطلب الرابع: خصائص الحقيقة:

ما هي خصائص الحقيقة ؟ هل هي مطلقة أم نسبية ؟

يرى رواد الإتجاه البراجماتي وعلى رأسهم **"وليام جيمس"** أن تعريف الحقيقة بأنها **"التطابق مع الواقع"** هوتعريف لا يحسب حسابا لطابع الفكر الجوهري،إذ يجعل من الفكر مجرد"نسخة" من الواقع ومن"الحقيقة" مجرد علاقة ساكنة جامدة، بينما الفكر في جوهره مرتبط بالفعل،بالعمل... فالعَالِم الذي يحقق فرضا، إنما يبين بالتجارب العملية في المختبر، صحة هذا الفرض،ولهذا ينبغي أن نعرِّف الحقيقة بواسطة نتائجها العملية؛ فالحق هو ما ينجح، وهو المفيد وهو النافع.والأمر واضح أيضا بالنسبة إلى الاعتقاد الأخلاقي، فما هو حق هو ما يحقق في النهاية أكبر قدر من الخير عمليا.

ويتوسع جيمس في فهم ما هو مفيد أو ناجح أو نافع: ففي ميدان التجربة الفيزيائية،المفيد هو ما يمكّن من التنبؤ ومن العمل ومن التأثير والإنتاج؛ وفي ميدان التجربة النفسانية أوالعقلية، النافع هو ما هو مفيد للفكر، وما يزودنا بالشعور بالمعقولية،وهو شعور بالراحة والسلام؛وفي ميدان التجربة الدينية،يكون الاعتقاد حقا إذا نجح روحيا، أعني إذا حقق للنفس الطمأنينة والسلوى،وأعاننا على تحمل تجارب الحياة،وسما بنا فوق أنفسنا.يقول**جيمس**:**"التطابق، بالمعنى الواسع للكلمة،مع الواقع لا يمكن أن يكون غير واحد من إثنين:إما الوصول مباشرة إلى الواقع أو الاقتراب منه، أوهو الاتصال المباشر بالواقع ابتغاء مزيد من التأثير فيه؛ وأضيف أن المقصود هو الفعل في الميدان العقلي والميدان العملي على السواء.وغالبا ما يكون هذا الإتفاق هو مجرد هذه الواقعة السلبية ألا وهي ألا يصدر من هذا الواقع شيء يناقض أفكارنا ويعترض طريقنا الذي يفضي بنا إلى نقطة أخرى"**.(164) ليس المهم هوإعطاء نسخة عن الواقع،وإن كان ذلك هوأحد الطرق المهمة جدا للإتفاق والتطابق معه ؛ بل المهم هو أن نجد في الفكرة دليلا للتحرك في وسط الواقع.إذ الفكرة إذا أعانتنا على أن نكون – عقليا أوعمليا-على علاقة إما بالواقع وبأسباب الواقع،وإذا كيفت حياتنا بالفعل مع كل جهات الواقع بدلا من أن تعيق مسيرتنا بكل ألوان المضايقات،هنالك سيكون إنطباق وإتفاق، تتوافر فيه بدرجة كافية الشروط التي تقتضيها الحقيقة،وستكون هذه الفكرة صحيحة (حقيقة) تجاه الواقع موضوع النظر.

---

(164) بدوي(عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، الجزء الاول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،لبنان 1984م.ص ص449

"إن علينا أن نُعنى لا بالحقيقة (في صيغة المفرد) بل بالحقائق، في صيغة الجمع، ببعض الأفكار الموجهة، ببعض العمليات التي تتحقق وسط الأشياء نفسها، والتي لاتتصف بصفة مشتركة غير كونها جميعا أفكارا نافعة. وبالجملة فإن كلمة"حقيقة" ليست بالنسبة إلينا غير إسم يلخص العمليات المفيدة للإنسان.والحقيقة شيء يصنع،مثل الصحة والثروة والقوة،خلال تجربتنا."(165)

والحقيقة"المطلقة"،أي الحقيقة التي لن تغيرها أية تجربة،هي هذه النقطة المثالية التي لايمكن الوصول إليها، والتي نتخيل أن كل حقائقنا ستتلاقى فيها ذات يوم. ليكن ! هذا أمر في وسع الإنسان المستنير تماما أن يتصوره، وأن تتصوره التجربة الكاملة تماما: لكن إلى أن يتحقق هذا المثل الأعلى، لابد لنا أن نعيش اليوم على ما نستطيع امتلاكه من الحقيقة، مع استعدادنا أن نعترف بأن ما هو حقيقة اليوم قد يصبح خطأ غدا".

إن الحقيقة الموضوعية، هكذا يؤكد وليام جيمس، لا وجود لها ولا يمكن العثور عليها. وتأمَّل أقدم الحقائق فستجد أنها كانت تسمى حقائق لأسباب إنسانية، أي لأنها كانت تشبع رغباتنا."(166)

والسبب في أننا نسمي الأشياء حقيقة هو السبب في أنها حقيقة أي لأننا اعتبرناها كذلك بحسب تحقيقها لما نريده من أفعال.صحيح أن أصحاب المذهب العقلي يقررون أن الحق مستقل عن حاجاتنا ورغباتنا،وأننا نعثر على الحق،ولسنا نحن الذين نخلقه. لكن هذا الحق – بهذا يجيبهم وليام جيمس – إذا فحصنا عنه وجدناه ليس إلا"القلب الميت للشجرة الحية". وبالجملة فإن "الحق نوع من الخير، وليس كما يُزعم عادة،نوعا متميزا من الخير ومتسقا معه.

إن الحق هوإسم لكل ما يتحقق،إنه خير في شؤون الإعتقاد،وما هو خير أيضا لأسباب محددة"والأفكار الحقة هي الأفكار المفيدة في الحياة.ولو كانت الأفكار الزائفة (الخاطئة) هي المفيدة،لكان علينا أن نتجنب الحق وألا نسعى في طلبه.**والحقيقة هي عملية La vérité est un processus.**

فالأفكار تصير حقيقة بتحقيقها لوظيفة مطلوبة في التجربة الإنسانية. وماهو حق يمكن أن يتغير؛ بل هو يتغير فعلا كلما تغيرت حاجاتنا وما يشبع رغباتنا.وليس لنا أبدا أن نقيس الحق بأي مقياس آخر غير مقياس المنفعة في الحياة العملية.(167)

---

(165) مهران رشوان محمد: "مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة " ،مرجع سبق ذكره،ص63
(166) بدوي(عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، الجزء الاول،. مرجع سبق ذكره،.ص448
(167) بدوي عبد الرحمان:" مدخل جديد إلى الفلسفة". مرجع سبق ذكره، ص. 146.

5/ المطلب الخامس: الحقيقة والواقع:

لقد إرتبطت الحقيقة بالثبات والإستقرار في المفهوم اللغوي، وأحيانا ترتبط الحقيقة بما يتجاوز الإنسان على اعتبار أن الحقيقة من إختصاص الخالدين الآلهة أو أنصاف الآلهة كما في التصور اليوناني .وأن تكون الحقيقة هي الثبات والإستقرار واللاتغير، معناه أن يكون الواقع حقيقيا يعني أنه ثابت وغير متغير ، لكن واقع الحال يثبت دينامية الواقع وتغيره، وإن لم يكن بصورة دائمة من هنا تتأسس الإشكالية الأساسية كيف ترتبط الحقيقة (الثبات) بالواقع المتغير ؟ فما هي علاقة الحقيقة بالواقع ؟.

وحل لهذه الإشكالية من خلال الإنفتاح على الإرث الفلسفي وفق تسلسل تاريخي :

1/تصور الإتجاه المثالي :

في الفلسفة اليونانية خاصة فترة أفلاطون**(168)** وسجاله مع السوفسطائيين تتحدد رؤية أفلاطون في كونه ميز بين واقعين واقع ثابت والاخر متغير ، فالواقع الحقيقي" الثابت "هو عالم المثل "، عالم الافكار"، باعتباره عالم الماهيات والجواهر والحقائق المعقولة والمجردة والثابتة، وهو عالم مفارق للعالم الحسي ، إنه عالم موضوعي .

في حين العالم الحسي عالم الأشياء، ما هو إلا نسخة للحقيقة الثابتة ، لذا لا يمكن إدراكها إلا بالتأمل العقلي والتجريبي من خلال عملية جدل صاعد أي : الإنتقال من المحسوس إلى المعقول والمجرد، طريقه فعل تأملي عقلي حيث لا ثقة في الجسد ولا الحواس لأن المعرفة المرتبطة بالجسد والحواس ظنية متغيرة ونسبية. **والعلم في نظره ليس إحساسا وإنما هو الحكم العقلي على الإحساس .وبالنسبة له الوجود الحقيقي هو عالم الأفكار لا يمكن الوصول إليه إلا بممارسة عقلية شاقة لحظة الخروج من الكهف (الشفاء من الجهل ، التحرر من العبودية وتحمل الألم)**.**(169)** فمعرفة الحقيقة وتجاوز عالم الظلال والنسخ المزورة مشروط بالاعتماد على المنطق، والتأمل العقلي كممارسة نظرية تؤسس قواعد توجيه العقل البشري نحو العالم الحقيقي، وهو ما يفيد حسب أفلاطون النزوع إلى تأسيس ممارسة عقلية منطقية تستمد مبادئها من العقل وترفض لغة الجسدعلى إعتبارأن فعل التفلسف هوفعل ذهني تأملي، والإمساك بالحقيقة مشروط وفق التنظير عنده بممارسة الإنشطار داخل الذات ،إنشطار يؤدي الى أن يتخلى الباحث عن الحقيقة، عن جسده ليقيم علاقة تأملية ،على اعتبار أن الجسد مصدرعمى وغواية .فإدراك الحقيقة موعود فقط للحكيم التائب عن خطيئته (الثقة في الحواس والجسد والإستمتاع بتجربة الكهف).حسب **نيتـشه(170)** التأسيس الأفلاطوني للحقيقة

---

(168)* أفلاطون: فيلسوف اغريقي يعتبر اعظم الفلاسفة الاقدمين دون منازع ، وكانت اعماله هي الشرارة الأولى التي اشعلت جميع المسائل والأفكار الفلسفية في العالم الغربي حتى اليوم ، وكانت أيضا الحافز الأول لظهور علم النفس والمنطق والسياسة ، و قد خلفت تلك الأعمال تأثيرات عميقة على الحياة العلمية في مختلف عصور التاريخ. ولد افلاطون في اثينا عام 428 قبل الميلاد ، وقد قضى افلاطون معظم حياته في هذا المعهد مدرسا ، ومشرفا على نشاطاته حتى توفي عام 348 قبل الميلاد وجميع أعمال افلاطون المكتوبة ، لحسن الحظ ، حفظت ووصلت الينا ، وهي تتألف من 26 عملا على شكل حوارات درامية حول الفلسفة وما يتعلق بها من أفكار . وقد سميت بالحوارات

(169) زيدان محمود :"نظرية المعرفةعند مفكري الاسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين"،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروتلبنان،ط1سنة1989ـص20.

(170)* نيتـشه:FRIDERICH NIETZCHE : هو الفيلسوف الثائر ذو الاصل الألماني، ازداد سنة (1844) بمدينة روف، درس الفيلولوجيا الكلاسيكية بجامعة بون والتي سيصبح فيها أستاذا سنة (1890). ومن المميزات التي عرفتها هذه السنوات بالنسبة لنيتشه اكتشافه لصاحب كتاب العالم كإرادة وتمثل « شوبنهاور »، بالإضافة إلى الصداقة التي جمعته بالموسيقار فاجنر، غير أنها علاقة لم تدم طويلا. ونظرا لوضعيه الصحية المزرية لم يعد بإمكانه القيام بمزيد من العمل حيث سيدخل بدءا من سنة (1897) غمار حياة عنوانها الوحدة والحيرة. ومن أهم مؤلفاته: ميلاد التراجيديا (1871)، إنسان مفرط في إنسانيته 1878 العلم المرح 1882 هكذا تكل زرادشت 1883-1885 بمنأى عن الخير والشر 1886، جنيالوجيا الأخلاق 1887 حيث سيعمل، وذلك بكيفية جنيالوجية، على الكشف عن أصل أحكامنا المتعلقة بالخير والشر.

تم على أساس نسيان الأصل الجسدي للفكر، حيث إلغاء الجسد ومنح سلطة مطلقة للأفكار والروح وجعل العقل محل الجسد، والفكر محل الواقع.أما **أرسطو**(171)تلميذ أفلاطون، قدم رؤية خاصة لطبيعة الأشكال المركزي والعلاقة بين الحقيقة والواقع حيث يؤكد : الحقيقة واقع محايث وقد أكد أن الحقيقة لا توجد في عالم المفارق بل هي محايثـة ومتضمنة في الواقع الحسي يتفق مع أفلاطون في أن الحقيقة ليست هي الظاهر والحسي، لكنها لا توجد خارجه إنما هي متضمنة فيه لأن المتغير لا يتغير إلا ضمن الثابت وعلى قاعدته ،فالجوهر ثابت والمظهر متغير، وتغير المظهرلا يغير الجوهر،مثلا تغير المظاهرالفيزيولوجية للإنسان لا يغير من جوهرالإنسان، فالإنسان يبقى إنسانا مهما تغيرت ملامحه.فالتنظيرالأرسطي،لعلاقة الحقيقة (الجوهر بالمتغير)،الواقع يتيح لنا مسألة في غاية الأهمية حيث يصبح المحسوس وسيلة لإدراك الحقيقي والخالد وراء المتغير، فالأحكام العقلية هي الحقائق الفعلية المطابقة للواقع الحقيقي باعتباره جوهرا العلل الأربعة. عموما المقاربة الفلسفية الأفلاطونية والأرسطية للعلاقة بين الحقيقة والواقع تحمل بعدا انطولوجيا حيث اعتبار النظر إلى الحقيقة في بعدها الموضوعي، تبقى مهمة الإنسان فقط تأملها واستنباطها في أحسن الأحوال. وباستعادة تصور أفلاطون الذي يشترط أن الوصول الى الحقيقة مرهون بالتخلص من حمق الجسد حيث يؤكد " **إن من الإحساس ما لا يدفع إلى التفكير بل أنه يخدع الفكر، فالاحساس والحواس هي مصدر ضلال ووهم**". (172) فيستعيد "روني**ديكارت" René** » « **Descartes*** فكرة أفلاطون حول إمكانية حلول المحسوس كعائق أمام بلوغ الحقيقة، مما يفرض ضرورة تجاوزالتجربة الحسية والجسدية للمعرفة"التخلص من حمق الجسد "،وهو ما جعل ديكارت يعتبر الشك هو الطريق نحو الحقيقة، مادام لا شيء يقيني، فالحواس خادعة والتجارب مظللة ،وما يخدع لمرة قد يخدع لمرات، لذا فالحقيقي هو ما يمتاز بالوضوح والبداهة وما لا يقبل شكا ،إنها الحقيقة الفطرية التي تستنبطها النفس من تلقاء ذاتها، لأنها واضحة بسيطة أولية وبديهية ما دامت جزءا من تركيب العقل. سئل ديكارت عن طبيعة هذه الأفكار ،فقال: فينا قوة تحدثها،وهي حقائق بسيطة وموضوعية.(173) فالحقيقي عند"**ديكارت**"هو ما يكون بديهيا أوما يستدل عليه بواسطة الإستنباط والحكم العقلي،هكذا تكون الحقيقة ذات أساس فطري مادام العقل البشري هوأعدل قسمة بين الناس،فإختلاف أراء الناس لايعود الى إختلاف العقول وإنما إلى إختلاف وتغاير طرق توجيه العقل، لذا يدعو ديكارت إلى ضرورة الأخذ بالمنهج بإعتباره مجموعة قواعد لقيادة الذهن من أجل الوصول إلى القدرة على التمييزبينالخطأوالصواب

---

(171)* أرسطوطاليس:Aristous يُعتبَر أرسطو إلى جانب أفلاطون وسقراط، واحدًا من أهم فلاسفة الإغريق(اليونان) على الإطلاق. ولد في العام 384ق. م في مدينة إسطاغيرا في مقدونيا، وتوفي في العام 322في خَلْكيس،إن ما تركه أرسطو من مؤلَّفات كان موسوعيًّا وضخمًا جدًّا (تنسب أساطيرُ العصور القديمة إليه ما يربو عن الأربعمائة مؤلَّف، وصلنا منها بشكل شبه كامل فقط 47 مؤلَّفًا، بالإضافة إلى مقاطع متفرقة من مائة أخرى) تلك المؤلَّفات التي نميِّز من بينها، بالإضافة إلى خماسيته الشهيرة التي عُرِفَتْ بالأورغانون Organon، مجموعة تتعلق بالعلوم النظرية، منانج، وأخرى ذات علاقة بالعلوم التطبيقية، من جانب أخر. أما الأورغانون، فهو يعطينا أسُس المنطق الصوري من خلال ما عُرِفَ بنظرية البرهان، وخاصة منه ما سمِّي بعدئذٍ بالقياس.

(172)أفلاطون:" كتاب الجمهورية "، ت :فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط1 سنة1985ص 180

(173) كرم يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة،دار المعارف ، القاهرة مصر،ط5 دت ،ص 146

والصواب،وبين الحقيقة واللاحقيقة. إن عصر **"ديكارت"**(174) هي عصر تأسيس الفلسفة الحديثة، حيث الإحساس أن الفلسفة أصبحت في بيتها كما تأكيد المؤرخين ذلك: **حيث أصبحت الذات العاقلة مقياس العلاقة بالوجود، وأساس كل الحقائق انطلاقا من الكوجيتو "أنا أفكر إذن أنا موجود"** (175)،إذن وجهة نظر **ديكارت** لأساس الحقيقة يحمل بعدا ذاتيا على خلاف الأساس الأفلاطوني للحقيقة ،فمع ديكارت لم يعد الإنسان ذلك الكائن المخلوق والمهيأ لإستقبال الحقيقة إنما أصبح هو صانعها،وهوما يعني أن الذات العاقلة أصبحت هي المصدرالوحيد والموثوق به لبناء الحقائق،حقيقة الذات العاقلة المفكرة وهي تتمثل موضعها وعالمها بشكل شفاف ويقيني،معه تصبح المعرفة تمثلا صرفا للواقع وحضوراله كنظام منسجم أمام فكر الإنسان، الحقيقة كنوع من البروسيا، حيث الذات العارفة تصدرأحكامها على الواقع كموضوع. الإيمان بحقيقة الفكر وحده ومركزيته في فلسفة ديكارت سيجد صدى قويا في فلسفة **هيجل** حين يعبر أن أعمق ما في الذات هو الفكر، عموما ملامح فلسفة ديكارت تحمل المواصفات الآتية : الذات العاقلة مقياس كل شيء ، الإيمان بالعقل وتقديسه ، فصل الوجود عن الفكر،عدم الثقة في الجسد والحواس والتجارب،وإعتبار العقل هو المصدر الوحيد للحقيقة .فهي مطابقة الفكر لذاته .وهذه المعطيات أثارت إعتراضا من طرف فلاسفة الإتجاه التجريبي.

2/ تصورالإتجاه المادي:

إن كثيرا من الفلاسفة الذين ينادون بالمنهج التجريبي يستندون في مناقشتهم إلى حجج شبيهة بتلك التي يستند إليها أنصارالمذهب التجريبي .ذلك أنهم حين يشرعون في تفسيرعالم الظواهر يلوذون بمبدأ كامل خلف هذه الظواهر ويعتبرونه عمادا لها يعتمد عليه وركيزة ترتكز إليها ,وهو من ثم حقيقة تعلو على الظواهر ,فهو"مطلق"يتخفى وراء"النسبي".تلك هي حال**"سبينسر"**(176)**(H.Spencer)** في نظريته عن المغلق Unknowable "هنالك حقيقة مغلقة علينا مجهولة لنا لا نستطيع أن ننفذ إليها بعقلنا ,وسواء توسل الإنسان بالعلم أو بالدين فإنه لن يصل إلى ما يبغيه من مطلق.فالملحد يرى أن العالم قد وجد بذاته ولم ينشأ عن علة ما و لا نستطيع بعقلنا أن نستسيغ هذا القول إذ كيف نقر بمعلول دون أن تكون له علة.والمؤمن يعتقد أن الله خالق الكون وخالق الناس ولكنه لا يستطيع أن يعزز هذا بسند عقلي متين وبحجة منطقية واضحة ,ويقصرالعقل أيضا في مجال العلم فهو لا يكاد يزودنا بمعرفة واضحة فيها إشباع لتطلعنا عن طبيعة المادة وماهيتها ,

---

(174)*ديكارت روني: « René Descartes » فيلسوف،ورياضي، وفيزيائي فرنسي،يلقب بـ"أبو الفلسفة الحديثة"،ولد في 13 مارس سنة1596وتوفي في12 فيفري سنة 1650،ولديكارت تأثير واضح في علم الرياضيات، فقد إخترع نظاما رياضيا سمي بإسمه وهو (نظام الإحداثيات الديكارتية)، الذي شكل النواة الأولى لـ(الهندسة التحليلية)،فكان بذلك من الشخصيات الرئيسية في تاريخ الثورة العلمية .وديكارت هو الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن17م، كما كان ضليعا في علم الرياضيات، فضلا عن الفلسفة، وأسهم إسهاما كبيرا في هذه العلوم،وديكارت هو صاحب المقولة الشهيرة":أنا أفكر، إذن أنا موجود."من مؤلفاته كتاب(تأملات في الفلسفة الأولى-1641م).

(175) كرم يوسف،تاريخ الفلسفة الحديثة،مرجع سبق ذكره ،ص 57

(176)*"هربرت سبنسر:(H.Spencer) فيلسوف بريطاني،ولد في27أفريل سنة1820،وتوفي في 8ديسمبر1903"،هو مؤلف كتاب " الرجل ضد الدولة". وقداوجد سبنسر، وليس داروين، مصطلح "البقاء للأصلح ".رغم أن القول ينسب عادة لداروين .و ساهم سبنسرأيضا في ترسيخ مفهوم الارتقاء،وأعطى له ابعادا اجتماعيا، فيما عرف لاحقا بالداروئية الاجتماعية.وهكذا يعد سبنسر واحدا من مؤسسي علم الاجتماع الحديث.

فالعلم يحلل المادة إلى ذرات والذرات إلى ذريرات وقف عند هذا الحد فحسب وعلى ذلك فسبينسر يرى أن العلق البشري أعد إلى فهم الأشياء دون أن يتعداها إلى ما وراءها,وإذا حاول ذلك فمحاولته تبوء حتما بالفشل".(177) و"بوشنر"**George Büchner** (178) في نظريته عن قوة المادة **Force-matter** (يذهب بوشنر في كتابه القوة والمادة إلى أن المادة مستودع يجمع بين قوى الطبيعة كلها و يشمل كل ما يلوح للبعض على أنه قوى روحية).و"إرنست هايكل" **Ernst Haeckel**(179) في نظريته عن الجوهر **Substance**.**(180)** (يذهب في كتابه ألغاز الكون يبسط مذهبا مغرقا في المادة مسرفا في الآلية ,والمادة هي الموجود الضروري الوحيد والحياة تنبع من جوهر واحد هو"المونيرا"وقد تألفت صدفة وإتفاقا من الآزوت والهيدروجين والأكسجين والكاربون ثم شملها التطور فتألفت منها الكائنات الحية).

إن المذهب المادي هوعبارة عن فلسفة تفسرالظواهر العليا بالظواهر الدنيا. وتحدد مصير العالم بالرجوع إلى القوى الغاشمة العمياء الموجودة في الكون.فالمذهب المادي يجعل مستقبل العالم رهنا بنظام آلي,وهو بذلك ينكر وجود نظام خلقي أبدي في صميم القوى الكونية,بينما نجد أن الحاجة إلى نظام خلقي أبدي هي من أعمق حاجات القلب البشري.فالعالم عندهم حقيقة واقعة مكتفية بذاتها.

---

(177) وولف : فلسفة المحدثين والمعاصرين ,ترجمة أبو العلاء عفيفي,صادر عن مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر,مصر,دط ت.ص34

(178)*بوشنرجورج (George Büchner) ولد جورج بوشنر في عام 1813 في مدينة غوديلاو بالقرب من مدينة دارمشتات، حيث كان يعمل والده طبيبا. وبعد ثلاث سنوات رحل مع عائلته إلى مدينة غيسن حيث أنهى تعليمه المدرسي هناك، وكان بوشنر مشهورا في مدرسته لإلقائه الكثير من الكلمات باللغة اللاتينية. ونظراً لتأثره بوالده الطبيب قرر بوشنر دراسة الطب والعلوم الطبيعية، ما دفعه إلى التسجيل في جامعة شتراسبورغ في فرنسا، في المجال العلمي فقد حصل بوشنر نتيجة لأبحاث قام بها على الجهاز العصبي للأسماك على درجة الدكتوراة في جامعة زيورخ، حيث سمح له فيما بعد بالعمل كأستاذ مساعد. وفي نوفمبر من عام 1836 بدأ بوشنر بكتابة مسرحية "فويتسك التي استطاع إنهاء الجزء الأكبر منها قبل وفاته. وقد أصيب بوشنر في عام 1837 وهو في سن الرابع والعشرين بمرض التيفوس الفتاك مما أدى إلى تدهور حالته الصحية بشكل خطير ووفاته في نفس العام

(179)*"إرنست هايكل":(Ernst Haeckel) ارنست هاينرش فيليب أوغوست هيكل ولد في 16 فبراير 1834 في بوتسدام وتوفي في 9أوت 1919،كان فيلسوفا وعالم أحياء ألماني. قام باكتشاف العديد من أنواع الكائنات الحية . كان مؤمنا بشدة بنظرية التطور و أسس نظرية تسمى بـ (recapitulation theory) أو (Embryonic Recapitulation)في 1860 . ماذا تقول نظريته ؟ تقول أن الجنين في الكائنات (complex animal) يمر بمراحل تطور توجز تاريخ التطور لهذه الكائنات عبر ملايين السنين (الذي قال به داروين). من مؤلفاته ألغاز الكون.

(180) وولف : فلسفة المحدثين و المعاصرين , مرجع سبق ذكره،ص33

3/تصورالإتجاه التجريبي :

يبين **الإتجاه التجريبي** أن الحقيقة هي مطابقة الفكر للواقع الحسي والتجريبي. فمعيار المطابقة هوالواقع الحسي بحيث يصبح الفكر ثانويا بإعتباره إنعكاسا للواقع في الذهن البشري،ويعتبر**"جون لوك"** ممثلا لهذا الإتجاه،حيث يرفض المعرفة الفطرية، ففي نظره كل المعارف تجد أساسها في الواقع الحسي والتجريبي،وقد شبه **جون لوك « J. Looke »**(181)**العقل البشري بلوحة بيضاء تسجل عليها الإنطباعات الخارجية،ففي نظره لايوجد شيء في العقل إلا وقد سبق وجوده في الحس.** (182) ومادامت التجارب مختلفة، فإن الحقيقة تبعا لذلك متعددة ومختلفة. ويميز**"جون لوك"**بين نوعين من الأفكار؛أفكاربسيطة وهي التي تنفذ إلى الذهن عبرالحواس كشكل الشيء أوطعمه أورائحته، وأفكارمركبة وهي التي يؤلفها العقل انطلاقا من الأفكار البسيطة.وهكذا فمصدر كل أفكارنا،سواء كانت بسيطة أو مركبة،هي التجربة التي تعتبر المعيار الوحيد لصحة الأفكار،وهو ما يفيد أن المعرفة ذات أساس حسي تجريبي، بحيث تصبح التجربة الحسية هي معيارالحكم على صحة الأفكار.لذا يجب الثقة فقط بما تمدنا به الملاحظة والتجربة،ويصبح **الإستقراء** (183) هوالمنهج الأفضل لبناء الحقائق ،بعيداعن التأمل المجرد،ومن الشواهد والأدلة التي يؤسس عليها هذا التصوررؤيته،إختلاف ونسبية العقول،بإختلاف الظروف والثقافات.ويؤكد **"لوك"** أن الوجود الحقيقي هووجود الجزئيات,وأن الكليات ما هي إلاتجريدات ذهنية ولابد أن تلي الجزئيات في المرتبة،لقد قال "لوك" إن التجربة الجزئية إحساس جزئي في مكان معين وزمان محدد,وينبغي أن يكون الإحساس هوالحد الذي نقف عنده وتنتهي إليه.وأن العقل مجرد مستقبل للإنطباعات الحسية وأن التجربة هي التي تهبه الأفكار وبالتالي فإن مفهوم الحقيقة مرتبط فقط بالمشاهدات الأمبريقية(التجريبية الحسية)ولايتعداها إلى نظراتنا عن العالم الخارجي.فهذا العالم الخارجي موجود بإستقلال عن الذات العارفة ولن يتأثر بقناعتنا ونظرياتنا عنه.**فالحقيقة عند"لوك"هي مطابقة الفكر للواقع الحسي .**(184)

---

(181)- لوك، جون « J. Looke » هو فيلسوف تجريبي و مفكر سياسي إنجليزي. ولد في عام 1632 في رينگتون (Wrington) في إقليم (Somerset) وتعلم في مدرسة وستمنستر، ثم في كلية كنيسة المسيح في جامعة أوكسفورد، حيث انتخب طالبا مدى الحياة، لكن هذا اللقب سحب منه في عام 1684 بأمر من الملك. وبسبب كراهيته لعدم التسامح البيورتياني عند اللاهوتيين في هذه الكلية، لم ينخرط في سلك رجال الدين. وبدلاً من ذلك اخذ في دراسة الطب ومارس التجريب العلمي، حتى عرف باسم (دكتور لوك). وتوفي عام 1704..يعتبرمن اشهر مؤسسي الليبراليه،كتب لوك عدة مقالات منها: مقال خاص بالفهم البشري (Essay Concerning Human Understanding) وبعض الأفكار عن التربية وأخرى عن التسامح. ورسالتان في الحكم المدني / أنظر كتاب راوية عبد المنعم عباس : "جون لوك إمام الفلسفة التجريبية" ، صادر عن دار النهضة العربية للطباعة والنشر,بيروت,بتاريخ 1996. ص120

(182) بدوي(عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني،. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،ط1، 1984م ص374.

(183) الإستقراء هو عملية ذهنية بموجبها يتم الانتقال من الحكم الخاص إلى العام

(184)*ميتز (رودلف)، الفلسفة الإنجليزية في مائة عام، ج 1، ترجمة: فؤاد زكريا، دار النهضة العربية. د ت.ص39-40

4/عند وليام جيمس:

إذا كانت الفلسفة المعاصرة بعنوانها الكبير مجاوزة الميتافيزيقة، لرفض المنطق الثنائي الارسطي يعني رفض الأساس الذي إنبنت عليه الحقيقة كمطابقة، وبالتالي تجاوز التصورالتطابقي والماهوي للحقيقة هذه الأخيرة لم تعد ثمرة للبرهان،ولا نتيجة للتأمل العقلي الصرف والخلوات الطويلة ،رفض يعكس إعتماد رؤية ومنطق مغايرأي معالجة مفهوم الحقيقة وفق منطق الإختلاف واللاتطابق. وتتحدد الحقيقة داخل هذا المنطق وفق التصورالاتي:

فقد ذهب**"وليام جيمس"**إلى أن ما يحدد معنى **الحقيقة (Truth)**على العموم إنما هو ما يترتب عليها من نتائج ،وإذا كنا نحن في العادة نميز بين صدق القضية (من حيث هي قول يكافئ فيه الإثبات الشيء المثبت) وبين مجموع العمليات التي لا بد من القيام بها من أجل إمتلاك تلك الحقيقة أومن أجل التوصل معرفة صحتها؛**فإن الفلسفة العملية ترفض مثل هذا التمييز,وتذهب إلى أن الحقيقة ليست مجموع تلك العمليات.فالنظرية الصحيحة إن هي إلا تلك النظرية التي تقودنا بالفعل إلى النتائج العملية الفعالة.** (185)

وهكذا يمكننا أن نقول بصفة عامة إننا نعرف أي موضوع من الموضوعات معرفة حقيقية , حينما نقوم بالفعل,أوحينما نستطيع أن نقوم على الأقل,بتحقيق تلك العمليات التي من شأنها أن تنتقل بنا من تجربتنا الراهنة إلى تجربة أخرى جديدة تأتي بنا مباشرة إلى الموضوع المراد معرفته.وعلى ذلك , فإن الفكرة الحقيقية ليست بمثابة صورة مطابقة للشيء,بل هي بالأحرى عبارة عن فكرة من شأنها أن تقودنا إلى إدراك ذلك الشيء.بيد أننا نجد عند **"وليام جيمس"تعريفا آخر للحقيقة** يختلف عن التعريف السابق من بعض النواحي,إذ نراه **يقول إن القضية لا تكون صحيحة (أو حقيقية) إلا إذا كان في قبولنا لها ما ينتهي بنا إلى نتائج مرضية,أعني أن صدق القضية رهن ما يترتب على التسليم بها من إرضاء لحاجات الفرد البشرية,بسيطة كانت أم معقدة.**(186)

وبينما نجد أن التعريف الأول للحقيقة لايكاد يخرج بنا عن مجال الإدراك المباشر للموضوع ,بإعتبار أن هذا الإدراك هو المرحلة الأخيرة في صميم تلك العملية التي نسميها بإسم **"الحقيقة Truth"**, نرى أن التعريف الثاني يكاد يكون مستقلا تمام الإستقلال عن كل إشارة إلى الإدراك,إذ الإحالة هنا إلى فكرة الإختبارأو الإمتحان **"Epreuve** ",أعني إمتحان الفكرة عن طريق التطبيق أوالإختبار العملي ,بحيث أن الخطأ نفس لايبدو هنا ضربا من الفشل أوالخسارة .

---

(185) بريهيه (إميل) ، تاريخ الفلسفة، الفلسفة الحديثة، فلسفة القرن السابع عشر، الجزء الخامس، ترجمة جورج طرابيشي. دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ط:2. 1993.ص1040

(186) المرجع نفسه، ص1041

وبهذا المعنى الأخير تصبح (الحقيقة) أقرب ما تكون إلى **(الإعتقاد الحيوي Croyance vitale)** على نحو ما فهمه **Newman**" وتلك فكرة لا يستبعد أن يكون **وليام جيمس** قد أخذها عن والده هنري جيمس(ذلك العالم اللاهوتي النازل من سلالة إمرسون) **.وعلى كل حال فقد وذهب جيمس إلى أن الحق لا يكون حقا إلا إذا كان في خدمة الخير,كما ذهب أيضا إلى أن الحقيقة الحية ليست فكرة تنتقل من ذهن إلى آخر,بل إنما الحياة وحدها هي التي تفصل في قيمة الحقائق.**(187) ولوأننا أردنا أن نعرف الأصل في نظرية جيمس في الحقيقة , لوجدنا أن نزعة **"جيمس"** التجريبية هي التي دفعته إلى جعل" الحقيقة "ضربا من"التحقق **Vérification** ",كما هو الحال في العلوم مثلا .والواقع أن كل الحقائق العلمية إن هي إلا مجرد فروض تتحقق من صحتها عن طريق ملاحظة التجارب الجزئية و ليست أشد النظريات العلمية إحتمالا وإنسجاما سوى مجرد فروض,إلا أن نتثبت من صحتها بالرجوع إلى وقائع ملاحظة.وهكذا الحال أيضا بالنسبة إلى سائر تصوراتنا ومفهوماتنا فإنه لا بد من نخضعها غلى حكم التجربة,حتى نتحقق من صحتها علميا.فإذا ما طبقنا على المعاني والتصورات والأفكار هذا المنهج التجريبي,كان في إستطاعتنا أن نميز بين القضايا الصحيحة والقضايا الكاذبة , لأن**"الحقيقة ليست سوى إسم الجنس الذي ينطبق على كافة أنواع الأفكار ذات القيمةالعملية المحددة ,مما نتحقق عمليا من تأثيره في مجال التجربة"**.(188)وهذا ما يعنيه **"وليام جيمس"** حينما يقول: إن**"الحقيقة" لا تعني في مجال الأفكاروالمعتقدات شيئا آخر سوى ما تعنيه في مجال العلم.والواقع أن الأفكار نفسها إنما هي أجزاء من التجربة ,وهي لا تصبح حقيقية إلا بقدر ما تعيننا على أن نكون علاقات مرضية جديدة مع أجزاء أخرى من التجربة.**(189)

فللحقيقة إذن طابع ذرائعي **Instrumentale** (**على حد تعبير جون ديوي**),لأن وظيفة الحقيقة تنحصر في الربط بين أجزاء تجربتنا ربطا عمليا مرضيا ناجحا .وهكذا **يقرر جيمس مع مدرسة شيكاغو أن صدق الأفكار إنما يعني قدرتها على العمل أوعلى أداء وظيفة، Truth in our ideas means theie power to«work »** (190). لقد كان الفلاسفة القدماء يتوهمون أن هناك عالما معقولا فوق الزمان والمكان,فيه توجد كل الحقائق الممكنة ,فكانت القضايا الإنسانية في نظرهم صادقة بقدر ما تجيء مطابقة لتلك الحقائق الأزلية .

---

(187) ابراهيم، زكريا:" دراسات في الفلسفة المعاصرة"، مرجع سبق ذكره،،ص32
(188) جيمس وليام، البراجماتية؛ مصدر سبق ذكره،ص261
(189) ابراهيم، زكريا:" دراسات في الفلسفة المعاصرة"، مرجع سبق ذكره،ص34.
(190) المرجع نفسه ،ص34 .

ولما جاء المحدثون أنزلوا الحقيقة من السماء إلى الأرض,ولكنهم ظلوا يرون في الحقيقة شيئا سابقا على أحكامنا و قضايانا.وما مهمة العلم في نظر المحدثين سوى الكشف عن الأشياء والوقائع ,إذ بذلك يتسنى لنا أن نخرج الحقيقة من مكمنها أن نلقي عليها من الضوء ما يكفي للوقوف على قوانين الأشياء.وبهذا المعنى ظل المحدثون ينظرون إلى الوقائع على أنه كل منظم متماسك تسود بين أجزائه رابطة منطقية هي الحقيقة نفسها.ولكن التجربة – على نحو ما رآها جيمس – لا تكشف لنا عن أي شيء من هذا القبيل:إذ أن العالم كما رأينا ليس وحدة متماسكة بل هومجموعة من الأشياء تتطور وتغير في صيرورة مستمرة و زمان حي متجدد ... وإذا كان الرأي التقليدي القائم على فكرة الثبات يعرف الحقيقة على أساس تطابقها مع شيء موجود من ذي قبل,فإن **"وليام جيمس" لايرى في الحقيقة مجرد نسخة مطابقة لما قد كان أوما هو كائن,بل هو يرى أن الحقيقة تؤدي بما سيكون أوهي على الأصح تعد فعلنا لما سوف يكون.**(191)

وبعبارة أخرى فإنه إذا كانت الفلسفة التقليدية تميل إلى أن تجعل"الحقيقة "تنظر دائما إلى الخلف,فإن الفلسفة العملية تجعلها تنظر دائما إلى الأمام وقد لخص **برغسون**(في المقدمة التي كتبها للترجمة الفرنسية لكتاب **"وليام جيمس"** المسمى براجماتية **Pragmatisme**) وجهة نظر جيمس في الحقيقة فقال:((**بينما ترى المذاهب الأخرى أن أية حقيقة جديد إن هي إلا إكتشاف (Découverte)).**(192) ترى الفلسفة العملية أنها إختراع **Invention** ومن هنا نرى أن"الحقيقة " في نظر جيمس ليست"صفة ساكنة "أو(خاصية قارة) في أية فكرة من الأفكار,بل هي أقرب ما تكون إلى حدث يعرض للفكرة فتصبح بمقتضاه صحيحة.وفي هذا يقول**"جيمس"**بصحيح العبارة:**الفلسفة العملية كما رأينا لا تجعل من الحقيقة مجرد توافق بين الحقيقة والواقع ,بل هي تقرر أن الفكرة تصبح حقيقية عندما يثبت بالتجربة أنها فكرة صالحة مفيدة.**(193) والواقع أن الفلسفة العملية هي النتيجة المنطقية الضرورية للنزعة التجريبية .لأنه إذا كانت الحقيقة كامنة في الإحساس وحده,وإذا كان" التصور **Concept"**هوعبارة عن خلاصة تحكمية للتجربة الحسية,فإن القيمة الوحيدة للتصور تنحصر في طابعه التحكمي من حيث هوملائم أو محقق لغاية عملية.ومن جهة أخرى فإنه إذا كان" التصور"ذاتيا صرفا,وإذا لم يكن ينطوي في ذاته على حقيقة واقعية موضوعية ,فإن صحته لا يمكن أن تحدد إلا بالنظر إلى نتائجه ,أي بتطبيقه على الحقيقة الخارجية , ومعرفة مدى نجاحه أوفشله في هذا السبيل .

---

(191) جيمس وليام:" البراجماتية"؛ مصدر سبق ذكره،ص260.
(192) ابراهيم، زكريا:" دراسات في الفلسفة المعاصرة"، مرجع سبق ذكره،ص35
(193) المرجع نفسه ،ص35

وتبعا لذلك فإن المذهب العملي **(البراجماتيزم)** لابد أن يستحيل إلى مذهب تطبيقي **Practicalism** ينادي بإمتحان الأفكار عمليا لمعرفة قيمتها ,وأثرها,وفائدتها , وقوتها.ويذهب جيمس إلى أننا لا نستطيع مطلقا أن نتجاوزنطاق التجربة ,فليس هنالك موضع لأن نتحدث عن حقيقة مطلقة,أوعن شيء في ذاته,يكون نطاق كل منهما فيما وراء الظاهرة.وهكذا يستبدل جيمس بتلك الحقيقة المطلقة التي لن تتغيرمنها أية تجربة مستقبلا كائنة ما كانت,حقائق متغيرة نتحقق من صحتها عن طريق التجربة, ونتثبت من صحتها بالرجوع إلى نتائجها العملية.ومادامت"الحقيقة **Truth"** هي"التحقق **Vérification"**,فإن الأفكار الحقيقية إنما هي عبارة عن أفكار موجهة , أوفروض ناجحة أوعمليات مثمرة.وليس من المهم أن تكون ثمرة الفكرة مباشرة ,إذ قد لا نستطيع أن نتوصل إلى النتائج العملية المترتبة عن فكرة ما من الأفكار بطريقة سريعة مباشرة,دون أن يكون في ذلك ما ينفي عن تلك الفكرة طابع "التحقق"أوإمكان التحقق "**Vérifiability** "على الأقل.والواقع أننا كثيرا ما نكفي أنفسنا مئونة التحقق من الكثير من أفكارنا العادية , إكتفاءا بهذه الإمكانية (إمكانية التحقق) التي نحن على ثقة منها.ولهذا فإن جيمس يقررأن معظم الحقائق تعيش على نظام مالي قوامه الإستدانة **Crédit system** وتظل أفكارنا ومعتقداتنا سارية المفعول,طالما ظل الناس يتقبلونها دون تحد أو توجس,مثلما في ذلك كمثل أوراق النقد التي تظل محتفظة بقيمتها طالما ظل الناس يتداولونها فيما بينهم.ولو أننا أمعنا النظر في **مذهب جيمس** في**"الحقيقة Truth"**لوجدنا **أنه يستعمل كلمة نتائج بمعنيين مختلفين,مما يدلنا على أنه قد ظل متأرجحا بين المزاج الخشن tough-minded والمزاج الرقيق tender –minded .**(194) أما المعنى الأول فهو ذلك الذي يقررأن عنى أن أية قضية **Statement** هو عبرة عن نتائجها المباشرة التي يمكننا أن نتحقق منها عن طريق التجربة.وهاهو ما قصد إليه **بيرس Peirce** في الأصل بنظريته في المعنى,حيث ذهب إلى أنه حيث لا تكون ثمة نتائج عملية مباشرة ,فليس ثمة معنى.والمنهج العملي هو وثيق الصلة بفلسفة الذرائع **Instrumentalism** وببعض الفلسفات الوضعية المعاصرة.ولو أخذنا بوجهة نظره,لكان علينا أن نسلم بأنه ليس ثمة موضع لإثارة الكثير من المشاكل الميتافيزيقية كمشكلة الله مثلا:لأنه سواء قلنا أن الله موجود أم قلنا إنه غير موجود , فإنه لن يكون في إستطاعتنا عن طريق التجربة الموضوعية المباشرة أن نتحقق من وجود أي فارق حقيقي بين معنى هاتين القضيتين.

---

(194) ابراهيم، زكريا:" دراسات في الفلسفة المعاصرة"، مرجع سبق ذكره،ص36

وأما المعنى الثاني لكلمة نتائج (**Consequences**)عند **وليام جيمس فإنه يشير إلى النتائج غير المباشرة التي تترتب على الإيمان بفكرة أوالتمسك بعقيدة.وفي هذه الحالة ليس للقضية ذاتها نتائج موضوعية مباشرة نتحقق منها عن طريق التجربة,بل إن للإيمان بتلك القضية نتائج عملية مرضية.**(195) وبهذا المعنى يمكننا أن ننظر إلى الإيمان بالله على أنه ينطوي على معنى , لأنه يحدث بالفعل إختلافا كبيرا في حياة المؤمن.**بيد أن النتائج المترتبة على هذا الإيمان في مجال التجربة ليست مستخلصة من القضية ذاتها , أو من الواقعة المفترضة , بل هي وليدة الإعتقاد بأن لهذه القضية أو الواقعة المفترضة مثل هذه النتائج .** (196) و بعبارة أخرى فإنه ليس وجود الله نفسه هو الذي يحدث فارقا أو إختلافا فيما يختبره الفرد في مجال تجربته , بل كل ما هنالك أن إعتقاد الفرد بوجود إله من شانه أن يصبغ بصبغته الخاصة موقفه من الحياة و نظرته العامة إلى الوجود , فيحدث نتائجه بطريقة غير مباشرة . و حينما يشعر المرء بالراحة أو السلوى لأنه على يقين من أن الله موجود , فإن هذه الراحة أو تلك السلوى ليست هي معنى إيمانه بأن الله موجود , و إنما هي مجرد نتيجة لتمسكه بهذا الإيمان أوذالك **" الإعتقاد "(belief)** و مهما يكن من شيء فإن وليم جيمس قد فهم كلمة " نتائج " على نحوين مختلفين فوقع بذلك تحت تأثير كل من العقليين الخشنة والرقيقة , دون أن يستطيع التوفيق بينهما.ولو أن جيمس بقي مخلصا للمبدأ العملي على نحو ما وضعه **بيرس** , لكان عليه أن يجعل محك صدق الأفكار هو الرجوع إلى نتائجها العملية المدركة في صميم التجربة . **ولكنه وسع من معنى كلمة " نتائج " فأدخل في نطاقها الآثارالوجدانية والغايات العملية ...إلخ . وهكذا أصبح " الحق " يعبر في نظر" جيمس" عن الملائم (Expedient) في مجال التفكير , كما أن "الخير"هو"الملائم " في مجال السلوك.**(197) وربما كان في وسعنا أن نفهم خطورة الثورة التي تحدثها مثل هذه النظرة إلى " الحق " لو أننا توقفنا قليلا عند بعض الأمثلة التي يقدمها لنا وليم جيمس نفسه بهذا الصدد.ولنأخذ على سبيل لمثال ذلك النزاع القائم بين المادية والروحية لكي نرى على أي الوجوه يريد المنهج العملي أن يفصل فيه . وهنا يمكننا أن نتساءل ما الفرق بين نظرة الماديين إلى الكون , ونظرة الروحيين إليه ؟ الواقع أننا إذا إقتصرنا على النظر إلى " الماضي "هذا الكون فسنرى أنه يستوي في ذلك أن نقول إن العالم هو من صنع المادة أو أنه من صنع روح إلهية . و أما إذا نظرنا إلى هذا العالم الذي نعيش فيه , ذلك العالم الناقص غير المكتمل الذي له مستقبل , فسنرى أن هنالك فارقا كبيرا بين المادية و الروحية .

---

(195) جيمس وليام:" البراجماتية"؛ مصدر سبق ذكره،ص207
(196) ابراهيم، زكريا:" دراسات في الفلسفة المعاصرة"، مرجع سبق ذكره،ص37
(197) جيمس وليام: "البراجماتية"؛ مصدر سبق ذكره،ص208

والواقع أن الفلسفة العملية تريد دائما أن تحول أنظارنا نحو المستقبل,فما يعنيها من كل هذه المشكلة إنماهو أن تعرف نوع العالم الذي يعدنا به كل من المذهب المادي والمذهب الروحي.فإذا ما نظرنا إلى المشكلة على هذا النحو,تبين لنا أن المذهب المادي هوعبارة عن فلسفة تفسرالظواهر العليا بالظواهر الدنيا .وتحدد مصير العالم بالرجوع إلى القوى الغاشمة العمياء الموجودة في الكون.فالمذهب المادي يجعل مستقبل العالم رهنا بنظام آلي ,وهو بذلك ينكر وجود نظام خلقي أبدي في صميم القوى الكونية ,بينما نجد أن الحاجة إلى نظام خلقي أبدي هي من أعمق حاجات القلب البشري .أما المذهب الروحي, فإنه إذ يقرر أن الروح ليست مجرد مظهر بسيط من مظاهر الكون بل هي قوة فعالة تعمل في صميم الكون وتساهم بنشاطها الخاص في التغيير في صفحة العالم ,فإن يفتح أمام آمالنا الإنسانية الواسعة أفقا رحبا يتجاوب مع حاجات القلب البشري . وهكذا نجد **(أن العقيدة الروحية في شتى صورها من شانها دائما أن تقودنا إلى عالم مليء بالوعود والأماني,بينما تغرب شمس المادية في محيط هائل من الحسرة وخيبة الأمل.)** (198) من هنا نرى أن المنهج العملي (على حد تعبير جيمس بنفسه) من شأنه أن يضع حدا لتلك المناقشات الميتافيزيقية التي لا سبيل إلى الفصل فيها بأية طريقة أخرى.فهل نقول مثلا بأن العالم واحد أم كثير؟وهل نقول بأنه محكوم بالقضاء والقدر أم أنه قائم على الحرية ؟ وهل نقول بأنه مادي أم روحي هل هذه المسائل الميتافيزيقية هي في نظر**"وليام جيمس"** مما يصعب الفصل فيه عن طريق النظر العقلي وحده ,فلنرجع إذن إلى التجربة لكي نتحقق من النتائج العملية التي تترتب على القول بهذا المذهب أوذاك . وأما حيث لا توجد فوارق عملية بين المذهب ونقيضه ,فإن معنى هذا أنهما متساويان (كما سبق لنا القول) وبالتالي فإنه ليس ثمة معنى لإثارة أية نزاع حول صحة الواحد منهما دون الآخر وعلى ذلك , فإن المنهج العملي يريد أن يفصل في المناقشات الميتافيزيقية العقيمة بالرجوع إلى نتائجها العملية و آثارها المباشرة وغيرالمباشرة .والحق في نظره لا بد أن يكون ملائما ,مفيدا ,مرضيا متلائما مع غيره من الحقائق.فليست"المنفعة الفردية "هي محك صدق الفكرة,بل لا بد للفكرة الحقيقية من أن تتلاءم مع غيرها من الأفكار العامة التي ثبتت صحتها عمليا.وعلى الرغم من أن **جيمس** يهيب بإرادة الاعتقاد (كما سنرى لاحقا) فإنه لايدع الإعتقاد رهنا لإرادة تعسفية تقول للشيء كن فيكون,بل هو يرى أن كل إعتقاد لا ينسجم مع غيره من الاعتقادات لا بد أن يكون إعتقادا خاطئا.ولكننا سنرى مع ذلك أن**"وليام جيمس"**سيجعل للإعتقاد دائرة خاصة فيها تصبح الحقيقة قابلة للتغيرلإكتشافنا لوقائع جديدة ,كما تصبح أيضا مسألة قابلة للزيادة أوالنقص."

---

(198) ابراهيم، زكريا: "دراسات في الفلسفة المعاصرة"، مرجع سبق ذكره،ص38

Matter of degree وهنا سيأخذ المذهب العملي صورة "فلسفة إرادية" تأبى أن تجعل من العقل الحكم المطلق الذي يفصل في صحة الحقائق لكي تهيب بالإرادة و العواطف مسلمة بما لها من حق مشروع , حتى في مجال الإعتقاد نفسه .

- **وصفوة القول** لقد قام **"وليام جيمس** "بإنتقاد التصور التقليدي الفلسفي للحقيقة معتبرا أنه إذا كانت الحقيقة في الفلسفة المثالية حقيقة عقلية خالصة لاعلاقة لها بالواقع بل إن الواقع هو الذي يجب أن يطابقها فإن النزعة البراجماتية تقف على طرفي نقيض من هذا النصور، إذ ترى أن الحقيقة ليست فكرية وأن الأفكار لاتستمد حقيقتها من ذاتها وإنما بالنظر إلى مردودها على حياة الإنسان ومدى ما تقدمه من منفعة مادية له .

إن الحقيقي عند " **وليام جيمس** " هو المفيد أي أن الحقيقة ينبغي أن تكون قابلة للتطبيق ونستفيد منها إستفادة مادية يقول" : إن الأفكار التي ينبغي أن نعتبرها صحيحة هي تلك التي تقول لنا أي نوع من الوقائع الضارة أو النافعة ينبغي أن ننتظر.إن الحقيقة إذن ليست غاية كما تصور ذلك **"إيمانويل كانت** "وإنما هي وسيلة لتحقيق المنفعة .

يقول **"وليام جيمس** ":"**هنا يظهر أن امتلاك الحقيقة عوض أن يكون غاية في ذاته إن هو إلا وسيلة مقدمة يتوصل بها الإنسان إلى إشباع حاجاته الحيوية."** (199) ومن ثم فإن الحقيقي ليس سوى المطلوب النافع الموافق في سبيل تفكيرنا تماما، مثلما أن الصحيح ليس سوى المطلوب النافع الموافق في سبيل سلوكنا .مطلوب ونافع و موافق على أي نحو أيا ما كان تقريبا . مطلوب ونافع وموافق في المدى الطويل وعلى الإجمال طبعا لأن ما يلاقى بملاءمة وموافقة وأهلية كل الخبرة المنظورة لن يلاقي بالضرورة كل الخبرات الأبعد بنفس الموافقة والملاءمة والأهلية سواء بسواء فالخبرة كما نعلم لها طرقها من الفوران والغليان وما وسائلها التي تجعلنا نصحح قواعدنا الراهنة .

---

(199)) جيمس وليام:" البراجماتية"؛ مصدر سبق ذكره،ص45

الفصل الثالث

الإعتقاد والحياة عند وليام جيمس

تمهيد

المبحث الأول: الإعتقاد والأخلاق عند وليام جيمس

1- المطلب الأول: الإلزام الخلقي.

2- المطلب الثاني: التفاؤل الخلقي.

3- المطلب الثالث: مشكلة الحرية.

المبحث الثاني: الإعتقاد والدين عند وليام جيمس.

1- المطلب الأول: حق الإعتقاد.

2- المطلب الثاني: الإيمان فرض نافع .

3- المطلب الثالث: تحقيق الإيمان.

4- المطلب الرابع: التجربة الدينية والتصوف.

المبحث الثالث: الإعتقاد والفلسفة والإعتقاد والعلوم عند وليام جيمس.

1- المطلب الأول: الإعتقاد والفلسفة.

2- المطلب الثاني: الإعتقاد والعلوم.

***- الإعتقاد وعلم النفس.**

الفصل الثالث: الإعتقاد والحياة عند وليم جيمس.

تمهيد:

إنَ العائلة التي تربى فيها **"وليام جيمس"** كانت عائلة دينية , لذلك كان منذ صباه يميل إلى الدين و التدين فللدين صدى واسعا في حياته الشخصية , وإن الطابع الذي غلب على فلسفته بشكل عام هو طابع ديني , و كانت دراسته في الدين دراسة سيكولوجية و لم تكن دراسة رجل دين أو كعالم في تاريخ الأديان،كما حاول أن يطبق المنهج البراغماتي على الدين , إذ أقام الدين على أساس التجربة. فقيمة الإعتقاد الديني في نظر جيمس تتوقف على ما يحققه من نتائج عملية على سلوك الفرد.

فالإعتقاد الديني يكمن في كونه تمثيل يطابق الواقع تقريبا, حاله حال النظريات العلمية ,فصحة المعتقدات الدينية تتوقف في القدرة على التعامل مع أنواع من الظروف , إلا أن مبدأ القيمة الفورية في نظر **"جيمس"** ليس بالضرورة أن يطبق على الدين , فالنتائج التي يحققها الدين لا تكون بالضرورة آنية , لكنها قد تكون مستقبلية , تعطي و تخلع على حياتنا صبغة من التفاؤل و الطمأنينة و مثل ذلك فكرة الله التي تعطي الأمل و التفاؤل ما يؤدي ذلك إلى تغيير في مجرى الحياة.كما أكد **"جيمس"** على مسألة الحرية الدينية , فهو يرى أنه لا يوجد حاجة للإصرار على الإتفاق الجماعي الديني ,ضمانا لأنفسنا بأن عقولنا مرتبطة بالعالم الذي نعيش فيه .كمايمكن التأكيد أن **"جيمس"** لم يهتم بالأخلاق اهتمامه بالمنهج البراجماتي أو نظرية الصدق أونظرية الدين،وانما نجد في الاخلاق آراء،مثبة في مختلف مواقفه ونظرياته،نرى كلاما خلقيا في أبحاثه الدينية أوفي كتبه السيكولوجية،وسوف نتطرق الى ذلك في المباحث اللاحقة.

المبحث الأول: الإعتقاد والأخلاق عند وليام جيمس

لم يول "وليام **جيمس"** إهتماما بنظرية الأخلاق كما يظهر ذلك في نظرياته حول الدين، أو نظرية الصدق ،ويمكن إجمال أهم أرائه في الأخلاق في هذه العناصر **(200)** :

1/الإلزام الخلقي

2/مذهب التفاؤل الخلقي أو الميلورزم **Miliorism**

3/ الحرية

1- المطلب الأول: الإلزام الخلقي:

يرى **وليام جيمس** أنه لا معنى لقيام علم الأخلاق في عالم ليس به حياة، فعالم الأشياء الجامدة (عناصر مادية) لا نجد فيه وجود للخير والشر، بحيث لا يمكننا القول أن جسما صلبا أكثر خيرا من جسم آخر أوالعكس.بهذا يرى أن الأخلاق تقوم في عالم به كائنات عاقلة لها إرادة ومشاعرورغبات هذه الكائنات بالطبع هي الإنسان.مع جيمس لادلالة لعلم الأخلاق المطلق الذي يكثرالمواعظ والإرشادات أويحث الإنسان على ضرورة التمسك بقواعد أخلاقية خالدة يقول جيمس:«**الإنسان هوالخالق الوحيد للقيم في ذلك العالم وليس للأشياء قيمة خلقيةإلا بإعتباره هو** .» ويقول بأن الأخلاق المشروعة هي الأخلاق المتضمنة لإجماع الكل فالجيدهو ما اتفق عليه الناس أنه كذلك، وهذه القاعدة تجري مع القبيح ،أيضا بجب أن نتمسك بالجيد والقبيح في قانون المجتمع وأعرافه والزمن رهين بتغيرهذه الفضائل أوتركها كما هي،فقد يحصل وتدافع فئة من الناس عن آراء وأفكارجديدة،ويعتقدون فيها خيرا فتتغيرالفضائل وتعدل إذا ما توافق ذلك ومصالح الوسط والمحيط.

2- المطلب الثاني: التفاؤل الخلقي:

الميلورزم **Meliorism** إصطلاح وضعه "جيمس" للتعبير عن الموقف القائل بأن العالم ليس خيرا في ذاته،وليس شرا في ذاته،بل يمكننا أن نجعله خيرا بمكافحتنا الشرالموجود فيه بواسطة الميلورزم ويقف "**جيمس**"موقفا وسطا بين ما يعرف بالتفاؤل وما يعرف بالتشاؤم ،بحيث أن الخير ليس ضروريا ولا حتى مستحيلا، بل هو ممكن، وأن الشر كذلك ليس عنصرا من عناصر الكون ولكنه شيء يمكن التغلب عليه،فالتفاؤل والتشاؤم شيئان إنسانيان بحيث أن الإنسان إذا إعتقد بالتشاؤم وتبناه في حياته يصبح العالم شرا،ومذهب التفاؤل الخلقي ليس مذهبا خلقيا فقط، بل هو نوع ضمن

---

(200) زيدان، فهمي "وليام جيمس"، مرجع سبق ذكره، ص 163.

فلسفة جيمس الدينية والميتافيزيقية، (201) أي أن جيمس عن طريق هذا التفاؤل حل مسألة الخلاص **salvation** في الدين ومسألة الشر في الأخلاق فكيف ذلك ؟

أ- التفاؤل والخلاص:

لَ **"الإعتقاد بعالم غير منظور"** (202) هوعنصر أساسي عند **"جيمس"**،وهذا الاعتقاد ما يبرره هو أن له أثر في حياتنا هو أثر التفاؤل بمعنى أن العالم الخلقي قد يضفي نوعا من الأمان والارتياح ويوضح رؤيتنا بأن العالم واسع وخير وأن الكون هو أشسع مما نرى إذ يوجد إمكان للحصول على السعادة وتحقيقها، إن أصابنا عجز أو يأس في عالمنا والتفاؤل بهذا المعنى متصل بمشكلة الخلاص في الديانة المسيحية.

إن **"جيمس"** لم يدع إلى الخلاص كما فعلت المسيحية، وهوأيضا لم ينكره كما فعل التشاؤميون، بل أراد أن يقف موقفا وسطا بقوله أن الخلاص ممكن، وإمكان الخلاص عنده قائم على معنى براجماتي ، يرى أن الخلاص إمكان حقيقي نحو الكمال، لا أحكاما مجردة أوعقائد غير إنسانية ومن هنا ترتبط فكرة الخلاص عند جيمس بنظريته في الميتافيزيقيا أي مذهب التعدد، إذ العالم يضاف ويزاد فيه باستمرارلأنه به ثغرات نحن كبشر مناطين بملئها لنشعر أننا فعلا ما نكون لهذا العالم فنطمئن فيه ولا نخافه أبدا.

أ- التفاؤل والشر:

رأى جيمس أن مذهب التفاؤل يحل له مشكلة الشر في الكون، وكما سبق لي الذكر آنفا فأبرز مشكل خلقه المذهب الو احدي هوإستحالة التخلص من الشر وتفسيره، بل ممثلي المطلق وعلى رأسهم هيغل يعتبرون الشر عنصرا واجبا في الكون يجب علينا تحمله والمحافظة على وجوده لأن له دورا أساسيا في تقديم الشكل النهائي للحقيقة. وقد أعلن جيمس أنه من الصعب حل مشكلة الشرميتافيزيقيا وإنما يمكن حلها عمليا ،**"فجيمس"**لم يتساءل ما دلالة الشر؟ ولكن تساءل كيف يمكن التغلب عليه ؟ وخير جواب على سؤاله الأساسي ما قاله في التفاؤل الخلقي **Meliorism**، والإنسان سليم العقل **Healty-minded** ،ينظر إلى الأمورعلى أنها جيدة وحسنة أما المريض **Sick soul** فينظر إليها

---

(201) زيدان، فهمي "وليام جيمس"، مرجع سبق ذكره،ص 125

(202) المرجع نفسه ،ص 166

أنها شر في ذاتها،والإنسان يصبح متفائلا إذا اعتقد بخير العالم لأنه سوف يجد العالم يحقق أحلامه ويخدمه،حينئذ لن يفكر في الشرأوعلى الأقل سيتجاهله.ويقول بهذا الصدد:

« The word is good, we must say, since it is what we make it, and we shall make it good » أي أن العالم خير له، لأنه ليس إلا ما نجعل منه، وإذا فجاعلون منه شيئا خيرا.(203)

3- المطلب الثالث: مشكلة الحرية:

إرتبطت نظرة **"جيمس"** إلى الحرية من ناحية نزعته التعددية ومن ناحية ثانية بمذهبه السيكولوجي في الفعل الإرادي.من الناحية الأولى وكما جاء في الفصول السابقة تصور **"جيمس"** العالم على أنه واقعة مرنة لا تهدأ عن التغير والتجدد،بحيث أن الحرية نفسها،تبدو بمثابة صورة من صور التجديد التي تميز العالم المتكثر والحق أن معنى الصيرروة والتغير والصدفة والحرية هي معاني مترادفة لا تنفصل عن المذهب التعددي.ويقول **"جيمس":"نحن أناسأحرار نعيش في عالم من الجدة يمكننا على الأقل تحسينه."** (204)

فالحرية عند **"جيمس"** هي صدفة وتجدد، كما أنها إختيار بين عدة ممكنات التي موضعهما هو العالم،ولكن إذا كان التجدد هو إمكانية حقيقة في هذا العالم، فذلك لأن الكون المتعدد يتلاءم والنشاط الأخلاقي الإرادي ويقول:«**إن اللاحتمية هي الوسيلة الوحيدة لتحطيم هذا الكون إلى أجزاء خيرة وأجزاء شريرة، تمهيدا لمناصرة الأولى ضد الثانية»** (205).من هنا يظهرأن دفاع جيمس عن الحرية مرتبط أيضا برغبته في المحافظة على الأخلاق في الكون مما يدل أن مذهبه في الحرية مرتبط بنزعته الأخلاقية في التفاؤل الخلقي أوالتحسن **Meliorism**، وحتى عنها يدافع جيمس عن فكرة "الإمكان" فهو لا يدافع عنهما من زاوية ميتافيزيقية محضة، بل من وجهة نظر أخلاقية بإعتبار أن الأمكان شرط للحرية والتجدد.

---

(203) إبراهيم زكرياء " دراسات في الفلسفة المعاصرة"،مرجع سبق ذكره،ص 42-43.
(204) ابراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب الفلسفية المعاصرة، مرجع سبق ذكره،ص114
(205) James W: « The sentiment of rationality », in the will to believe 1915, p63/110

أما من الناحية الثانية ، أي النظر إلى الحرية على ضوء المذهب السيكولوجي عند جيمس ، سنجد أنفسنا أمام مذهب إرادي لا يرى في العقل **Mind** كجوهر، بل يراه كفاعلية ونشاط **Activity**، فإذا كان الناس قد تعودوا على النظر إلى الإرادة ككنز وملكة مخبأة في أغوار النفس ومحاطة بالأسرارمن كل جانب، كأنها شيء مبهم غامض لا سبيل لفهمه أبدا، فإن جيمس على العكس من ذلك يربط بين الإرادة **Will** وبين مظاهر الحياة الشعورية، فالإرادة في نظره ليست منفصلة عن مظاهر الحياة العقلية، بل هي تعبير عن ذلك الميل الذهني الحركي **Ides-motor** أي أن كل فعل إرادي هو مجرد نموذج وصورة لذلك الفعل الذهني أي أن حرية الإرادة هي قدرة الذهن على التحكم في فعله الانتباهي !

« This strain of the attention is the fundalental act of will » (206)

وخلاصة القول فإن الحرية التي ينادي بها **"جيمس"** إنما هي فرض يوافق نظرية العلاقات الخارجية ومذهب الكثرةأوالتعدد.ومعنى هذا المذهب الحرية ليس سوى تبريرلفكرة الجدة الممكنة ،تلك الجدة التي يمكن تحقيقها في الكون بإرادتناالحرة،هذه الذات الانسانية التي لاتالو جهدا في سبيل تغييرصفحة الكون،ولهذايجعل جيمس من الإرادة الانسانية قوة خلاقة يحارب بها أفكار الفلاسفة والعلماء الاقدمين عن المطلق والعقل الكلي.

---

(206)James W: « The sentiment of rationality », in the will to believe 1915, p63/110

المبحث الثاني:- الإعتقاد والدين عند وليام جيمس :

لم يكن الدين عند"**وليام جيمس**" كموضوع بحث في ذاته ، ولكن في أثار الانفعال الديني ،وهل هذه الأثار حسنة تحقق الأمل ؟ وهل يمكن الحصول عليه بطريقة أخرى ؟ وهكذا كان بحث "**جيمس**" في الدين قائم على أساس سيكولوجي وليس على أساس ميتافيزيقي .والنقطة الأساس في فلسفتة الدينية هي حق الإعتقاد لكل شخص.ويعد الإعتقاد هوالأيمان بشيء يمكن الشك فيه من ناحية نظرية أوهو الرغبة في العمل فالإعتقاد هوالإستعداد والتأهب للعمل.

أولا : المطلب الأول: حق الإعتقاد: إذا كان كل فيلسوف قد عرف وإشتهر من خلال نظرية معينة في فلسفته ,فإن معرفة وشهرة "**جيمس**" جاءت من خلال نظريته المعروفة بإرادة الإعتقاد(**The will to believe**)(207),ورغم شيوع هذه النظرية بين صفوف العامة والخاصة,إلا أنه تعرضت في الوقت نفسه إلى نقد من قبل مجموعة من الفلاسفة والمفكرين(208) ,فمنه ما كان مدحا و منه ما كان قدحا,لهذا فقد كان لنظرية الإعتقاد صدا واسعا في تاريخ الفكر الفلسفي المعاصر,كما أن مجيء هذه النظرية أن كل فرد له حق الإعتقاد في شؤون الأخلاق و الدين ,مما دفع ذلك إلى إعتناق و تمسك كثير من عامة الناس بها. ينطق جيمس في هذه النظرية مبينا أن كل شخص له الحق المطلق في الإعتقاد والإيمان , ذلك أن منطق العقل عاجز على أن يثبت صحة كل شيء,لهذا تكون رغباتنا و دوافعنا لذاتية هي الأساس في إثبات وتقرير صحة الأشياء التي لا يمكن للعقول إثباتها.أوأن يبت بها,فهنالك إذن طريقين للإعتقاد هما :طريق العقل,وطريق الوجدان, وهذا ماأوضحه "**جيمس**" بقوله "**إنَ إعتقادنا في بعض المسائل التي آمنا بها أثر بفعل طبائعنا الوجدانية والإختيارية,وأن إعتقادنا في بعض آخرمنها أثر بمجهوداتنا العقلية**"(209),فمعتقداتنا إذا لا يمكن لها أن تقتصر على طريق واحد فقط وهوالعقل,إنما هنالك طريق آخر تختلف طبيعته عن طبيعة العقل وهذا الطريق أطلق عليه جيمس تسميات مختلفة مثل الإرادة أو الوجدان أو الرغبة.ولهذا فنحن لسن موجودات عقلية محظة تتولد كل معتقداتهاعن إقتناع عقلي و بداهة منطقية,بل إن عامل الإختيار هو الذي يحدد إعتقادنا إلى حد كبير,ومعنى هذا أن طبيعتنا غيرالعقلية تؤثر بشكل واضح في معظم أرائنا ومعتقداتنا.(210)

---

(207)جاءت هذه النظرية من مؤلف جيمس إرادة الإعتقاد , ((The Will to Believe)) و الذي يعد أشهر مؤلف لدى جيمس و يضم جزئين , إذ ترجمه إلى العربية محمود حب الله , فأبقى الجزء الله على تسميته , إرادة الإعتقاد – كما مر سابقا – أما الجزء الثاني فقد أطلق عليه تسمية العقل و الدين .- (151)ينظر : راسل,برتراند , تاريخ الفلسفة الغربية ...ص 470-471 ،كذلك ينظر : بيري, رالف بارتون, أفكار وشخصية وليام جيمس ,ص296

(208)كذلك ينظر : ديوي جون,نمو البراغماية الدينية , مقال منشور في كتاب فلسفة القرن العشرين , رونز , داجو مبرت , ترجمة عثمان نوية , مؤسسة سجل العرب , القاهرة 1963 ص240

(209) ديوي جون , نمو البراجماية الدينية , مقال منشور في كتاب فلسفة القرن العشرين , رونز , داجو مبرت , ترجمة عثمان نوية , مؤسسة سجل العرب , القاهرة 1963 ص6

(210) إبراهيم زكريا دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مرجع سبق ذكره ،ص 43

وقد أعطى"**جيمس**" أهمية وضرورة للإيمان الديني,والذي لا يستطيع العقل أن يثبته إنما الوجدان فقط. إذ إعتبره نوعا من الإعتقاد الذي يخضع ويدين به الفرد في حالة مشكوك فيها,وقد يحمل إحساسا بالحرارة وإستعدادا للنضال في سبيله,وضربا من الإباء الحماسي الحارالذي يرض الهزيمة,أويدانيها, كما هي نفس الحالة عندما يطبق المرء على بعض الشؤون العملية الخاصة بك أوعلى عقيدة دينية سواء بسواء (211) ,لذلك يرى البعض أن "**جيمس**" قد شدد على مسألة الإعتقاد والإيمان.معتبرا أن نظرية إرادة الإعتقاد أو حق الإعتقاد كانت يجب أن تسمى (حق الإنسان أن يؤمن) (212).

هاجم جيمس كل من فصل الإرادة والعقل عن العاطفة, و إنسجاما مع نظرية داروين (213) حول العواطف,طابق الشعور بالجهد مع المشاعر الحسية الحركية للإرادة,كما إختار جيمس الفكرة الداروينية حلول الإرتقاء,الذي تمارسه الأعصاب المصدرة الناقلة على الأحاسيس القادمة,بالإختيار الذي توجهه الحركات أوالميول العاطفية الغريزية الإنعكاسية الأساسية التلقائية,وأن الإرادة والعمل هما نفس الحركة النفسية المنبثقة على نحوغير مقصود من تكويننا الحركي التلقائي.إتفق جيمس مع **بليزك باسكال"Blaise Pascal** "(214) على مسألة قصورالعقل في إثبات وجود الله,وأن المسلك الوحيد في إثبات الله هو الوجدان .وفي هذا الصدد يرى باسكال بأن الأدلة العقلية على وجود الله لا يمكن الإعتمادعليها لأنها ناقصة,وليس لها أي فائدة في موضوع السعادة الإنسانية , فهي تصدرعن إجهاد العقل وإتعاب الفكر,لا تناسب عامة الناس,لذلك فإن المجال الوحيد للكلام عن الله ووجدوه هو الإيمان والدين (215) ,وقد صاغ **باسكال** فكرته هذه في دليل أطلق عليه (المراهنة) وحاول فيه إثبات وجود الله بالإستغناء عن العقل، أوالبناء المنطقي.

---

(211)بيري، رالف بارتون، افكار وشخصية وليام جيمس، مرجع سبق ذكره،ص288

(212) كذلك ينظر :داجوبرت، رونز، فلسفة القرن العشرين ، مرجع سبق ذكره،ص239

(213) تشارلز روبرت داروين (بالإنجليزية)" Charles Robert Darwin"عالم حيوان، انجليزي الجنسية، اشتهر بنظرية التطور ومبدأ الانتخاب الطبيعي، حول نشأة الإنسان.ولد في إنجلترا في 12 فبراير 1809 وتوفي في 19 إبريل 1882 م هو عالم تاريخ طبيعي بريطاني اكتسب شهرته كواضع لنظرية التطور بدأ اهتمام داروين بالتاريخ الطبيعي أثناء دراسته للطب ثم اللاهوت في الجامعة. أدّت رحلته على متن سفينة بيغل والتي دامت خمس سنوات إلى تميّزه كجيولوجي وانتشار اسمه كمؤلف. ومن خلال ملاحظاته للأحياء قام داروين بدراسة التحول في الكائنات الحية عن طريق الطفرات وطوّر نظريته الشهيرة في الانتخاب الطبيعي عام 1838 م صدر كتاب داروين بعنوان أصل الأنواع(1) في عام 1859 م والذي كان بمثابه نقطة البداية في دخول فكرة الأصل المشترك للكائنات لتفسير التنوع في الطبيعة في المجتمع العلمي. عُيّن داروين بعدها عضوًا في المجمع الملكي وتابع أبحاثه وتأليفه للكتب عن النباتات والحيوانات، بما فيها الإنسان .ومن أبرز كتب داروين كتاب سلالة الإنسان، وآخر ما كتبه كان حول دودة الأرض.دفن داروين في كاثدرائية وستمنستر آبي في لندن إلى جانب كل من وليم هرتشل وإسحق نيوتن تكريمًا لتميّزه في هذا المجال. غير ان داروين قد واجه بعض ردود الفعل المناوئة لنظريته المخالفه لعقيدة الديانات السماوية والقائلة ان الكائنات الحية ابدعت من قبل اله حي عاقل.

(214)بليزك بسكال Blaise Pascal عالم فرنسي ولد في مدينة كلارمون توفيت والدته عام 1626م , وتوفي والده في العام 1631م , بقي سبع سنين لا يعرف عنه شيء فتكون فكره العلمي , من أهم أعماله: -وضع حساب الاحتمالات . اكتشف الهندسة المتناهية في الصغر. ووضع عدة أبحاث في المخروطيات والقطاعات المخروطية. واخترع الآلة الحاسبة التي كانت أساسا للتكنولوجيا الحديثة. اكتشف المثلث المعروف باسمة. واخترع عام 1661م أول وسيلة نقل مشترك ضمن العربة الفاخرة.

(215) Wiener, Philip, Evolution and The Founder of Pragmatism , Harvard University press, Ghambrige , 1949, p.p. 119, 120.

وهاك الحجة،التي قدمها لنا **باسكال** فهو يقول:**"لا عجب في العقل على شيء ,فالمسألة ليست مسألة معرفة حياة أوموت ,ففي أي الناحيتين مصلحتك ومنفعتك ,الله موجود أوغير موجود,لنضع الفرد الأول,الله موجود ,لو قبلت هذا الفرد وإعترفت بوجود الله وإتبعت وصايا الدين,كسبت الحياة الأبدية , والسعادة اللامتناهية ,أما إذا أنكرت وجود الله وعصيت أوامر الدين , فقد خسرت كل شيء و أوقعت نفسك في العذاب الأبدي – لنضع الآن الفرد الثاني :الله غير موجود ,سواء قبلت الفرد أو رفضته ,ما كسبت و لا خسرت شيئا – وعلى ذلك فإن راهنت على أن الله موجود كسبت كل شيء في الفرض الأول,و لم تخسر شيئا في الفرض الثاني "(216).**

وبناءا على ما تقدم يتضح بأن جيمس يتفق مع باسكال في أن العقل ليس بإمكانه التوصل إلى الله , ما لم يتم الإعتماد على الوجدان أيضا , إلا أن لجيمس موقفا آخر من رسالة باسكال , وهذا الموقف يمكن أن يكون سلبيا مقارنة بالموقف الأول , تجاه فكرة إثبات وجود الله عن طريق الإعتقاد, إذ يرى **"جيمس"** في أن باسكال**" يلزمنا بإعتناق المسيحية بطريق من الجدل قد يشتم منه إنه ظن , أن إهتمامنا بما هو حق يشبه إهتمامنا بما نخاطر به في لعبة الفرد "** (217), بعد هذا بين جيمس بأن كلام باسكال في إثبات وجود الله سوف يعمل على تقويض حريتنا , كما أنه لا يعطي أهمية أو دعما للإعتقاد , فالإعتقاد يجب أن يدعم حتى تضفي الإرادة الصبغة الحية للإختيار,وقد أوضح جيمس ذلك بقوله **" قد يشعر المرء بأن العقيدة الدينية,إذا عبرت عن نفسها هكذا بلغة المراهنين,فقد رمت بآخر سهم من سهامها,ولا شك في أن عقيدة باسكال في الماء المقدس و في الصلوات إعتمدت على براهين أخرى غير هذه البراهين,وفي أن رسالته هذه لم تكن إلا براهانا يقصد به إلزام الآخرين وإقناعهم ,ولم تكن إلا حركة اليأس الأخيرة , ولكنا نشعر بأن كل إعتقاد ناشئ عن عملية حسابية ميكانيكية مثل هذه , يفقد المعنى الحقيقي للإعتقاد,وإذا كان لنا أن نحكم على أمثال المعتقدين على هذه النحو,فقد نجد سرورا نفسيا في حرمانهم من النعيم الأبدي,ومن البين أنه إذا لم يكن في مثل هذا الحال ميل سابق نحو الإعتقاد فإن ما قدمه باسكال للإرادة من تخيير لا يكون تخييرا حيا "(218).**من جهة أخرى قام جيمس بتوجيه نقد إلى أصحاب المذهب التجريبي,الذين يرون أنه لا يمكن أن نؤمن بفكرة ما لم نخضعها إلى التجربة , فالحقيقة هي ما تدركه الحواس,وكل شيء بعيد عن الحواس ومنطق العقل فهو في نظرهم لغط لا أساس ولا مبرر له ,فالتجريبيون إذا لا يؤمنون بحقائق تأتي عن طريق الوجدان أو الذات ,إذ يقول **جيمس** في هذا الصدد:**"فهل نعجب إذن إذا رأينا هؤلاء الذين تربوا في خشونة المدارس العلمية الوعرة ,يحتقرون مثل هذا النوع من الذاتية ,ولا يعيرونها إهتماما ,وإن قواعد الإخلاص التي ترعرعت في مثل هذه المدارس كلها صفا واحدا فهي وجهة هذه الذاتية,ولهذا كان من الطبيعي أن يذهب هؤلاء الذين أصابهم مس من حمى العلوم إلى الضد الآخر,**

---

(216)المصدر السابق، ص148 ،149
(217) جيمس، وليام ، العقل والدين، ترجمة محمود حب الله،دار الحداثة للطباعة، والنشروالتوزيع الحمرا-نزلة اللبان...دط ت،ص7
(218) المصدر نفسه، ص8

ويكتبوا أحيانا,كأنهم يؤمنون بأن العلماء الحقيقين الذين لم تفسد بصائرهم،ينبغي لهم أن يتجرعوا كأس عدم الوصول المريرة ,وما يتبع ذلك من متاعب نفسية ويفضلونها على تلك الذاتية "(219) ويعرض **جيمس** كلام أحد العلماء التجريبيين وهو**" كليفورد "**,الذي يرى بأنه لا يمكن أن تكون هناك حقائق تعتمد على الوجدان ومن كلامه :**" إن الإعتقاد يتدنس,إذا كانت مسائله غير مبحوثة وكانت غير مبرهن عليها, وكان لا يهدف إلا نحو تهدئة نفس المعتقد وإدخال السرورعليه."(220)** ويرى جيمس أنه على الرغم من أن المذهب التجريبي الذي يمثله كليفورد قد رفض أن تكون هناك حقائق وجدانية ذاتية ,إلا أن وجهة نظر **"كليفورد"** نفسها نابعة من موقف وجداني ذات أساس عاطفي .إن ما يقوله الشخص الذي يتخذ هو الموقف حقيقة , هو أنه يفضل أن يخاطر بفقدان شيء طيب ,إذ يرفض الإيمان بما قد يكون صحيحا ,على أن يخاطر بالإيمان بشيء قد لا يكون صحيحا .**(221)**

ثانيا: المطلب الثاني: الإيمان فرض نافع :

قام **"جيمس"** بنقد المذهب التجريبي والعقلي في مسألة الإيمان,هذا لأن كلا المذهبين يرفضان,رفضا قاطعا الإيمان بمسائل متعالية عن العالم ،والإيمان في نظرهما يجب أن يكون مبنيا على أساس الوجود الواقعي ,أما جيمس فيرى أن الإيمان بمسائل لا يمكن التثبت منها في الوقت الحاضرهو إيمان مشروع ,وإن لكل إنسان الحق في الإعتقاد,وإعتبرأن الإيمان فرض نافع يمكن تحقيقه ,إذا لم يكن تحقيقه الآن فيمكن تحقيقه مستقبلا , والإيمان هوإستعداد للعمل والسلوك , وإن نظرة جيمس هذه للإيمان هي نظرة تفاؤلية دينية ,وهذا بدوره يرتبط بالتفاؤل الخلقي .لقد بين جيمس موقف المذهب العقلي من الإيمان,إذ أن المذهب العقلي يرى**" الإيمان "** من حيث هو ترحيب طبيعتنا بكافتها بنوع من العالم المتصور على أنه متوافق مع هذه الطبيعة ,إيمان محرم ,ما لم يكن هنالك بيئة عقلية على أن هذا بالفعل هو العالم الحالي وحتى إذا أحدث أن برهنة البيئة على أن إيمانا ما صادق كما قال **كليفورد**:**" قد يكون صدقا مسروقا إذا كان صدقا مزعوما مأخوذا به في عجل ...فرض الإعتقاد بشيء ما لم تعتمد البينة عليه ,هو قاعدة المذهب العقلي "(222)** وبهذا يتضح بأن المذهب العقلي قد رفض كل إيمان ,وإعتبره زائفا وليس مدعوما ما لم يقوم دليل عقلي عليه.لا يعمد المذهب العقلي إلى رفض الإيمان ما لم يكن مدعوما ببينة عقلية فحسب,بل إنه يرفض النظرة التعددية للمستقبل, مقوضا على هذا الأساس الإمكانيات المتعددة للعالم ,حاصرا نظرته بتفاؤل مستقبلي تقيد وتحدد العمل,وهذا ما أوضحه **جيمس** بقوله :**'إنَ المذهب العقلي,فكريا يتوسل بمبدئه المطلق للوحدة كأساس لإمكان الحقائق الوقائع المتعددة,وعاطفيا إن الفحوى أو قصارى الأمر ستكون طيبة,فإذا أخذ بهذه الطريقة، فإن المطلق**

---

(219)جيمس، وليام، العقل والدين، مصدر سبق ذكره، ص9
(220) المصدر نفسه، ص10
(221) ميد،هنتر،الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ت فؤاد زكريا،دار النهضة القاهرة،مصر دط 1975 ، ص391
(222)جيمس،وليام ،بعض مشكلات الفلسفة،ترجمة،محمد فتحي الشنيطي ط1 دار المحامي للطباعة، القاهرة، 1965 ،ص ،186-185

يجعل كل الأشياء الطيبة مؤكدة,وكل الأشياء السيئة مستحيلة ."(223) يتبين من ذلك أن المذهب العقلي يرى بأن خلاص العالم فرض على إعتقاد وإيمان كل إنسان , فهو يقيد و يحد من حرية الإعتقاد .وفي مقابل المذهب التفاؤلي ,المذهب التشاؤمي , والذي مثله الفيلسوف **(آرثر شوبنهاور) Arther Schopenhaer.** (224) وقد أطلق "**جيمس**"على هذا المذهب **"تسمية المذهب الصعب المراس أو المذهب التجريبي "**،(225) والذي يذهب بأن هذا العالم زائل لا يمكن الإيمان بعالم آخر يختلف عن طبيعة هذا العالم , فالإختلاف بين ما يؤمن به أصحاب المذهب العقلي,والمذهب التجريبي هو تحقيق هذا الإيمان, يقول**"جيمس"**:**"إن كل الصدام بين دين المذهب العقلي ودين المذهب التجريبي, ومخالفة حول مشروعية الإمكان ,وبناءا على ذلك فمن اللازم أن نبدأ بالتركيز على تلك الكلمة".**(226) ويقدم "**جيمس**"نظرته البراجماتية حول هذه المسألة ,والتي يمكن تسميتها بنظرية " التفاؤل الديني ",وهذه النظرية لا يمكن فصلها عن نظرية التفاؤل الخلقي"(227) الميليوريزوم",إن نظرية التفاؤال الديني تذهب إلى أن الإيمان فرض نافع يمكن أن يتحقق ,يقول **"جيمس"** :" **عندما تقول إن شيئا ما ممكنا أفلا يحدث ذلك فرقا أبعد وأعظم , وعلاوة على ذلك بالقياس إلى الحقيقة الفعلية الواقعة .إنه على الأقل يحدث هذا الفرق السلبي,وهو أنه إذا كانت العبارة صحيحة فيترتب على ذلك أنه لا يوجد شيء موجودا أو كائن قادر على منع الشيء المكن...ومن ثم فإن غياب الأسس الحقيقية للتدخل,يمكن أن يقال إنه يجعل الأشياء غير مستحيلة,وبناءا على ذلك ممكنة في المعنى العادي أوالمجرد.. ولكن معظم ضروب الممكن ليست عارية أو مجردة,وإنما هي لها أسس وضعي ملموس,أولها أساس وطيد كما تقول "**(228).وهكذا فغنى العلاقة وطيدة بين التفاؤل الخلقي والتفاؤل الديني لأنه ينصبان على سلوك الإنسان وإحداث التغيير فيه, إلا أن التفاؤل الديني يذهب أبعد من ذلك.

---

(223) جيمس، وليام ، البراجماتية ، مصدر سبق ذكره، ص328

(224) آرثر شوبنهاور((Arther Schopenhaer)): ((1788- 1860))م فيلسوف ألماني، اشتهر على نطاق واسع بسبب آرائه التشاؤمية وأسلوبه النثري المرهف. تأثر شوبنهاور بقوة بالفيلسوف الألماني إيمانويل كانط. ففي سياق الجدل الكانطي، أصر شوبنهاور على أن الحياةالتي نمارسها من خلال حواسنا مجردُ عَرَض. وهو بذلك يعني أننا لانمارسها كما هي، ولكن نعرضها على أنفسنا. وأثناء عرض الحياة على أنفسنا، نقوم بتغيير أحداثها. وأول كتاب ألفه شوبنهاور هو حول الجذر رباعي الطبقات لمبدأ السبب الكافي)عام 1813م.(أهم أعماله :العالم رغبة وعَرَض)عام 1819م، الطبعة الثانية عام 1844م). إضافة إلى مجموعة مقالات بعنوان باريرجا وبارالييبومينا عام (1851م)

(225)كذلك ينظر :روزنتال، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم إشراف جلال صادق العظم وجورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ،لبنان ط 2 ، 2006 ، ص244 .

(226)*ديورانت،ول: قصة الفلسفة، ت، فتح الله محمد المشعشع،مكتبة المعارف، بيروت،ط 4 . 1979 ، ص 415

(227) جيمس، وليام ، البراجماتية ، مصدر سبق ذكره، ص328

(228) المصدر نفسه، ص 330

إذ يرتبط بالإعتقاد بوجود الله ,فإذا كان الإعتقاد بوجود الله يحدث تغيرا إيجابيا في سلوك الإنسان فهو إيمان أو إعتقاد صادق في نظر جيمس .كما يعرض جيمس مجموعة من الخطوات التي أطلق عليها تسمية (سلم الإيمان)هذا السلم هو طريق الإرادة الطبية كمايسميها، ويتضمن ما يأتي (229):

أولا: ليس ثمة تناقض في كون وجهة نظر خاصة بالعالم صادقة , فليس ثمة شيء متناقض في ذاته .

ثانيا: فقد تكون – وجهة النظر هذه – صادقة في كنف شروط معينة .

ثالثا: وقد تكون صادقة حتى الآن .

رابعا: وهي صالحة لأن تكون صادقة .

خامسا: و ينبغي أن تكون صادقة

سادسا: ويجب أن تكون صادقة .

سابعا: ستكون صادقة على أي حال بالنسبة لي .

ثالثا: المطلب الثالث: تحقق الإيمان :

إنَ فهم المذهب العقلي للعالم هو فهم خاطىء لفهم **"جيمس"** , لأن هذا المذهب يرى أن لاعالم قد إكتملت صورته النهائية , و على إثر ذلك سوف تنتفي فكرة الإرادة الطيبة نحو العالم و هذا ما أوضحه **"جيمس"** في قوله :**" إن العالم في كل جانب من جوانبه – في نظر المذهب العقلي – يتم تكوينه قبل أن نتعال معه , ومعرفتنا على ذلك بما يكون عليه العالم يحصل عليها ذهن سلبي مستقبل , ليس لديه حس أصيل للإحتمال ولا إرادة طيبة نحو أي نتيجة خاصة ".(230)** فتأثير العقل لا يعطي للفرد أي فرصة للتفكير بعيدا , في المستقبل المفتوح . و حتى تكون هناك إرادة خيرة نحو العالم دعى جيمس إلى تعددية العالم واصفا إياها بأنها " تتفق مع المزاج البراغماتي أحسن إتفاق و تلائمه خير ملاءمة , لأنها توصي مباشرة بعدد أكبر لا نهاية له من تفاصيل الخبرة المقبلة لعقلنا " **(231)**, فظرة جيمس هذه تعطي دور إيجابي للعمل , كما تعطي إحتمالات كثيرة مستقبلة , لا تقوض مساعينا كما يفعل المذهب العقلي , و يقول **"جيمس" :" فإذا كان العالم المتحسن قائما هنا بالفعل , فإنه يستلزم الإرادة الطيبة الفعالة عند كل منا , في إيماننا كما في وجود نشاطنا الآخر , لكي نمضي به إلى طريق النجاح و الإزدهار "(232)** .

فالنظرة التعددية للعالم يتمخض عليها إرادة طيبة و حرة في نظر **"جيمس"**,وهذا ما يدفع إلى السعي إلى تحسين العالم الذي تدور عجلته دائما.وحرية الإيمان الديني , التي هي مرادفة لحرية الإعتقاد , والتي تدفع الإعتقاد و إلى ما يتخطى حدود ما هو معروف, والمعتقد الإرادي يدخل في كافة شؤون الحياة ,وفي مجال الإعتقاد الذي لا يستلزم برهانا ولا دليلا , إذ أن كل إنسان حر في صياغة آراءه الخاصة على مسؤوليته ,

---

(229)جيمس، وليام ،بعض مشكلات الفلسفة ، مصدر سبق ذكره، ص188
(230) المصدر نفسه، ص186
(231)جيمس، وليام ، البراجماتية ، مصدر سبق ذكره، ص323
(232)جيمس، وليام ،بعض مشكلات الفلسفة ، مصدر سبق ذكره ، ص192

فالإيمان الديني ينتج عن رضى يحفز ويدفع إلى العمل و النشاط ,رضى عن حقيقة واقعية بقوة إلهية لها مثل أعلى أخلاقي مشابه لمثلنا الأعلى ,وتحتاج هذه القوى الإلهية إلى تعاوننا في العمل من أجل خلاص العالم.(233) فالعالم المتعدد الذي نؤمن به تتمخض عنه قوى متعددة أيضا,تحتاج هذه القوى إلى تآزرو تعاون في سبيل السير قدما نحو تحسين هذا العالم و نجاح هذا العالم يتوقف على جميع هذه القوى ,ويقول جيمس في هذا الشأن :**"ويتصور العالم الماضي نحو التحسين ,تصورا إجتماعيا ,كتعدد لقوى مستقلة , فإنه سينجح بقدرما تعمل هذه القوى على نجاحه ,فإذا لم تعمل قوى منها , حق عليها الفشل , فإذا بذل كل منا أقصى ما يستطيع أمتنع الفشل "**(234),هنا قد إنسحب جيمس عن الذاتية الفردية ,بإعتبارها لا تستطيع أن تقدم لنا النجاح وحدها , ما لم تكن هنالك تعاون و إنسجام بين جميع القوى الأخرى ,التي تدخل في نجاح هذا العالم , وهذا ما أكده مرة أخرى بقوله :**" ونحن من حيث كوننا أفرادا أعضاء في عالم متعدد,يجب أن نقر بأننا, وغن كنا نبذل خير ما لدينا , فللعوامل الأخرى أيضا صوتها في النتيجة , فإذا أبت هذه العوامل أن تتعون معنا باءت إرادتنا الطيبة بالفشل وذهب جهدنا هباء "**(235) ,وموقف جيمس هذا مطابق لموقف ديوي في الأخلاق حينما أكد ديوي على مسألة التفاعل بين الفرد و المجتمع .

ويقدم جيمس فكرة يبين من خلالها بان الإيمان يمكن أن يحقق نفسه بنفسه,ثم بعد ذلك يسوق مثالا موضحا فكرته هذه فهو يقول :**"إن الإعتقاد المقاس بإرادة الفعل,لا يسبق دائما الأدلة العملية فحسب,ولكن هناك أيضا أنواع خاصة من الحقيقة يكون الإعتقاد جزءا من ماهيتها وجوهرها,على الرغم من أنها موضوع له,وليس الإعتقاد بالنسبة لهذا النوع مناسبا ومشروعا فحسب ولكنه جوهري ولايمكن الإستغناء عنه ,فلا يكون الصدق صدقا حتى تجعله عقيدتنا صدقا "**(236) ,فالإيمان شرط من شروط تحقق ما نؤمن به على شريطة أن يجلب هذا الإيمان منفعة عملية , حينئذ تكون الفكرة التي نؤمن بها حق , أما إذا جلبت لنا عكس ذلك فالفكرة حينئذ تصبح زائفة لا حقيقة لها .

ويسوق **جيمس** مثالا موضحا من خلاله فكرته السابقة , فهو يقول :**" فإفترض إنني متسلق جبلا من جبال الألب,وإفترض أنني من سوء الطالع قد أجهدت نفسي في الحركة, ووصلت إلى مكان لامنجي منه إلا بقفزة هائلة,وليس لدي من التجارب السابقة ما يبرهن على مقدرتي على أن أقفز تلك القفزة ,ولكن الأمل والثقة وحدهما اللذان ،قد يجعلانني أعلم أنني سوف لا أخفق فيها,ويعطيان أعصاب قدمي قوة تجعلها تنفذان ما قد يكون من غيرهذه الإنفعالات النفسية أمرا محالا، ولكن إفترض العكس,فأفترض أن إنفعالات الخوف واليأس من الخطيئة والجرم أن يعتد المرءعلى فروض لم تدعمها التجارب السابقة فما الذي يكون إذن ؟**

---

(233)ينظر :الشنيطي،محمد فتحي، وليام جيمس، مرجع سبق ذكره، ص170-171
(234) جيمس، وليام ، بعض مشكلات الفلسفة، مصدر سبق ذكره، ص192
(235) المصدر نفسه، ص192
(236)جيمس، وليام ، العقل والدين، مصدر سبق ذكره، ص6

سأتردد طويلا متعبا مضطربا,وفي ساعة من ساعات اليأس أرمي بنفسي فتزل قدماي وأسقط في الهوة "(237) تؤدي بنا فكرة تحقق الإيمان إلى موضوع آخر وهو فكرة الإيمان بالله وكيفية تحققها , ذلك أن**"جيمس"يرى بأن الإيمان بفكرة الله سوف تعمل عملها ,إذ أنها ترسي في نفوسنا الطمأنينة والسكينة والراحة,وهذا ما يؤثر على سلوكنا وأفعالنا فيعطينا نظرة تفاؤلية للعالم , ويجرنا تفكيرنا إلى أن حياتنا لا تقتصرعلى هذا العالم الفاني ,إنما هنالك حياة أخرى أبدية ,يمكن أن ننعم فيها و نثاب على إيماننا . وعلى هذا الأساس فإن معتقدنا الديني سوف يحقق نفسه بنفسه ,وهو بذلك يعتبر صادقا ,طالما تترتب عليه آثار ونتائج عملية في حياتنا .وهكذا أصبح صدق المعتقد مرهونا بآثاره العملية.** (238)

يفهم مما تقدم بأن الإيمان يمكن أن يحقق نفسه بنفسه , ولكن يجب أن تتوافر الشروط الآتية :

أولا:يجب أن يكون هذا الإيمان راسخا وحقيقيا حتى يعطينا القوة والعزيمة .

ثانيا: يجب أن يكون هناك حرية في العمل ,وإعتقاد راسخ بحرية أعمالنا وأفعالنا .

ثالثا: يجب ان يكون هنالك تعاون وإنسجام بين قوانا و القوى الأخرى ,حتى يتسنى لنا تحقيق إيماننا .

رابعا:المطلب الرابع: التجربة الدينية والتصوف :

1/ : صنوف التجربة الدينية:

لايمكن التغاضي عن مؤلف "**جيمس**"الشهير"**صنوف التجربة الدينية** " الذي كان له الدورالفعال في إضفاء صبغة دينية على فلسفة "**جيمس**" بشكل عام ,كما جعل هذا المؤلف كثيرا من أصحاب الدين و اللاهوت يغيرون من نظرتهم عن الفلسفة البراجماتية على أنها فلسفة إلحادية .

وقد حاول "**جيمس**"نفسه أن يبرر فلسفته البراجماتية بقوله :" ولكنني عندما أقول لكم إنني كتبت كتابا عن خبرة الناس الدينية , أعتبره إجمالا بمثابة توكيد لحقيقة وجود الله , فربما يتبرؤون براجماتيا من تهمة كونها نظاما إلحاديا ".(239) إن كتاب " صنوف التجربة الدينية " جاء مكملا لكتاب " **إرادة الإعتقاد "**.وجاعلا من الإعتقاد الديني عامة إلتزاما إزاء العنصرالإلهي – أو الفائق على الطبيعة – من عناصر الحقيقة الكونية (240),كما يعد كتاب صنوف التجربة الدينية غوصا إلى أعماق الحياة الباطنة وكشفا لحجبها وتخليصها للناس من عبء العقائد الدينية المتحجرة , و إطلاقا لهم من أسر هذا النظاق الضيق المحصور إلى ميدان فسيح فيه خلاصهم (241),فهو بذلك لا يقتصر على الجانب الديني فقط بل يذهب إلى أبعد من ذلك , فهو يتناول الجانب النفسي (السيكولوجي),ويعالج مشكلة الحرية أيضا .

---

(237) جيمس، وليام ، العقل والدين، مصدر سبق ذكره، ص66-67
(238) الطويل، توفيق: أسس الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص4
(239)جيمس، وليام ، البراجماتية، مصدر سبق ذكره ،ص348
(240) كامل، فؤاد وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سبق ذكره، ص181
(241) جيمس، وليام، بعض مشكلات الفلسفة ، مقدمة المترجم، مصدر سبق ذكره، ص9-10

ركز**"جيمس"** في كتابه هذا,على التجربة الفردية الخالصة ,وأهمل دراسة الدين الذي يستند إلى المبادىء و الأسس العقلية , فهو يضيق ذرعا بالجدل اللفظي الذي تتضمنه الكتب الدينية .ويعتبرعلى أن الدين هوالمركز الداخلي واللب الجوهري للحياة الإنسانية والزعم الذي يدعي أنه مترجم على نحو كاف واف إلى ألفاظ مفرودة تعبرعن أفكار مجردة ,ضربا من الخبرة تذوب فيها القريحة والشعور والإرادة **(242)**, وقد شدد **"وليام جيمس"**على رفضه بأن هنالك فلسفة دينية يعبر عنها من خلال مفاهيم ومعاني وألفاظ تدل على نظرية دينية,يقول **"جيمس"** :**"إنني أؤمن بأن من المستحيل على ما يسمى فلسفة الدين أن يمكنها أن تبدأ أن تكون ترجمة وافية لما يجري في دخيلة جيمس الإنسان الفرد ,حالة كونه يعبر عن نفسه – حيا يرزق – بإيمان و تصوف ديني "(243)** , وبذلك فإن جيمس قد وقف موقفا سلبيا من رجال اللاهوت والفلاسفة العقليين,الذين أرادوا أن يطفوا على الدين صبغة عقلية ,لذلك فهو يرى أن كل محاولاتهم باءت بالفشل ولا أمل فيها على الإطلاق **(244)**.

يعد موقف**"جيمس"**الرافض لتفسيرالمذهب العقلي للدين,هو إقرارعلى أن الدين في جوهره أمر شخصي، والحق في ذلك أن هناك صور من التجربة الدينية لعدد من المتدينين,فالدين يتصل بالحياة ,وكل منا يعيش بحسب مزاجه الخاص وبمقتضى مواهبه الخاصة **(245)** ,وعلى هذا النحو جاءت دراسة**" جيمس"** للدين دراسة سيكولوجية تعطي لكل فرد فهما خاصا للدين ,ورؤيا تختلف من شخص إلى آخر.كما جعل من أنواع الخبرة الدينية تشيرإلى وجود خزانات محددة ومتنوعة للطاقات البشرية بالوعي التي مكننا قيام علاقة معها أثناء أوقات المشاكل والإضطرابات ولمس شيء ما أساس في أذهان الدينيين ويزودهم بمادة دفاعية لا تعيش في حالة صراع مع العلم والمنهج العلمي **(246)**.

ويتضح من كل ما تقدم أن الدين الذي نادى به **"جيمس"** في كتابه "صنوف التجربة الدينية "هو دين فردي شخصي,يرفض كل عقلانية , ويسعى إلى سبر أغوار النفس الإنسانية وكل ما يعمل على صياغة الذات الفردية. إلا أنه على الرغم من الأشكال المختلفة للخبرات الدينية ,فهي مجرد حجابات تلمع من خلال الوحدة الخفية ,إهتداء النفس إلى الواحد ,وشعورها بإنجاذبها له ,وإنها مخلوقة له و ملزمة في خدمته.**(247)**

---

(242) بيري، رالف بارتون، افكار وشخصية وليام جيمس، مرجع سبق ذكره، ص356

(243) المصدر نفسه،ص356

(244) ينظر : شنيدر، هربرت، تاريخ الفلسفة الأمريكية،ت: الشنيطي، محمد فتحي، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة، 1964 ، ص-391 -392

(245) .كذلك ينظر :الشنيطي، محمد فتحي، وليام جيمس، مرجع سبق ذكره، ص191

(246) بوترو،إميل، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ت : احمد فؤادالأهواني الهيئة .العامة للكتاب، القاهرة ، 1973 ، ص245

(247) Benton , William , The Encyclopaedia of Britanica , Vol , 12, p. 864

2/ : مفهوم التصوف:

يعرض"**وليام جيمس**" في كتابه " البراجماتية " قصيدة لشاعر إسمع " **والت هويتمان** "(248) بعنوان " إليك "يرى أنه يمكن تفسير هذه القصيدة , بالطريقة الأحادية الصوفية ,وهنا يعطي لهذه الطريقة أهمية كبيرة,إذ يقول في هذا الصدد :"**ومع ذلك فالبراجماتية يتعين عليها أن تحترم هذه الطريقة,لأنها نضالا تاريخيا هائلا يسوغها** "(249),وقصيدة أخرى يعرضها في مؤلفه "بعض مشكلات الفلسفة "**يبين من خلالها أهمية الواحدية الصوفية ,حيث يقول جيمس** في أهمية التصوف :"**وأنا أدعو هذا الضرب من الواحدية ,واحدية صوفية ,فهي لا تنكشف فحسب في صيغ تتحدى الفهم ,بل تعتمد أيضا على ذاتها إذ تلجأ إلى حالات من الإشراق لا توهب للعاديين من الناس**"(250).هذا وشدد جيمس تشديدا قويا على أهمية التصورمن خلال مقال كتبه بعنوان "**صوفي متعدد** "(251),واصفا من خلال صوفية ,صديق إليه , فيقول **جيمس**:"**أعترف أن وجود هذا الطراز الجديد من الصوفية شد قامتي وجعل حالة إنحنائي تولي فرارا,إنني أشعر الآن بأن تعدديتي ليس بلا ظهر وسند قبل التعزيز الصوفي,إن الواحدية لا تستطيع من الآن فصاعدا أن تدعي أنها المستحق الوحيد لأيما حق قد تملكه الصوفية في إضفاء الإحترام والهيبة والمقام** ".

وبالرغم من أن **وليام جيمس** قد أعطى أهمية كبيرة للتصوف عن أصحاب المذهب الواحدي,إلا أن ذلك قد قاده إلى مذهبه التعددي ,معتبرا أن الحالة لاصوفية تبدأ من حالة التوافق والإنسجام بيننا وبين الله,وهولايريد أن يكون الإنسجام ذوبان بين الذات والله,إلى درجة الوحدة ,فهو يرفض هذه الوحدة رفضا قاطعا,ويرى بأن الذات والله موضوعان متمايزان ,كل واحد منهما له صفاته التي يختلف بها عن الآخر,فهوهنا يخالف المذهب الواحدي في مسألة التصوف الذي لايضع فارقا أثناء الشعوربالحقيقة الإلهية,وقد قال جيمس في هذاالمضمار :"**فقد يسمى ذلك الشعور بالإنسجام مع الله الذي يميز أعلى مرحلة من مراحل الشعور به وحدة وإتحادا معه, وهكذا يمكن أن ينشأ مذهب إتحاد من أحشاء مذهب التأليه,ولكن ذلك الشعور بالإستسلام النفسي وبالإتحاد المطلق,من ناحية عملية ,بين المرء و موضوع تدبره المقدس ,يختلف كل الإختلاف عن أي نوع آخر من أنواع الإتحاد في الجوهر,إذ لا يزال الموضوع هنا الذي هو الإله والذات المدركة الذي هو أنا شخصيتين**

---

(248)Karrer, Otto, Religions of mankind , Sheed and Ward Inc., New York, 1936,p.83

(249)"والت وايتما نWalt Whitman " شاعر أمريكي و صحفي ولد عام 1819 ، صنف على أنة أعظم شعراء أميريكا، أهتم بالشعر العاطفي كثيرا عاش في نيويورك وعمل في بداية حياته عاملا في مطبعة صغيرة. استطاع بعد فترة أن يكون معلما في إحدى المدارس الريفية. في عام 1838 إنصرف وايتمان عن مهنة التعليم إلى مهنة الصحافة، واشترى بمساعدة مالية من أصدقائه مطبعة صغيرة في بلدته وبدأ بإصدار صحيفة أسبوعية أسماها اللونغ آيلندر. أثناء عمله الصحافي، كتب وايتمان في موضوعات متنوعة، تراوحت بين التعليم والموسيقى والأخلاق ومحاربة الإدمان والإرشاد. قصائده وقصصه في تلك الفترة كانت وعظية، تقليدية، عاطفية، تعكس المفاهيم الدينية والأخلاقية والفكرية لعصره. رغم أنه كان ناشطاً سياسياً من مؤيدي الحزب الديمقراطي، غير أنه لم يسع قط إلى تحقيق أية مكانة أو مستقبل خارج إطار الصحافة الأدبية والشعر .من أعماله: مجموعة أسماها أوراق العشب، وسلسلة قصائد تحت عنوان تتمة الى قرع الطبول كتبها إثر الحرب الاهلية الاميركية. أصيب بشلل نصفي نتيجة جلطة دماغية، في أوائل عام 1873، وتوفي في عام 1892.

(250)جيمس، وليام، البراجماتية، مصدر سبق ذكره، ص 322

(251) جيمس، وليام ، بعض مشكلات الفلسفة، مصدر سبق ذكره ، ص104

متمايزتين ,فلا يزال هوموجدا خارجا أحس بوحدة خارجا ,ومع درجة من الإتحاد معه تكون في نفس الوقت أعلى مرحلة الشعورلأني وأنا حقيقة موجودة,إختلفت كل الإختلاف عن ذلك الموجود المقدس الذي يملؤني روعة وجلالا "(252).

ويتضح مما تقدم بأن صوفية وليام جيمس تمثل ذروة مذهب التأليه (253),إلا أن هنالك بعض المسائل التي لا تعير إليها أهمية ,مثل إختراق حجب أسرار النفس أوأسرار الفرد المعبود وعملية الإتحاد ما بين الذات والإله, (254)ويقول **"جيمس"** في هذا الصدد :**" وأما كيف لقوتي العاقلة و قوتي الإرادية ,اللذين يغايران قوى الإله أن يدركاه و يقفز لمقابلته ،وكيف تأتي لي أن أكون متمايزا عنه و كيف تهيأ للإله نفسه أن يوجد, فهذه مشاكل ليس لها من حل,وسوف لا نجد لها من حل عند المؤلهة "**(255).

ثالثا :قيمة التصوف :للتصوف قيمة في نظر**"جيمس"**,إلا أن هذه القيمة تنحصرعند المتصوفة أنفسهم ,ولايمكن أن تعمم قيمة التصوف على جميع الناس,وعلى هذا النحو تعتمد على مشاعر ذاتية يتذوقها الفرد بعيدا عن الآخرين ,وهذه القيمة في نظر **"جيمس"** يمكن أن تكون نوعين قيمة عملية وأخرى نظرية ...إذ تنحصر القيمة العملية في أن الصوفي يشعر بالسعادة والأمان,وهما آتيان من صلته بلكو الفسيح الفائق على الطبيعة ,(256) إذ قال **"جيمس"** في هذا الخصوص:" **وفي الإيمان بتلك الحقائق التجريبية من غير تفلسف أونظرفي مباحث الوجود ,ومن غير فيض ميتافيزيقي أوخلقي ليبررهاأوليجعلها مستساغة لدى العقل, وفي السعادة الناشئة عن مجرد الإعتراف لها موجود,توجد طمأنينة المرء وقوته التي يرغب فيها,وتتفتح له أبواب الحياة على مصرعيها ,فتمر منها التيارات بقوة وشدة "**,(257) أما فيما يخص القيمة النظرية ,فهي تساعد الصوفي على أن يلم بحقائق لايتسنى لغيره الإلمام بها,يكسب الصوفي حقائق متصلة بهذا العالم مثل معرفة أمورالمستقبل, وفهم سريع دقيق للنصوص الدينية.(258)

---

(252)-يبري رالف بارتون,أفكار و شخصية وليام جيمس , مرجع سبق ذكره، ص293

(253)-مذهب التأليه(Theism) : هو الإعتقاد بوجود إله أو آلهة , و هو نقيض الإلحاد (ATheism) الذي ينكر هذا الوجود و هو بمعنى أدق المذهب القائل أن لله واحد مشخص لا متناه , يجمع بين العلو و الحلول , و ينطوي هذا المذهب عادة على القول بالأزلية , وكذلك يتضمن فكرة الله بوصفه خالق الكون ومركزه الأخلاقي.

(254) ميد,هنتر : الفلسفة أنواعها و مشكلاتها، مرجع سبق ذكره، ص436 .

(255) زيدان، محمود، وليام جيمس مرجع سبق ذكره، ،ص170

(256) جيمس، وليام، العقل والدين، مصدر سبق ذكره، ص102-103

(257) زيدان، محمود، وليام جيمس، مرجع سبق ذكره، ص171

(258) زيدان، محمود، وليام جيمس، مرجع سبق ذكره، ص158 - 159

ويذهب **"جيمس"** إلى أن هناك أربع خصائص للحالات الصوفية , وهذه الحالات هي **(259):**
أولا : الحالات الصوفية لا يمكن وصفها ولا التعبير عنها .
ثانيا : الحالات الصوفية حالات إدراكية .
ثالثا: الحالات الصوفية سريعة الزوال .
رابعا : الحالات الصوفية حالات سالبة .

إن **"وليام جيمس"** قد أكد التجربة الدينية ,وبما أن براجماتيته ترى أن الحق في النتائج العملية النافعة، ولهذا فإن الدين الحقيقي عنده هو الذي يترك آثارا حسنة تحقق السعادة والطمأنينة في حياة الفرد, وبهذه النتيجة يوضح **"جيمس"** في كتابه " صنوف التجربة الدينية "بأن المتدين لديه هو القديس **(Saint)** **(260)**,ومتى ما كانت هذه الإنفعالات ذات آثارحسنة على الحياة ,كان تدينه صحيحا ومجزيا.كما يذهب جيمس إلى أن القداسة لها مظاهرعديدة ومختلفة ,ومن مظاهرها حب الله والوفاء إليه,وصفاء القلب,والإخلاص والطاعة ,والفقر" الزهد ",وكذلك الشعوربوجود حياة أخرى أكثر سعة من هذه الحياة التي نعيشها ,مما يترتب على ذلك بوجود قوة عليا والشعور بالخضوع لها. **(261)**

3/الإعتقاد بوجود الله :

أولا: فكرة الإله :

ينطلق **"وليام جيمس"** من التجربة المعاشة ليدلي من خلالها على فكرة الله ,معتبرا أن فكرة الله فكرة صحيحة إذا كان مفعولها يسري في سلوك الفرد , وإذا كانت تعمل على إضفاء جانب إيجابي في هذا السلوك لذلك يجوز للفرد أن يؤمن بفكرة الله وأن يعتبر فرض الله فرضا صحيحا ,وقد قال **"جيمس"** في هذا الخصوص:**" إذا كان فرض الله يعمل إكفاءا ورضا في أوسع معاني الكلمة ,فهو فرض صحيح ,ومهما تكن الصعوبات المختلفة منه,فالخبرة تومئ إلى أن الفرض يعمل إكفاءا ورضا , في ذلك أدنى ريب,وأن المشكلة هي بناءه و تحديده و تصميمه وإنجازه ,بحيث يلتحم إلتحاما يتسم بطابع الكفاية والإرضاء,في مقومات الحقائق العامة الأخرى "**،**(262)** ففكرة الله على هذا النحو لا تتجلى قيمتها بذاتها ,أوبحثها معاني أو ألفاظ مجردة ,أو دلائل منطقية , وإنما قيمتها بتأثيرها على السلوك .
وقد أشار**"جيمس"** إلى ذلك بمكان آخر بقوله : " وأيا ما كان , فهناك تصورات خافتة معتمة الصورة بحيث أن قيمتها كلها تتمثل في وظيفتها , مثل " الله " , " العلة " , " الجوهر " ،" النفس " , فهي لا تزودنا

---

(259) المصدر نفسه، ص 159
(260) ينظر :بوترو، أميل، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص 247
(261).كذلك ينظر :زيدان، محمود فهمي، وليام جيمس، مرجع سبق ذكره، ص159 -161-162
(262)جيمس، وليام: البراجماتية، مصدر سبق ذكره، ص347-348

بصورة ما محددة ,ويبدون معناها يتوقف على إتجاهها الذي تتجه ,وعلى مدى تقديرها في سلوكنا وتفكيرنا , فإننا لا يمكن أن ننصرف إلى تأمل أشكالها كما نفعل في" الدائرة "و"الإنسان " , بل ينبغي أن نتخطى إلى ما وراءها ".**(263)** لقد رفض **"جيمس"** فكرة الله , أوإعتباره حقيقة مفارقة عن الإنسان , لها وجودها الخاص المختلف كل الإختلاف عن طبيعة الوجود الإنساني,بل أراد أن يكون مكانه في واقع الإنسان في صميم الإنسان نفسه نابعا منه و إليه جاعلا إله الإنسان مغلق على ذاته ,وإنه يتوقف على الإنسان نفسه **(264)**,هذا وقد قال جيمس في فكرته هذه عن الله عندما قال:**" إن البراجماتية لا تتحرج من إعتبار إله يعيش في صميم نجاسه الواقع الخاص أو الحقيقة المخصوصة , إذا كان ذلك يبدو أنه المكان المرجح أن نجده فيه "(265).**

فإله **"وليام جيمس"** الذي آمن به يجب أن يكون ذا صلة وثيقة بتجربة الإنسان,له تأثير فعال على هذه التجربة .ويمكن أن ندافع عنه عصرضروري للتجربة الدينية ,وإن كان لا يمكن أن يصلح كأساس للاهوت عقلي **(266)**,الذي يرى بأن الحقيقة الإلهية يجب أن يكون لها إستقلال خاص بعيد عن الواقع , فهي" تنشأ " مستقلة أصلا عن جميع الجزئيات المدركة إدراكا حسيا ,فتصورات من قبل: الله,والكمال,والسرمدية, واللانهائية,واللاتغير,والهوية,والجمال المطلق,والحق,العدل, والضرورة, والحرية,والواجب, والقيمة ..والدور الذي تؤديه في أذهاننا , يستحيل علينا فيما يقولون تفسرها على أنها ثمرات الخبرة العملية **"(267).**

وبناء على نظرة أصحاب المذهب العقلي و أصحاب اللاهوت ,التي تدرك الله على أنه حقيقة مطلقة مفارقة , مسيطرة ,وموجهة لهذا العالم ,ولا دخل للإنسان فيه,أي إسقاط حريته ,إن أصحاب المذهب العقلي واللاهوت **"يقصدون أن لنا الحق دائما و حالا في أن نحضى بإجازة أخلاقية , و أن نترك العالم يتحرك و يتذبذب و يتراوح بطريقته الخاصة , شاعرين بأن مقاديره و قضاياه في أيد أحسن من أيدينا و لا شأن لنا بها." (268)**

وهذاما رفضه**"جيمس"**الذي يدعو دائما إلى الحرية والمسؤولية,كما أن الإيمان بإله واحد مطلق يتمخض عنه مشكلة بالنسبة إلى جيمس ألا وهي مشكلة الشر.لأن لوكان هناك مثل هذا الإله الشامل,للزم أن يكون مسؤولا عن كل ما يقع,والشر بعض ما يقع , فإما أن نقول أن الله عندئذ مسؤول عنه,أوأنه عاجزعن رده, **(269)**

---

(263)جيمس، وليام: بعض مشكلات الفلسفة، مصدر سبق ذكره، ، ص58
(264) ابراهيم، زكريا: مشكلة الانسان، (سلسلة :مشكلات فلسفية معاصرة)،مكتبة مصر للمطبوعات،القاهرة ،مصر،ط1،دت ص182
(265) جيمس، وليام: البراجماتية، ص106-107
(266) شنيدر، هربرت: تاريخ الفلسفة الامريكية ، مرجع سبق ذكره، ص394
(267)جيمس، وليام، بعض مشكلات الفلسفة، مصدر سبق ذكره، ، ص55
(268) جيمس، وليام ، البراجماتية ، مصدر سبق ذكره، ص98
(269)محمود، زكي نجيب، حياة الفكر في العالم الجديد، مرجع سبق ذكره، ص193

وقد أوضح جيمس ذلك بقوله :**"يخلق ذلك مشكلة الشر,فالشر في نظر التعددية يمثل فقط مشكلة عملية هي كيفية التخلص منه,أما في الواحدية فاللغز نظري: كيف – إذا كان الكمال هوالمصدر – يكون هنالك نقص ؟ إذا كان العالم كما هو معروف للمطلق كاملا , فلم يعرف على غير ذلك في الألف من الإضافات المتناهية الحقيرة أيضا ؟ فالإضافة الكاملة هي يقينا كافية,كيف تطرق إليه التهدم والورع و الجهل ".**(270) ويقدم أصحاب المذهب العقلي وأصحاب اللاهوت أدلة منطقية يدللون بها على وجود الله وهذا ما رفضه جيمس, لأنه يرى أن هذه الأدلة لا يمكن أن تقنع جميع الناس على إختلاف مستوياتهم .إنما ينبغي على اللاهوت المؤسس على العقل الخالص أن يقنع الناس جميعا ,ولكن لما كان ذلك أبعد ما يكون عن الواقع الفعلي,كان على اللاهوت الطبيعي أن يسحب دعواه لأنه علم برهاني متميز,فهو ليس في الواقع أكثر من نتاج جانبي للعاطفة الدينية ,التي تقوم بالتعبيرعن إقتناعاتها وتفسيرها,ولاتقنع حجج اللاهوت الطبيعي إلا أولئك الذين يملكون الإيمان الديني فعلا,ولكنها تترك الآخرين في حالة فتور دون أي تأثير,ومن ثمة لاوجود لمعيار نظري مستقل نستطيع أن نحكم به على الإعتقاد الطبيعي في إله متناه (271),إن جيمس قد إعتبرالحقيقة العقلية هي جزء من الإرادة والعاطفة الدينية , التي أعتبرها هي المبدأ أو المنطلق الحقيقي لكل دين ولا يمكن أن يكون هنالك بديل آخرغيرها , فالإله الحقيقي هو الذي ينبع من داخل الفرد,وليس تمليه عليه الأدلة المنطقية و العقلية .

ميز **"جيمس"** بين فكرة الإله وفكرة المطلق (**Absolutism**) التي ترى أن**:**"العالم كله يجب أن يكون وحدة متينة , يحدد الكل , كل عضو فيه على ما هو عليه ...إذ تميل الواحدية إلى الإعتقاد بأن جميع الأشياء تنشأ عن ماهية الله "(272),وهذه هي وجهة نظر **باروخ سبينوزا** (273) التي تختلف عن نظرية **"جيمس"**التعددية للعالم ,لذلك هو يرى بأن فكرة المطلق لايمكن أن تقوض فكرة الله.إن الواحديين وأصحاب مذهب الألوهية هم وحدهم الذين يؤمنون بالمطلق ,أما الناس العاديون فلا يؤمنون إلا بفكرة الله أومذهب الألوهية , وإن المطلق لايشترك في شيء مع إله مذهب الألوهية إلا من حيث علوه على ما هوإنساني، (274)

---

(270) جيمس، وليام، بعض مشكلات الفلسفة، مصدر سبق ذكره، ص119

(271)كولنز ،جيمس ،الله في الفلسفة الحديثة،ت:فؤاد كامل،مطبعة دار العلم العربي القاهرة،ط1973،ص431-432

(272) جيمس، وليم، بعض مشكلات الفلسفة، مصدر سبق ذكره، ص 118

(273)باروخ اسبينوزا ((Benedict de Spinoza)): باروخ اسبينوزا (ويطلق عليه أيضًا بينيديكتوس دو اسبينوزا) المولود يوم 24 تشرين الثاني/نوفمبر 1632 بمدينة أمستردام الهولندية، من أب برتغالي يهودي يمتهن تصدير واستيراد التوابل والفواكه الجافة. تعلَّم العبرية ولكنه لم يتابع دراساتها العليا، ما فوَّت عليه دراسة التوراة. خلف والده في التكفل بشؤون تجارته لزمن قصير. ثم طرد فيما بعد من الطائفة اليهودية وفرض عليه عدم الاتصال بأفرادها جميعهم. ويروى عنه أنه تعرض لمحاولة اغتيال، واحتفظ بردائه الذي مزقته ضربات الخنجر، مستدلاً به، كلما سنحت له مناسبة معينة، للتأكيد على أن الدين يؤدي إلى الجنون! اتهم بالإلحاد وبإنكار كل الديانات أثناء إقامته بمدينة فوربورغ. مات لاهاي في 21 أفريل سنة 1677 بعدما عانى طويلاً من داء السل الرئوي المتوارث في عائلته. وقد أنجز خلال هذا العمر القصير (45 سنة) ما شكَّل ما سماه هيجل النقطة الحاسمة والمركزية في الفلسفة الحديثة. وقد كان يستشهد مرارًا بعبارة أوفيد التي مفادها: "أرى الأمثل وأستحسنه، فأقوم بالأسوأ."! كتب رسالته في تحسين العقل, و أهم هذه الكتب على الإطلاق هو كتاب" رسالة في اللاهوت والسياسة و كتاب الأخلاق

(274)كذلك ينظر :كامل، فؤ اد وآخرون، الموسوعة الفلسفية، مرجع سبق ذكره، ص251

هذا وإن موقف "**جيمس**"ينطبق إنطباقا كليا مع وجهة نظر البراجماتية بشكل عام التي ترفض الميتافيزيقا المطلقة والحقيقة المطلقة المعروفة لدى الإنسان و جميعها تعتبر معرفة نسبية للإنسان ,كما أتهم البراجماتيون الأقاويل التقليدية عن الحقيقة , كونها ليست عقلانية بالكامل و هي وبصورة كلية مجردة من المعنى (275). إلا أنه على الرغم من أن "**جيمس**" قد خالف أصحاب المذهب المطلق ,ولكنه في نفس الوقت لايمكن له أن يكون من أصحاب المذهب التجريبي الذين يبطلون الدين , لهذا قد إتخذ موقفا وسطا من المذهبين , فهو لا يوافقهما ولا يرفضهما رفضا قاطعا ,إنماإعتبر المذهب البراجماتي وسطا بين المذهبين التجريبي والعقلي , هذا ما أوضحه "**جيمس**"بقوله :"**أما البراجماتية فعلى إستعداد لأن تتناول أي شيء,لأن تتبع إما المنطق وإما الحواس,وأن تعطي وزنا وحسابا لأكثر الخبرات تواضعا و ذلة ,وأكثرها شخصية**."(276) وأخيرا في أحد المحاضرات التي ألقاها جيمس على مجموعة من أصحاب الدين المسيحيين عام (**1881**) , كان عنوانها (**الأعمال العكسية**(277) والإيمان بالله)والتي أصبحت إحدى فصول مؤلفه(إرادة الإعتقاد) ، تحديدا في الجزء الثاني من هذا المؤلف ,أراد جيمس من خلال هذه المحاضرة أن يثبت وجود الله بعملية سيكولوجية بعيدة عن الإيمان اللاهوتي الشائع لوجود الله ,الذي ينطوي على معرفة عقلية.كما عمل على أن يثبت إمكانية وقوع الفروض الدينية من وجهة نظر براجماتية ,وهو يعرضها من خلال دفاعه عن **مذهب التأليه** (278).

ثانيا : صفات الله

عندما تعرض جيمس لمسألة صفات الله , تخلى عن تناول هذه الصفات تناولا ميتافيزيقيا , وهو يذهب إلى أن هنالك كثيرا من المسائل التي تخص الله لا يمكن بحثها و بيانها و لهذا **فهو فرق بين صفات الله الميتافيزيقية والأخلاقية دون أن يبحث في الأصل الخاص بهذه التفرقة** (279),الصفات الأخلاقية قد إستمدها من طبيعة الإنسان لأنه **إعتقد أن الله والإنسان من طبيعة واحدة , وإن الإختلاف في الدرجة فحسب** ,(280) فالإله الذي يعتقد به جيمس هو إله طبيعي وليس ميتافيزيقي .

لقد أعطى جيمس صفتين جوهريتين إلى الله ,وهاتين الصفتين هما القوة و العلم , و من خلالها وجد بأنه يمكن النظر إلى الله على أنه شخصية مغايرة للإنسان,أو يمكن النظر إليه بصفته إله له كيانه الخاص الذي يختلف به عن الإنسان ,وهذا يتم عن طريق إحساس الإنسان نفسه بالله , و قد أعرب **جيمس** عن ذلك بقوله :" **لابد أن يتصور الإله,أولا أعظم قوة في العالم , فإن الإله يعبر – ككل شخصية أخرى – موضوعا خارجيا , مغايرا لشخصيتنا, ويعرض لنا وجوده الخارجي , فنحس به وندركه , فيمكن أن نعرف الإله بأنه**

---

(275) كولنز، جيمس، الله في الفلسفة الحديثة، مرجع سبق ذكره، ص427

(276)-المرجع نفسه،ص228

(277) جيمس، وليام، البراجماتية، مصدر سبق ذكره، ص151

(278)شنيدر، هربرت، تاريخ الفلسفة الامريكية، مرجع سبق ذكره، ص391

(279)كولنز، جيمس، الله في الفلسفة الحديثة، مرجع سبق ذكره، ص437

(280)زيدان، محمود، وليام جيمس، مرجع سبق ذكره، ص178

قوة عالمة مدركة مغايرة لقوانا,ولا تتوجه نحو ما هو خير فحسب,بل الخير مأخوذ في مفهومه أيضا.

"(281) إن **جيمس** الذي وجد في الله قوة عالمة مدركة تتمتاز عن قوانا , ميزة عن الإنسان الذي يتصف بالخير و الشر , أما الله فيتصف بالخير فقط . لذا يجب على الإنسان أن يرقى إلى ما يتصف به الله و إقترابه منه و يحاول بمعونة الله أن يتخلص من الشر و يحقق الخير (282).

يرى جيمس طبقا لمذهبه التعددي **أن الله شخصية محدودة,وليست مطلقة ,وهذا ما يدخلنا في مسائل عديدة منها أن محدودية الله متناهية,تستدعي أن يوجد في زمان ,وهو بهذا لايمكن له أن يحيط بكل شيء , لأنه قد حدد بزمان معين,أي ليس خالدا فهو لم يخلق الكون من الأزل.** (283)

كذلك من الصفات التي أطلقها جيمس على الله ,هي صفة التعددية , فهنالك تعددية إلهية وليس إله واحد.فهو يقول في ذلك إن فرض الشرك ليست أقل إحتمالا من فرض التوحيد ,فلماذا لا نقول بوجود قوى.متعددة تحكم الكون,أليس من المحتمل أن يكون العالم مؤلفا من مجموعة القوى الفردية الإلهية ,التي تتمتع بدرجات متفاوتة من الحكمة والفهم دون أن يكون بين هذه القوى العديدة أية وحدة مطلقة. (284)

بينما نجد**"ديوي"**يرفض كل شكل من أشكال الأديان المطلقة المتعالية فوق طبيعة الإنسان,والتي تتخذ صورا متعددة في نظره ,فمنها من تحاول أن توجد علاقة بين الواقع والمثال المتعالي,وأخرى تتمسك بجوهر ميتافيزيقي معتبرا دعامة هذا العالم ,كما ظهرعلى شكل نظرية ثابتة منافسة لكل علم , هذاما أوضحه ديوي بقوله:**"لقد وقع الإيمان الديني تحت تأثير الفلسفات,إذإجتهدت في أن تبرهن على الصلة الثابتة بين الحق والواقع والمثل الأعلى في الموجود الأقصى,وكانت عنايتها في البحث عن حياة من الولاء لم تقدرأنه الخيرمرتبطة بعقيدة خاصة لها صلة بأصول تاريخية,وإشتبك الدين كذلك بميتافيزيقا الجوهروألقى بنفسه مع مصيرها مسلما بكونيات معينة,ورأى الدين نفسه بأنه يحارب معركة خاسرة مع العالم,كمالو كان الدين نظرية منافسة تدورحول بناء العالم الطبيعي."** (285)

بالإضافة إلى ما تقدم فإن ديوي يعارض الأديان السماوية المنزلة ويرفضها رفضا قاطعا,معتبراأنها بقايا العصرما قبل العلمي وما قبل التكنولوجي,التي ليس لها مكان في المجتمع الحديث, فهي متحجرات إجتماعية إذا جازالتعبير مصنوعة من دوغمائيات بالية وتعاليم أخلاقية غيرعلمية, وممارسات إعتقادية,ولكن **جون ديوي لم ينفق الكثير من الوقت حول الأديان المنظمة لانه يعتقد بأنها مرفوضة منذ زمن طويل,وسوف تختفي عما قريب من المشهد الإجتماعي**, (286)وكذلك لم ينفق

---

(281)جيمس، وليام، العقل والدين، مصدر سبق ذكره،ص 90
(282) ينظر :زيدان، محمود، وليام جيمس، مرجع سبق ذكره، ص177
(283) كذلك ينظر :ابراهيم، زكريا، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سبق ذكره،ص53
(284)كذلك ينظر :زيدان، محمود، وليام جيمس، مرجع سبق ذكره، ص 179
(285) كذلك ينظر: ابراهيم،زكريا، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص55
(286) بدوي(عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، الجزء الاول، مرجع سبق ذكره،ص450

الكثير من الوقت حولها ,لأنها تصطدم مع فلسفته الطبيعية ,التي لا تعير أي إهتمام إلا بما كان محسوسا ,وخاضع للتجربة العلمية ,ورفضه لديوي كونه يبحث في مسائل ميتافيزيقية.**وإن التفكير الميتافيزيقي لا يبدي في واقع الأمر أدنى إهتمام بما يتصل بسيطرة الإنسان سيطرة عاقلة على الطبيعة ,وهو كذلك يعوق البحث الفلسفي ويصبغه بصبغة قطعية جامدة , ويعلق عقول الناس دون ما في العلم الطبيعي من إمكانات كامنة**. (287)

هذا فقد لاقت فكرة الله نقدا عند **جون ديوي** ,إذ رفض تصور الله بعيدا عن التجربة الإنسانية أوالواقع الإنساني ,فكان يرى بأن فكرة الله أوالإلهي لا بد أن ترتبط بكل القوى والظروف الطبيعية، من ضمن ذلك الإنسان والإدراك الترابطي – اللذان يعززان نمو المثالية وتوسيع مدى فهمها,وهكذا يلاحظ بأن ديوي لم يرفض فكرة الله رفضا قاطعا , بل أراد أن يجعلها ضمن إطار مذهبه.ليس ثمة شك في موقف ديوي هذا من الدين , فهو قد إنعطف إنعطافا شديدا عن سابقيه.إنه **لا يستطيع قبول الفكرة الدينية في نظامه,لأن الإيمان بالله أوالمعرفة بنعم الله لا يمكن أن تكون جزءا من التجربة كما يعتقد ديوي**(288), وبهذا قد إختلف عن جيمس في المسألة الدينية.فتجريبية ديوي في أمور الدين أقل تطرفا,فهو يعتقد مثله مثل جيمس,**أن ثمة كيفية دينية في التجربة مستقلة إستقلالا نسبيا عن المعتقدات المصطلح عليها ,وعن طقوس الأديان المنظمة,ولكنه يريد أن يحفظ القيم الدينية حرة من جميع أنواع العلم الكوني ومذهب فوق الطبيعة , فهو إنساني** (289).

إنَ هناك سببين رئيسيين دفعا **"ديوي"** إلى رفض الدين والهجوم عليه وهذان السببان هما الأساس في رفضه للميتافيزيقا رفضا تاما .أولهما أن التفكير الميتافيزيقي لايقدم و لا يؤخر على الإطلاق فيما يتعلق بالتقدم الذي حققه الإنسان في السيطرة الذكية على الطبيعة ,وثانيهما أن التفكير الميتافيزيقي سيء لأنه يقف عقبة أمام البحث و الإستقصاء ,ويسبب في جمود الفلسفة ,فضلا عن أنه يغلق عقول البشرأمام الإمكانات الكامنة في العلوم الطبيعية.ويلاحظ مما تقدم وجود نزعة تفاؤلية في مفهوم ديوي للدين ,هذه النزعة تقتضي السعي والتواصل في تحقيق إمكانيات الطبيعة المتاحة إلينا, وأن يكون الموقف إتجاهها موقفا إيجابيا بناءا,يسعى إلى التطوروالرقي في هذه الحياة ,والإيمان يجب أن يخلص

---

(287) بدوي(عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، الجزء الاول،. مرجع سبق ذكره،ص450
(288) ابراهيم،زكريا، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص44
(289) المرجع نفسه،ص45

لمثل أعلى وقد قال ديوي هنا :**"إن الإيمان الديني يتعلق بإمكانيات الطبيعة وما يرتبط بها من عيش, سيتجلى عنه- بإخلاص للمثل الأعلى – التقوى نحوالواقع,الذي لن يتنازع الإيمان الديني وإياه فيما يختص بنقائصه ومصاعبه,على العكس سيحضى كل ما كان وسيلة لتحقيق الإمكانيات بالإحترام والتقدير,كما سيظهر بذلك كل ما يتجسد فيه المثل الأعلى,إذا لقي تجسيدا**."(290)

ويخلص ديوي إلى حقيقة لا يمكن إنكارها أوتغاضيها,ألا وهي أن الدين الحقيقي يجب أن يكون دين الإنسانية جمعاء على إختلاف أنماطها,وليس تعددية دينية , ذلك لأن تاريخ الإنسانية عبارة عن نسيج مترابط ,وعبارة عن تطور تراكمي لما حققته الإنسانية بأجمعها ,لايمكن أن يكون كل فرد له تجربة خاصة به معزولة عن الواقع المعاش هذا " **ويتوقف نجاحنا على معونة الطبيعة,الإحساس بكرامة الطبيعة الإنسانية , ديني بقدر ما هو الإحساس بالرهبة والإحترام، عندما يستند إلى الإحساس بأن الطبيعة الإنسانية جزء متعاون في كل أكبر** ".(291)

إن ديوي ينطلق من الواقع لتحقيق المثل الأعلى بموقف ديني,الذي يهدف إلى النجاح والنطور والإستمرارية في هذه الحياة , وليس الإنطلاق في مثل عليا نتقيد بها و نسير على ضوئها . فالإعتقاد المشترك في نظر ديوي هو:" **ممارسة عملية في الإبداع الثقافي,كما يعد نظرة شمولية للمجتمع من أجل النهوض والبناء في معترك الحياة ,وعد الإعتقاد بوصفه مسألة ولاء للمثاليات المسقطة خياليا في الخبرات المتمتع بها على نحو شائع ,وتصبح الألوهية وظيفة توحيد المثاليات مع بعضها البعض ومع الظروف الواقعية** "(292).

---

(290) يعقوب فام: «مذهب الذرائع أو البرجماتية»، مرجع سبق ذكره، ص148
(291) جيمس، وليام، بعض مشكلات الفلسفة، مصدر سبق ذكره، ص39
(292) ابراهيم،زكريا، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص46

المبحث الثالث: الإعتقاد والفلسفة والإعتقاد والعلوم عند وليام جيمس.

1-المطلب الأول: مشكلة الفلسفة :

لَ الفلسفة لدى**"و ليام جيمس"** ليست إشكالية مصطلح,ولا تقوم على تقسيمات نظرية بحتة من مثل مادي,مثالي,ذاتي,روحي,**بل هي ممارسة.ولوج إلى عمق الحياة و دواخلها , من خلال التجربة. الفلسفة تتحصل بطرق عدة.فهي مهد نظري نحصل عليه معرفيا بأحد أوجهه من قراءاتنا .ولكن ذلك لا يكفي,إذ أن القراءة في الأصل تفترض رؤية ذاتية للأمورهي الأساس الذي نبني عليه أفكارنا نسميه (الخبرة)**.(293) الخبرة التي تتبدى في شعورنا ,أوإحساسنا الداخلي بضرورة ذلك و الحاجة إليه مما يدفعنا إلى معرفة ما يحيط بنا,والذي هو بالأصل مستقل عنا كتكون طبيعاني.الفلسفة بما هي نتاج معرفي,إشكالية كبيرة,تكمن في قدرة هذه المعرفة على إثارتها.إن موضوعات من مثل ميتافيزيقا الأخلاق ,طبيعة ,تفكير ,أساسيات معاشة .وبالتالي في حالة جذب بين طرفين ,الإنسان بما هو شعور من جهة ,ووجود آخر متماهي و متعايش معه من جهة أخرى.ولكن الإنسان هو الأساس لدى جيمس , فإنه يطرح العلاقة الفلسفية دائما بما هي حقيقة فردية ترتبط بمجموع بشري كما وكيفا .يخلق حالة من المزاج وإن كنا نرتئي إطلاق إسم مناخ عام.(294) فالفلسفة لديه هي"تاريخ تصادم معين لأمزجة إنسانية ".وبالتالي فإنها تأخذ مشروعيتها من خلال كونها رؤية فردية , حقيقة خاصة لاعامة.ولكن كيف نخلق أونفترض وجود حقيقة عامة مقبولة,مع كون هذه الحقيقة في رؤيتها فردية ؟ينطلق **"جيمس"** من مقولة **"إنعدام المزاج العقلي المحدد"**(295),أوالرؤية المحددة للأمور.فخارج نطاق العقل التجريبي الواقعي تبقى الأمور التجريدية,الأكثر صعوبة وغموض في مسائل تكون ذلك المزاج. فالمرء الذي ينعدم لديه عدم القدرة على التحديد لمزاجه العقلي,يفقد القدرة على التجريد ,مما يدفعه إلى**"إتباع الطراز السائد".**(296)ولكن مايدفعنا إلى البحث عن المجردمن خلال الواقع التجريبي، هوقدرة الفلسفة على دفع المرء نحو رؤيةالأشياء،**" فالفلسفة في الأساس رؤية لما هو محاط بالإنسان".**(297) " إن العالم بما هو قائم خارج الذات ,والذات بما هي موجودة متحددة معرفيا كأداة فاعلة ,كلاهما الأساس الذي إستندت إليه الفلسفة في تمييزها بين ما هو مادي تجريبي ,وبين ما هو مثالي ذاتي .

---

(293)فرانز بيتر كونزمان :أطلس الفلسفةDTF، ت:جورج كتورة ،المكتبة الشرقية لبنان .ط2 ،2007، ص173
(294) غيوة فريدة:اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة ،دار الهدىعين مليلة الجزائر دط2002 ص104
(295) يعقوب فام: «مذهب الذرائع أو البرجماتية»، مرجع سبق ذكره، ص150
(296) ديلودال جيرار،الفلسفة الامريكية،ت،جورج كتورة والهام الشعراني ،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت،ط1 سنة2009 ص234-235
(297) المرجع نفسه ،ص236

تمييزا نابعا من حقيقة أن الإنسان هو الذي أنشأ هذا التمييز في الوقت الذي ندرك فيه أن ليس في وسع أي إمرء أن يعيش ساعة واحدة بدون كل الوقائع (التجريبية) والمبادىء (المثالية) .وبالتالي , فإن التمايز بين المادية و المثالية ليس "في مركز الإهتمام ".بل في "التبديل والتوفيق داخل الطبيعة الإنسانية .(298) "

إن هذا الفصل بين المادي التجريبي ,والمثالي العقلاني في تاريخ الفلسفة ,فصل لذوي الإختصاص والخبرة .ولكن , ماذا عن الإنسان العادي ؟ الإنسان العادي بعيد كل البعد عن هذا الفصل .فهو يعيش المادية والمثالية , التجريبية والعقلانية على حد سواء ,بما تفرضه عليه طبيعة

الحياة اليومية من وقائع .البعض منها يحله حلا تجريبيا ماديا لملموسيته .والبعض الآخر يحله حلا مثاليا عقلانيا لكونه لايحتاج إلى فاعلية تجريبية .وبالتالي,إن حل المشكلة بين المادي والمثالي ,بين العقلاني والتجريبي,تكمن في فهم المعادلة التالية:إن الإنسان ليس مديرا لطبيعته,ولاسانا لقوانينها. وإنما هو,متشرب ماص,مستوعب ,والطبيعة هي التي تقف راسخة ثابتة وطيدة ,وهو الذي يتعين عليه أن يكيف نفسه ويوفقها ,بشتى الطرق أو الوسائل ,سواء أكانت تجريبية ملموسة في الحياة

اليومية ,أوعقلانية مثالية تستند إلى المعرفة المسبقة للأموروالمتحصلة أساس للمشاهدة (299). النقطة الثانية التي قدمها **"جيمس"** على أنها إشكالية فلسفية هي , مستوى فهم الفلسفة الدينية وفق النمطين السابقين ,المثالي والمادي ,أوالتجريبي و العقلاني .فهي لديه معشر الناطقين بالإنجليزية ذات نمطين رئيسيين أحدهما أكثر تطرفا...والآخر أكثر قهقرة ورجوعا.(300) فالفلسفة الدينية بنظر جيمس تفتقر إلى أسلوب الفعل أو الحركة .فهي فلسفة توفيقية , تحاول إيجاد معادلة توافق بين كل الأطراف التي تقع بين معالم الصراع القائم بين التجريبية والعقلانية .بينما نستطيع برأي جيمس,أن ندفع هذا المفهوم إلى مدى أبعد متمثل في"الإطلاقية الدينية "خارج نطاق الفكر الفلسفي .

تلك الإطلاقية القائمة على "إن إله الكتاب الروبوبيين يعيش على مرتفعات مجردة صدفة تماما مثلما يعيش المطلق".عند ذلك نصل إلى الحقيقة التالية : (301)

1- العقلانية = التقنية –التصفية –التأمل –الإطلاق.

2-التجريبية = المادة الخام –التجربة –الفعل –التعددية. ولكن , أين **"جيمس"** من ذلك؟ إنه في التجريبية .

---

(298) حنفي حسن: مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية مصر دط ت ص439

(299) محمود، زكي نجيب، حياة الفكر في العالم الجديد، مرجع سبق ذكره، ص191

(300) موريس تشارلز:روادالفلسفة الامريكية ت: ابراهيم مصطفى ابراهيم،.مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية،مصر، دط 1996م.ص237

(301) محمود، زكي نجيب، حياة الفكر في العالم الجديد، مرجع سبق ذكره، ص192

إنَ العقلانية خاطئة في رؤيتها حيث نظرت إلى هذا الكون الهائل بين الحقائق الملموسة والمحسوسة,بكل ما فيها من ضروب القسوة والعنف,تخرجنا من صفات التقنية والتصفية ,على الرغم من مكانتها في الأشياء(302).الكون الحقيقي,إمكانية مفتوحة لشتى الإحتمالات,نتعرف عليها من خلال الحياة العملية للإنسان.حل هذه الإشكالية يكمن في البراجماتية كفلسفة بوسعها أن تشبع الطرفين وتعنى بهما.تقدم للطرفين الحل المرضي,دون أن تستغني عن مقولات مثل:العقلانية , التجريبية.إنهاعقلانية دينية إطلاقية ,وفي نفس الوقت تجريبية ذات صلة بالوقائع .

فالبراجماتية تعد محاولة تجديد في الفلسفة حاولت حل الصراع القائم بين الفلسفة العقلانية والفلسفة التجريبية والفلسفات الأخرى، حيث تعد البراجماتية محاولة للحفاظ على الفلسفة وتصفية الجو الفلسفي المعاصرمن المشاحنات والمجادلات التي تعدها(البراجماتية) مناقشات غير مجدية ولا توصل إلى حقيقة واضحة،فالمدرسة العقلانية مثلاً قالت ان العقل هوالمصدرالوحيد للمعرفة واحتارت في البحث عن المطلق والقوانين الثابتة، أما التجريبية فقد قالت بأن الحس هوالمصدر الرئيس للمعرفة، وبذلك فالصراع القائم بين هاتين المدرستين وغيرهما من المدارس الفلسفية الأخرى متعلق بالصراع حول ما هو كائن وليس بما سيكون، والحركة التوفيقية التي قامت بها البرجماتية لحل الصراع، هو نقل عملية التفكير إلى ما سيكون، أي البحث عن النتائج والآثار.

فالفلسفة البراجماتية هي فلسفة النتائج وهي وسط بين المدرستين «**فبوسعها ان تظل دينية كالمذاهب العقلية ولكنها في نفس الوقت مثل المذاهب التجريبية تستطيع ان تحتفظ بأخصب وأغنى صلة وثيقة بالحقائق والوقائع**» (303)،وكما كانت البراجماتية محاولة لحل الصراعات بين المدارس الفلسفية، فهي كذلك محاولة للتوفيق بين الجانب الروحي لدى الإنسان أي (الدين) وحب الإنسان لطلب المعرفة «**فإذا اثبتت الأفكار اللاهوتية ان لها قيمة في الحياة... فهي نافعة**»(304) ،والبراجماتية بهذا المعنى«هي فلسفة تجمع بين الأمرين، الولاء العلمي للحقائق، وبين اليقين القديم في القيم الإنسانية والتلقائية المحصلة سواء أكانت من النوع الديني أم الرومانتيكي»(305) في محاولة منها أن تبتعد بالفكر عن التجريد، وأن تحدث إرتباطاً وثيقاً بالعالم الواقعي، فالبرجماتية أصبحت بذلك محاولة للتجديد في الفلسفة وأصبح موضوعها الواقع والإنسان كباقي الفلسفات المعاصرة التي إنتقلت بالبحث من مشكلات الوجود إلى الإنسان وقضاياه وكيفية حل مشاكله.

---

(302) حنفي حسن: مقدمة في علم الإستغراب، مرجع سبق ذكره، ص440
(303) ابراهيم،زكريا، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص49
(304) جيمس، وليام: البراجماتية، مصدر سبق ذكره، ص51
(305) - المصدر نفسه، ص96.

فقد كان جل إهتمام البراجماتية «**منصباً على محاولة حل المشكلات التي تحدث في الحياة الإنسانية**»(306) وكيفية إيجاد حل لهذه المشكلات التي تنشأ عن تغييرات مستمرة في حياته (الإنسان)«**فالمشكلات التي يجب ان تعنى بها أي فلسفة تصلح لوقتنا الحاضر هي تلك المشكلات التي تنشأ عن التغيرات الحاصلة بين ظهرانينا بسرعة كبيرة متزايدة في نطاق جغرافي إنساني يتسع بإستمرار يؤثر فينا تأثيراً عميقاً يزداد شدة وتغلغلاً في صميم أحوالنا**»(307) فقد أصبحت المعالجة البراجماتية تبدأ من نقد الفلسفة من داخلها وإحيائها وإظهارها بثوب جديد يليق ومقتضيات الفكر المعاصر الذي يهدف إلى أن لاتكون الفلسفة معزولة عن الإنسان بل أن تقبل «**مقولات الحياة بوصفها مقولات اساسية**»(308).

* **نقد البراجماتية للميتافيزيقا:** (309) لما كانت البراجماتية هي البحث عن نتائج وتتبع آثار أية فكرة ومدى صلاحية هذه الفكرة عند الإنسان، أي فائدتها العملية، فكان من الطبيعي إذن ان يكون مجالها هو الحياة وألا يخرج عن إطار الحياة الإنسانية وان تبتعد عن البحث في مجال الميتافيزيقا، ذلك ان الأخيرة تعتمد على أفكار مجردة ليس لها ما يطابقها في دنيا الواقع، فأفكار مثل «**العالم واحد أو متعدد، مادي أو روحاني، مسير أم مخير، هذه كلها أفكار قد يكون أو لا يكون فيها خير العالم.. فإذا لم يكن ثمة فرق عملي يمكن تتبعه بالإبدال، اذاً يعني من الوجهة العملية نفس الشيء، ومن ثم، فإن أي نزاع أو خصام بشأنها نزاع تافه معدوم الجدوى.**» (310)

فيرى (**بيرس**) ان «**طرائق الميتافيزيقيين في الاستنباط تصطنع على أساس فروض من عندهم ويصلون به إلى براهين يصفونها بالصواب القطعي الذي لا يتعرض للتعديل على ضوء ما قد تكشف عنه البحوث العلمية**»(311) فيما بعد وبذلك تكون الفلسفة البراجماتية ضد الأنساق الميتافيزيقية التي تبدو ركائزها قانون ثابت لا يقبل التغير. **فالبراجماتية تدعو إلى الإعتقاد بفكرة وإخضاع هذه الفكرة إلى التجربة وما تقدمه هذه الفكرة من فائدة عملية،وتكون إذاً دعوة إلى تطبيق علمي للأفكار الفلسفية المطروحة**،(312) وقد كان للآراء البراجماتية دور مهم وصلت إليه التكنولوجيا الأمريكية في يومنا هذا يفوق ما كانت عليه في بدء تكوينها.

---

(306)- جيمس، وليام: البراجماتية، مصدر سبق ذكره،ص35.
(307) ديوي، جون: تجديد الفلسفة، ترجمة: امير مرسي قنديل، دار النهضة العربية، القاهرة، ص41.
(308) المصدر نفسه، ص32
(309). Perry, Ralph Barton: Present Philosophical Tendences, Longman's, Grren And Co. London. New York. Tornto, 1929, P.197

(310) بيرس ليس ضد القضايا التأملية التي تعتقد انها قضايا ميتافيزيقية.
(311)جيمس، وليام: البراجماتية، مصدر سبق ذكره، ص63-64.
(312)محمود، زكي نجيب: من زاوية الفلسفة، دار الشروق، بيروت، 1979

2- المطلب الثاني: الإعتقاد والعلوم عند وليم جيمس

***- الإعتقاد وعلم النفس:**

أراد "**وليام جيمس** "في كتابه مبادىء علم النفس **"Principales of psychology"** أن يقدم علم النفس متقدم بإعتباره علما تجريبيا ,وحاول أن يتجنب بقوة كتابات أساسية معينة تنسب إليه كفيلسوف وصادر ببساطة أو إفترض في هذا الكتاب دون مناقشة **وجود عالم العقل و الأفكار Thought و الشعور Feelings و عالم الأشياء الخارجة عن الذهن ,و أن تلك العقول تعرف مثل هذه الأشياء الخارجة عن الذهن , وقد قبل جيمس هذه "الثنائية المنهجية Methodological dualism" من أجل علم النفس ثم من أجل إقامة نظرية عامة عن وجود وقائع نفسية أو ذهنية معينة بصفة جوهرية.** (313) وقد لاحظنا من قبل ,عند مناقشة تصور الفيلسوف البراجماتي للخبرة أن جيمس كفيلسوف تعدى هذا الموقف الثنائي الذي إفترضه بصورة مؤقتة في "مبادىء علم النفس" و لم يعد يفكر في المحتويات التي تم إختبارها كموجود في الطبيعة النفسية أو الذهنية .وعلى سبيل المثال , فاللون البني الذي يمكن أن يعتبر "فيزيقيا" إذا نظرنا إليه في علاقته بالمكتب ,إذا كان هذا هو لونه و"ذهنيا" إذا نظرنا إليه في علاقته بالسيرة الذاتية لشخص ينظر إلى المكتب البني .وبهذا يصبح اللون البني لاذهنيا و لافيزيقيا , وقد أخذ جيمس خطوة ثانية حاسمة عندما برهن على أن التفكير في شيء ما (الشعور بمعنى يشعر بـ) ليس نوعا خاصا أيضا من الوجود أو الكيان **Entity** أوالمادة الخام **Stuff** (أطلق برتراند راسل في كتابه تحليل العقل و تحليل المادة على المادة لفظ المادة المحايدة **Neutral** و هي التي تدخل في تركيب نسيج العالم بشقيه المادي و المعنوي.) – ولكنها مسألة وظيفية لبند واحد في الخبرة المقدمة كبديل لوظيفة أخرى و ذلك عن طريق توجيه التصرف (السلوك) و هذا في مقابل البديل .ولم يستفد جيمس ذاته كثيرا من مصطلحات العلامات **(المصطلحات السيميائية Semiotic terminology),** ولكن ليس من العدل أن نقول في هذا التحليل أن الشعور بمعنى الشعور بشيء ما هو توظيف العلامات وأن أي شيء يمكن أن يوظف كعلامة ،"فالعقل بهذا المعنى هو عملية العلامة **Sign process**". وهذا الجانب في فكر"**جيمس"** أمكن تصوره من قبل في فصل التصوروماصاغه جيمس في مبادىء علم النفس صاغه بوضوح في مقالة عالم 1904 بعنوان:هل الشعور موجود ؟ **Does Consciousnes exist ?** وكانت إجابة جيمس على هذا السؤال قاطعة "لا" الشعور (كفكر) ليس نوعا من الوعي الخالص:"**إن الأفكار في الواقع مصنوعة من نفس مادة الأشياء ؛فالتمييز بين الفكر والشيء , بين العارف والمعروف هو تمييز وظيفي**

---

(313)James William: The Principles of Psychology (2) volumes; London: Macmillan and Co., ca.(1891)p120

ينشأ من الخبرة وإذا سمينا الشيء الموجود في الخبرة "مدرك حسيA percept "(314)إذن فإن التصور هو مدرك حسي بديل لمدركات حسية أخرى تقوم بتوجيه السلوك إليها ,التي "تعنيها". وعندما يتم الحصول على هذا الموقف الوظيفي فإننا نقول في هذا التحليل أن لدينا شيء "في العقل" .**فالشعور يدل على نوع العلاقة الخارجية , ولا يدل على مادة بعينها أو وسيلة لمعرفة الوجود "**(315) وقد كتب **بيرس لجيمس** معلقا على مقال "هل الشعور موجود ؟" في نفس شهر ظهوره .ومن الواضح أن بيرس لم يفهم ما كان يهدف إليه جيمس و كتب إليه يقول :"إن بحثك هذا أصابني بالإرتباك منذ بدايته وسيظل (المقال) أمامي حتى أكتشف ماذا تهدف من ورائه . " ورد عليه جيمس بخطاب ذكر فيه أنه يهدف إلى إقامة نظرية مؤداها أن الشعور يعني "المبدأ الأساسي لكل خبرة أو كما تبدو في بعض الوظائف أو العلاقات بين أجزاء معينة من الخبرة " .

وقد عبر **"جيمس"** في تحليله للشعور ووظيفته و العلاقة بينهما ,عن نظرية مغايرة لنظرية بيرس والتي تفيد أن الذهن علامة مطلقة تعبر عن الواقع ولن يؤدي موقف جيمس إلى كزمولوجيا ذات نزعة مثالية موضوعية و كان من المفهوم من الوجهة الإنسانية لماذا لم يفهم بيرس إلى ما يهدف جيمس بدور العلاقة و الوظيفة في تحليله للشعور إن هذا الإختلاف إلهام لا يجب أن يقف حجر عثرة أمام حقيقة مؤداها أن **جيمس** و **بيرس** إتفقا في إعتبار العقل ("كالتفكير في "أو "الشعور ب") كعملية للعلامة أو الرمز .وإن الإختلاف بينهما يكمن في البعد الكوني الذي أعطاه كل منهما للعمليات الخاصة بالعلامة . إن العالم الذي يقع تحت خبرتي ليس هو هذا العالم في كليته موضوعا بالصدق أو المعرفة , ونحن متأكدون من أن جيمس تحدث عن الخبرة المباشرة على أنها "إدراك مباشر" و لكن الفرق بين الخبرة المباشرة لشيء ما ومعرفته تبرهن على أنه فرق كبير ,حتى أن البراجماتيين عادة ما يحددون المعرفة و الصدق بفروض مكتوبة بطريقة الرموز "عن" شيء ما , إذا فالصدق و المعرفة خاصيتين (من خواص الأفكار أو الرموز) , أي خواص هذه ؟ إنه من المفيد أن نبدأ مع جيمس بالإجابة على هذا السؤال طالما أنه توجهه لايكون بإستخدام تعبيرات مباشرة من نظرية البحث كتلك الخاصة بالبراجماتيين الآخرين . كان **"جيمس"**صريحا في قوله :"**أن القضية البراجماتية يجب أن تطبق في مجال تحديد معنى الصدق". (316)**

---

(314) جيمس، وليام، بعض مشكلات الفلسفة، مصدر سبق ذكره،ص60
(315) جيمس، وليام: البراجماتية، مصدر سبق ذكره، ص71
(316)جيمس، وليام، بعض مشكلات الفلسفة، مصدر سبق ذكره، ص36

ولنتذكر أن "**جيمس**" فسر هذه القضية بطريقة الفصل أو الجمع المنطقي بين الظواهر ,كما يوجد إما في العبارة "الإحساسات التي نتوقعها" أو"ردود الفعل التي يجب أن نستعد لها" .وقد كنا نتوقع هذا الفرق لكي نبينه في نظرياته عن الصدق و قد بدأ بالإعتراف بأن الفكرة الصادقة تتفق أو تتطابق (تتناظر) مع الواقع ويصبح السؤال عندئذ عما يعنيه بكلمتي "يتفق" أو"يتطابق" إذا كانت القضية البرجماتية في المعنى أصبحت مقبولة .

ثم إعترف "**جيمس**" بعد ذلك أنه إذا كانت العلامة نسخة من الصورة ,فإن صورة نظرية الصدق تصبح مفهومة .ولكن ليس كل العلامات صور,وإذا كان المفسر المنطقي صورة كما قال بيرس عادة إذن فكيف يمكن أن تتفق العادة أو تتطابق مع أي شيء آخر ؟

لقد فكر "**جيمس**" في إستخدام عدة طرق لكي يعبر بها عن مفهوم الصدق **(Truth)** ووجد أن النموذج الأصلي لعملية الصدق هو المبدأ الموجه منطقيا أو تصوريا نحو الفكرة و إلى ما يمكن أن (يتم) "التحقق" منه تحققا كاملا وببساطة وعلى سبيل المثال , فإن الإحساسات (التأثيرات الحسية) تجعل الإنسان يتوقع ما يحدث بالفعل .وخلاف ذلك يكون بالإمكان تحقيق المبدأ الموجه منطقيا أوصوريا بصورة جزئية وليس بصورة (كلية) كاملة ,ولكن التطابق (التناظر) مع الوجه الثاني لعبارة جيمس عن القضية البراغماتية.يبدو في نصوص،تفترض أن فكرة ما تكون صادقة ،إذا كانت تمثل ردود الأفعال،التي تشير إلى أننا يجب أن نستعد لها. وثبت أنها مناسبة لإستمرارمجريات الفعل الذي إرتبطنا به,والعبارة التالية تبين وجهة نظريته معا:"**أن يتفق" مع الواقع بمعناه الواسع يمكن أن تعني فقط أن يتم الإرشاد إلى الواقع إما مباشرة أو إلى ما حوله , أوأن يوضع الواقع في مجال العمل المرتبط به إما لكي يتناوله أو(يتناول) شيئا ما يتصل به(وهذا) أفضل من عدم إتفاقنا و من الأفضل إما ان يكون "ذهنيا أوعمليا".**(317)

وعندما ذكر" **جيمس**"أن الموضوع الصادق هو تلك الفكرة"التي تعطي أقصى حد للإقتناع (أو الشعور بالرضا) ." وقد شمل الموضوع الصادق بوضوح كل من حدوث التنبؤ"تأثيرات حسية **Sensible effects**"والشعوربالإقتناع أوالرضا(إزاء)ردود الأفعال التي يجب أن نستعد لها بسبب(وجود) الفكرة.إذن فإنه من دواعي السخرية أن نقول عن لسان"**جيمس**":**أن أية فكرة بالنسبة إليه تمنحنا الشعور بالإقتناع فهي صادقة .ثم عرض علينا الصعوبات التي تواجه مفهوم الصدق نذكرأنها أحيانا ما تأتي في الحقيقة،"بالإحساسات المتوقعة" بينما في أوقات أخرى يبدو أن هناك شعور بالرضا بهذا الإقتناع Satisfactoriness خاصة تجاه،**

---

(317) جيمس، وليام، بعض مشكلات الفلسفة، مصدر سبق ذكره، ص37

ردود الفعل التي تمنحه لنا الفكرة ,وهذا إستطاع أن يكتب أنه "على ضوء المبادىء البراغماتية فإننا لا نستطيع أن نرفض أية فروض إذا كانت النتائج نافعة للحياة التي تنبع منها"(318).وهناك مبدأ أساسي واضح (تسبب في هذا الخلط) ,وهو أن التأكيد على الصدق كأفكار قابلة للتحقيق يضع "الإحساسات المتوقعة" في جانب تفسيره للقضية , بينما ينمو تأكيده على الصدق كأفكار مقنعة في بعض الأحيان إلى أن تعكس النتائج النافعة للحياة , وذلك عندما حاول تفسير هذه القضية وهكذا , فإن التأكيدين الواردين بشأن نظرية جيمس في الصدق يعكسان وجهتي نظريته في المعنى .

وقد حاول **"ديوي"** أن يحل مشكلة هذا الخلط لدى **جيمس** و ذلك بالتأكيد المستمر الذي نجده في البحث التاريخي الهام الذي نشره بعنوان "ماذا تعني البراجماتية بلفظ العملي ؟ **pragmmatism ? What does mean by practical "**(319) ناقش فيه ديوي معالجة جيمس لنظرية الصدق و ذكر أنه يوجد "خلط في إختبار فكرة ما كفكرة خاصة تلك المتعلقة بقيمة إعتقادي كإعتقاد",و أعلن أنه لا يوجد إقتناع لا يعد جزءا من الفكرة وله صلة بإمكان التحقق من صدقه.

وإعترف **"جيمس"** بنفس الموضوع في خطاب له عام 1907 إلى آرثر لفجوي **Arthur Lovejoy** (إستجابة لنقد مشابه للفجوي) كتب أنه أخطأ في خلطه بين نتائج الأفكارالصادقة القائمة بذاتها وبين نتائج الأفكار حتى تلك التي نعتقد فيها.إن هذا الإعتراض الذي صدرعن **"جيمس"**كما يبدو إعترافا هاما,ولا يستطيع إزالة آثار كتاباته المبكرة عن الصدق,ولا أن يمنع غالبا الخلافات الحادة التي نشأت بينه و بين نقاده ومناصريه معا.ولكن الكتابات التي تحتويها دقيقة للغاية والموقف الذي أثاره **"جيمس"** له على الأقل ميزة إصدار كتابات هامة كثيرعن علم العلامات **Semiotic** ونظرية البحث**The theory of Inquiry** مثل الشروط التي على أساسها تكون "العلامات مقبولة " وعلاقة المعنى بالقيم و صفات العلامات الأخلاقية والدينية .

ولم يكن لدى **"جيمس"** نظرية في العلامات متطورة تطورا كافيا ,تسمح له بالتحدث بوضوح في هذه الموضوعات وهكذا فإن أخطار الخلط بين المعنى والغزى أو الدال (وهو الجانب المرئي أو المسموع من العلاقة) و"المدلول"(وهو الجانب المجرد وغير الملموس للعلاقة),والصدق كقيمة ثم قيمة الصدق.ولكن كتاباته ساعدت على أن تفرض على مثل هذه الكتابات الوضوح ,ولم يكن ممكنا بعد **"جيمس"** أن نقول بوعي صحيح وببساطة أن الفكرة الصادقة "تتطابق"(تتناظر) مع الوقائع.

---

(318) ديوي،جون: نمو البراجماتية، مقال من كتاب فلسفة القرن العشرين، تأليف رونز واجبورت، ترجمة:عثمان نوية، دار الكتاب العربي، القاهرة مصر. د ط ،ت. ص101

(319)المرجع نفسه ،ص102

الفصل الرابع
الإعتقاد ومستقبل الحقيقة.

المبحث الاول: عن الإعتقاد والمجتمع والإعتقاد والسياسة.

1-المطلب الأول: عن الإعتقاد والمجتمع.

2-المطلب الثاني: عن الإعتقاد والسياسة.

المبحث الثاني:الآثار النظرية والعملية للإعتقاد والحقيقة.

1-المطلب الأول: الفكر البرجماتي والفلسفة العملية.

2-المطلب الثاني: الفكر البرجماتي وتجاهل الفلسفة النظرية.

المبحث الثالث: نظريات الإعتقاد والحقيقة بين جيمس ورموز البراجماتية.

1-المطلب الأول: نظرية الإعتقاد والحقيقة عند "تشارلز بيرس".

2-المطلب الثاني: نظرية الإعتقاد والحقيقة عند "جون ديوي".

3-المطلب الثالث: نظرية الإعتقاد والحقيقة عند "ريشارد رورتي".

4-المطلب الرابع: نظرية الإعتقاد والحقيقة عند "وليام جيمس".

الفصل الرابع: الإعتقاد ومستقبل الحقيقة.

تمهيد :

كان لثراء وغنى حياة **"وليام جيمس"** أثر في نظرته العملية الإيجابية للحياة وإعتبارها جديرة بالمعيشة. فهو يرى أن على كل شخص أن يستخدم عقيدته كأداة تساهم في صنع الحقيقة، لكي يتلمس تلك الحقيقة مع بدء كل يوم جديد. إن قيمة أي فكرة تعتمد على ما تقدمه من منفعة للشخص، ولذلك حذر من المبالغة في العقيدة، كما حذر من تبخيس قيمتها .معتبراً أن مسؤولية الفرد هي تجنب مخاطر مايترتب على ذلك. إن حياة الانسان اليومية هي موضوع وليم جيمس الأثير عبر خبراته الملونة بين الفن والفلسفة وعلم النفس. ورؤيته في تعريف الحكمة والمنفعة، لها من الأهمية اليوم ما كان لها قبل قرن من الزمن فماهي علاقة الإعتقاد بالمجتمع وقضاياه وعلاقة الإعتقاد بالسياسة.؟ ماهي الآثار النظرية والعملية للإعتقاد والحقيقة.؟

المبحث الأول: عن الإعتقاد والمجتمع والإعتقاد والسياسة.

1- المطلب الأول: عن الإعتقاد والمجتمع:

يعتبر **"وليام جيمس"** فيلسوفا إجتماعيا بالدرجة الأولى ،على الرغم من نزعته الفردية ،بل يرى **"رويس"**(320)أنه الفيلسوف الوحيد المعبر عن روح المجتمع الأمريكي ،على الرغم من عدم إيمانه بالفكر المثالي.كانت المشكلة الرئيسية في المجتمع الأمريكي تتمثل في تعدد الهجرات إليه وتنوع مصادرهاوكثرة الجنسيات المختلفة الأصول،فكان لكل مجموعة من المواطنين مجموعة من التقاليد والعادات المختلفة والتنوعة التي تجعل من الصعب صهر كل هذه الهجرات الوافدة في بوتقة واحدة.فبراجماتية **"جيمس" ترى أن الهدف الحقيقي للحياة الإنسانية أن يحيا الإنسان بصورة أفضل.ويعدالبحث عن الحقيقة والوصول اليها الشرط الضروري لتحقيق هذه الحياة الأفضل.** (321) والعالم خاضع لإرادة الإنسان،والحقيقة والإعتقاد والواقع من صنعه. وبالتالي بات المستقبل أمام الجماعات المختلفة مفتوحا يسمح لكل فرد أن يحقق ذاته،فالوقع تجربة إنسانية.فالإنسان ينظر إليه حسب عمله ونتائجه وليس حسب أصله والطبقة التي ينتمي اليها .

---

(320)*رويس جوزايا :فيلسوف أمريكي معاصر، ولد عام 1855 وتوفي عام 1916، من الهيجليين الجدد، ومن ممثلي المثالية المطلقة، من أهم مؤلفاته: الجانب الديني للفلسفة نشره عام 1885، وروح الفلسفة الحديثة نشره عام 1889، والعالم والفرد نشره عام 1901، وفلسفة الولاء (الكتاب الذي بين يدينا) نشره عام 1908، ومشكلة المسيحية نشره عام 1913. يعتقد أن العالم لا يتحقق له وجود إلا بمقدار ما تستطيع الكائنات ذوات العقول العلم بوجوده، وإذا كانت النفس الفردية تعرف من الحقيقة ما يجاوز حدودها، فذلك لأنها جزء من العقل الكوني. والعلم قاصر؛ لأنه مقتصر على الجانب الوصفي من الأشياء، أما وقع الأشياء على الذات المدركة، الذي هو سابق على الجانب الوصفي، فلا يمسه العلم. ينبغي للعالم أن يسلك وفق مبدأ خلقي. وواجب الإنسان أن يخلص الولاء للمجموعة الكبرى التي هو جزء منها.

(321)جيمس، وليام: معنى الحقيقة، مصدر سبق ذكره، ص12

وإذا كان صدق الفكرة يرتبط بنفعها والقدرة على تنفيذها ،فليس هناك قيمة لإي أفكار أو معتقدات إلاحسب نتائجها ونفعها.بهذاالمعيارلقيمة الإنسان ولمعاني الأفكارتستطيع الجنسيات المختلفة أن تتوحد وتتحتل مكانتها في المجتمع.كذلك الصدق يرتبط بالرضا النفسي والقبول، وفكرة الإيمان بالله تحقق الراحة النفسية والإطمئنان،بالتالي تعد فكرة صادقة،فإن هذا المعيار لصدقها يحقق التوافق بين العقائد الدينية المختلفة التي كانت سائدة في المجتمع الأمريكي ،وحقق حرية العقيدة والتوفيق بين التصورات المختلفة لفكرة الألوهية.

وقد أصبحت الحقيقة مع الفلسفة البراجماتية حقيقة مرتبطة بقيم العصر كالمنفعة،العمل والمردودية والإلتصاق بالواقع الإجتماعي والإقتصادي والسياسي ،وبناءا على ذلك يشيد **"وليام جيمس" بالقول إن حرية الفرد رهن بفهم قوانين حرية هذا الواقع لإختيارالمستقبل,مستقبل الفرد الذي هومكون إجتماعي.ذلك أن المجتمع ليس حقيقة واقعية ,بل فكرة ميتافيزيقية إلا إذا إقترنت بمشاعرنا وإنفعالاتنا** .(322)

والحقيقة الواقعة تعني ببساطة علاقة بحياتنا الإنفعالية النشطة .هذا هو المعنى الوحيد للكلمة على لسان الرجال العمليين.وبالتالي فإن أي شيء يثير ويحفز إهتمامنا هو شيء واقعي .وحينما نجد شيئا يشدنا إليه بحيث نلتفت إليه ونملأ عقولنا به أو نضعه في إعتبارنا عمليا فإنه يظل واقعيا بالنسبة لنا ,ونعتقد فيه,وعلى العكس حينما نغفله ونسقطه من حسابنا أولا نسلك إستنادا إليه ونزدريه ونرفضه وننساه , فهو غير واقعي و ننكره. ويسوق لنا تاريخ الفكر في أمريكا عشرات الأمثلة لمفكرين في مجالات الفلسفة وعلم النفس والقانون والإقتصاد وغيرها ,تؤكد هذا المزاج ,إن جاز لنا أن نعتبر الفكر مزاجا أو رؤية مزاجية حسب التقليد البراجماتي .

---

(322) **ديف روبنسن و جودي بروفر : أقدم لك الفلسفة , ترجمة إمام عبد الفتاح إمام , صادر عن المجلس الأعلى للثقافة, مصر , بتاريخ 2001.ص 114**

إذ قبل **"وليام جيمس"** قال شونسي رايت :"**إن الداروينية ليست منهجا عاما للتطور, ولكنها تطبيق متميز لمذهب المنفعة على مشكلات البقاء البيولوجي حيث البقاء للأقوى,وحيث القوة تصنع الحق فالصراع هو الأساس."**(323) ولاتحدثني عن واقع موضوعي له قوانينه ,أوعن مجمتع تحكم حركته المنظمة قواعد أو قوانين.ولا تحدثني عن عقل يفكر و يعي حركة هذا الواقع ويلتزم بها , و يعي حاضره ,ويستشرف مستقبله ويدعم علاقاته الإجتماعية المتبادلة ويستوعب التاريخ وفقا لهذا الفهم النظري للواقع,إذلا واقع بهذا المعنى.

ويعبرعن ذلك بقوله:الريح تهب ما يحلو لها وتسمع صغيرها,ولكننا لا نعرف من أين وإلى أين؟ وظواهر الطبيعة ومن ثم ظواهر المجتمع ,هي حالة من التباين والتشوش اللانهائي ,ولا سبيل إلى كشف الإنتظام بينها أو معرفة وجهتها , أو الكشف عن علل وقوانين لها ولذلك نحن أسرى للايقين في العلم و المجتمع.

وصفوة القول**:**أن ليس للإنسان أن يأمل في نظرية تكون هاديا ومرشدا له في العمل.أم الأخلاق والدين فهي أمورعملية,ولهذا رفض الإلزام الخلقي كما رفض القول بقواعد عامة أخلاقية للسلوك، والمعيارهو المنفعة التي تظاهرها قوة قتصنع من المصلحة حقا يفرض نفسه ،وفي ضوء هذا النهج,**لا يجوز لنا,في نظر البراجماتية التحاور بشأن حقوق الإنسان مثلا ،كالمبادىء العامة التي تلتزم بها المجتمعات والمحافل الدولية .وإذا شئت أن تتحدث عن الحرية،فحدثني عن حريتي أنا وعن من يعنيني أمره لأنه نافع لي ,ودع عنك كل ماعدا ذلك من أحاديث عن حرية وحقوق الآخرين أفرادا وشعوبا فإنها لا تعنيني طالما و أنها لا تفيدنا ولا ترغمني قسرا بل قل أنها غير واقعية وغير موجودة,إنها خيالات ميتافيزيقية حتى وإن سمعت أوقرأت عنها.**(324) فإن مجرد الظهور كموضوع ليس كافيا لكي يجعل هذا الظهور للموضوع حقيقة واقعة .فمثل هذه الحقيقة قد تكون حقيقة ميتافيزيقية , حقيقة بالنسبة للرب.

---

(323) ديف روبنسن و جودي بروفر : أقدم لك الفلسفة , مرجع سبق ذكره، ص111.

(324) لويس جون :مدخل الى الفلسفة ترجمة أنور عبد الملك ،دار الحقيقة للطباعة والنشر بيروت ط3 1978 .ص 193

ولكن ما نحتاج إليه هو حقيقة نافعة ,حقيقة لأنفسنا أي نافعة ,أما العوالم التي لا تبدو موضوعاتها هامة لنا ولا نافعة فإننا نعاملها معاملة سلبية و نصفها بأنها غير حقيقية .وهكذا فليس من الخطأ في شيء حسب رأي البراجماتية أن تسد الإدارة الأمريكية آذانها عن سماع مناشدات الحكومات والشعوب لمنح السود حريتهم و حقوقهم كاملة أو الإعتراف بحق شعب فلسطين في تقرير مصيره وإقامة دولته إلا إذا كشفت حسابات المكسب والخسارة .إن المصلحة تقضي بغير ما هو قائم ولكن ماذا لو طالب السود الأمريكيون بحقهم كاملا في الحرية والمساواة ؟ أو لو طالب العاطلون بحق تغيير المجتمع ؟ أولو طالب شعب ناميبيا بحقه في دولة مستقلة ؟ ...إلخ يمكن للسلطة التي تتعارض هذه الخاصية وهي بالفعل كل هذا مادة قابلة للإشتعال .....

لَ الأخطر من ذلك أننا إذا سلمنا بواقع المجتمع وتصادم مصالحه ,فسوف تتصادم الحريات, وتكون كل ذات حرة في كبت حرية معارضيها , وتكون حرية صاحب السطوة والسلطان , أو جهاز البطش,ذات قيمة إستعمالية صائبة وواقعية وناجحة ...وهو ما ينتهي بنا إلى شعار : **"البقاء للأقوى."**إنني لا أستطيع أن أتحدث عن حرية الشعوب أو حرية الفكر والإبداع في ترابط مع مصالح المجتمع و حركته المستقبلية و إنما أتحدث عن حريتي أنا ,أو حرية إستثمار أموالي دون إعتبار لمصلحة المجتمع أومصالح الآخرين وهذه النظرة مصداق لرأي **"أوليفر وندل هولمز"** : **"الحق يمتلكه الشعب القادر على قهر الشعوب الأخرى."**(325)

إن الخير والصواب في نظر البراجماتية أن تسلك الذات وفق رؤيتها للواقع الذي هو مرة أخرى أحاسيسها ومشاعرها الذاتية التي تنطوي على حب أو كره ,أي وفق مصالحها , بل الواقع علاقة بحياتنا الإنفعالية ولا شيء أكثر.فالموضوعات وأفكار الذات عن هذه الموضوعات هي منطلق سلوكنا ,ولكن اللذات والآلام الناتجة عن السلوك تعدل مسار السلوك وتنظمه وأخيرا فإن أفكارنا عن اللذات والآلام تكتسب هي ذاتها قوة حفز أوكف .

---

(325) موريس تشارلز:"روادالفلسفة الامريكية" ،مرجع سبق ذكره،ص63

والقول بأن الحرية الفردية قيمة إجتماعية لها رصيدها في الواقع الإجتماعي , ولها مدلولها التاريخي و محتواها الذي يشكل دعامة في بناء الحاضر إنما هو في نظر جيمس و من سار على دربه نوع من اللغو أو هو قول أشبه بالوعظ الديني لإلهاء العامة .ذلك لأن الأحكام القيمية عنده لا علاقة لها بالمطابقة مع الواقع , بمعنى أنها مقطوعة الصلة بأي صفات قيمية موضوعية و إنما أحكام القيمة أو القيم بعامة ترتكز على أساس مبدأ المنفعة لجماعة أو فئة معينة في ضوء إقتناعات محددة. ولنا أن نسأل : هل الحرية الفردية لأبناء شعب فلسطين قيمة جديرة بأن نقرها و أن ندعمها في المحافل الدولية ؟ الحكم هنا ليس رهنا بالحقوق والوثائق ووقائع التاريخ ,بل رهان بالمنفعة. ومن ثم و في ضوء هذا النهج البراجماتي إذا رأت إسرائيل بإعتبارها جماعة أو فئة أو دولة أن منفعتها ومصلحتها في إنكار هذه القيمة فإن ما تقوله حق وصواب وخير معا ؟ مصالحها وحرياتها مع مصالح وحريات هؤلاء أوأولئك ,إذا ما آثرت الأسلوب السلمي أولا إلى تكوين عادات سلوكية لدى السود أوالعمال العاطلين من شأنها ؟أن تغرس أفكارا في أذهانهم تؤكد لهم وهما أو واقعا بالمعنى البراجماتي , أن وضعهم هذاهو الممكن الوحيد أو أن معارضته ستسبب لهم آلاما , وتجر عليهم المصائب والمتاعب ,وإن من الخير , و من المريح , و"عين العقل " قبول الأمر الواقع وإيثارالسلامة.

وهوما يذكرنا بأسلوب تكوين العادات السلوكية التي حدثنا عنه **"بيرس"** و قام **"وليام جيمس"** بتطويره ودعمه سيكولوجيا وفلسفيا في كتابه "مبادىء علم النفس" حيث طابق بين الإنسان والحيوان، وأوضح أن هذا وذاك ليس إلا مجموعة أوحزمة من العادات ."**الكائن الحي حزمة من العادات,فالسلوك اليومي للحيوان يبدو وكأنه ضرورة مغروسة فيه منذ ميلاده.وعند الحيوانات الأليفة وعند الإنسان بخاصة,يأتي هذا السلوك نتيجة التعلم.و العادات التي تكون ثمة مثيل فطري نحوها تسمى غرائز ,أما البعض منها , والذي يرجع إلى التعلم فيسمى "أفعال عقل"**.(326) فالأفعال العقلية هي رد فعل أو إستجابة ميكانية في ضوء العادات السلوكية المختزنة على أساس الثواب و العقاب .وتمارس الذات حريتها في تعديل السلوك , أو هكذا يعدل الناس سلوكها من حين إلى آخر في ضوء حساب المكسب والخسارة دون إلتزام بالمبادىء الخاصة المشتركة ".

---

(326) موريس تشارلز:"روادالفلسفة الامريكية" ،مرجع سبق ذكره،.ص86

فالعادة هي الدفة الموازنة للمجتمع وهي أثمن عامل يحافظ عليه ,إنها وحدها هي التي تبقي على كل منا في حدود خصائص قومه , وتنقض أبناء الثراء والحظ من إنتفاضات الفقراء الحاقدة وتحافظ على الشرائح الإجتماعية كما هي دون أن تمتزج ببعضها والسؤال الآن كيف نكون العادة لدى الكافة أو الشعوب حفاظا على الوضع القائم الذي ترضى به السلطة وحماية لأبناء الثراء والحظ كما يقول **"جيمس"** من إنتفاضات الفقراء الحاقدة ؟ الإجابة على ذلك تلخصها عبارة شائعة ترددها الألسن وهي سياسة الردع على الصعيدين المحلي و العالمي و هي السياسة التي عرض بيرس عناصرها في منهج السلطة وقدم جيمس التبرير الفلسفي لها ثم جاءت المدرسة السلوكية في علم النفس لتضع أسسها التجريبية على الحيوانات وأضحى الناس في صورة حيوانات التجارب وأبرز أعلام هذه المدرسة فيما يختص في تطبيق أسسها النظرية على المجتمع والوصول بها إلى غاياتها , هو العالم الأمريكي "سكين"(327) .الإنسان: "الفرد- المجتمع"، معاً في التاريخ، على علاقة تضايف وإنتاج متبادل، لا ينفي وجود أحدهما وجود الآخر، فصغر أو تضخم الذات الفردية ينتج مجتمعاً مفوتاً، والمجتمع المفوت ينتج رعايا مسلوبي الإرادة والحرية. الحرية التي لايمكن فهمها إلا كمطلب إنساني تاريخي، وكقيمة معرفية (إبستمولوجية)، ووجودية (أنطولوجية)، لأجل إنتاج إبداعي، فكلما تحرر الإنسان من العبودية، كان أكثر إبداعاً، وفاعلية لتحقيق شرطه الإنساني. الحرية، جهاد العقل، وشرط للتفكير، وإنتاج للمعرفة والثقافة، وتحصيل التقدم الإنساني؛ فالإنسان" الفرد- المجتمع " قيمته بما يحقق من الحرية.تكتسب هذه الحرية "قيمتها المعرفية"، من كونها حقاً إنسانياً؛ ولأن المعرفة تحرر الإنسان وتعتقه.

---

(327)لالاند(أندرية) : الموسوعة الفلسفية ، ، ط-2-مرجع سبق ذكره. ص1127

2- المطلب الثاني: عن الإعتقاد والسياسة:

انَ الفلسفة البراجماتية بزعامة **"وليام جيمس"** تمتاز بأنها فلسفة شكلت الحياة في أكبر دول العالم، فهي عنوان للحياة الأمريكية كما هو معروف.هي فلسفة تفكير وتصور للحياة وفعالية سياسية وإقتصادية. أصبح لها حتى شهرة شعبية فليس من الغريب أن نسمع وصف براجماتي خارج الأوساط الثقافية المتخصصة.فمادام **"وليام جيمس "يعتبر نجاح العمل هو المعيار الوحيد لِلحقيقة، فالسياسي البراجماتي دائماً أنه يتصرف ويعمل من خلال النظر إلى النتائج العملية المثمرة التي قد يؤدي إليها قراره. وهو لا يتخذ قراره بوحي من فكرة مسبقة أوأيديولوجية سياسية محددة بل من خلال أخذه بعين الاعتبار لِلنتيجة العملية المنشودة.** (328)

فالمعرفة البراجماتية هي المعرفة النافعة أو المعرفة الحقيقية .كانت تستخدم هذه المفردة في وصف القرارات والإجراءات خصوصا السياسية منها.لكن البراجماتية، شأنها شأن الأفكار الكبيرة، تحمل في داخلها أكثر من توجه فإذا كانت الحقيقية تكمن في كونها نافعة ومفيدة فإن البعض أوصلها إلى حد المنفعة الشخصية. بمعنى أن الحقيقي هو النافع لي شخصيا بعيدا عن أي مقياس أو معيار خارجي وهنا يمكن أن تكون كذبة نافعة هي حقيقية فالمقياس هو النافع وكفى.

فالسياسة عند "جيمس" :**هي تصور صحيح لأنه عملي تطبيقي مفيد.و نظرية تستعمل نفس الأدوات لتؤكد صواب التصور**.(329) أماالسياسة الدولية هي قضية صحيحة لكونها واقعية عملية مطبقة ومفيدة. تحكم بالصواب على ما هو محتمل للخطأ، وبذلك ليست السياسة الدولية كلها عادلة.

ويقرر **وليام جيمس** فى نظريته قائلا "واضح أن البراجماتية تنحو نحو الاقتطافية(أوالانتقائية)... وبعض الشروط التتحقق خلاص العالم موجودة بالفعل، ولايسع المفكر البراجماتى تجاهلها، واذا تهيأت لنا هذه الشروط ،فان الخلاص سيصبح واقعا، ومن حقك أن تفسر الخلاص كما يحلو لك ،وبأى طريقة تشاء ،وأن تجعل منها كلمة مطاطة، يمكن تطبيقها على أشياء كثيرة،...

---

(336) موريس تشارلز:"روادالفلسفة الامريكية"، مرجع سبق ذكره،.ص89

(329) حيدر محمود:"لاهوت الغلبة (التأسيس الديني للفلسفة السياسية الامريكية)"،دار الفارابي،بيروت لبنان، ط1 2009ص45

وعلي الإنسان أن يدير ظهره فى اصرار لكل القضايا القبلية والمجردات والمبادئ الثابثة والمذاهب المغلقة والمطلقات، وعليه أن يعنى فقط بالنتائج الملموسة والقوة...،فعلينا أن نعيش اليوم مع الفكرة التى نراها صادقة الآن،وأن نكون على إستعداد بأن نسلم يقينا بزيفها ما دامت تعارض مصالحنا.(330)

وتشارك الذرائعية فى" النزعة الإستحسانية الأخلاقية" بذلك "المزج الغريب لأخلاقيات " المثالية الهيغلية والكانطية الجديدة و"وضعية **أوغست كونت**"(331) الدوغماتية لخصوصية المجتمع الأمريكى البيوريتانى-على عكس المجتمعات الأوروبية ،بالتشكيلة الصعبة والخرافية للمهاجرون الأوائل من بروتستانيي أوروبا، و من باقى بقاع العالم لكل الديانات ومعظمهم ممن فروا من الديكتاتوريات " التى مورست فى كل بلدان العالم الشيوعى مثل الاتحاد السوفياتى سابقا بيهوديه ومسيحييه).

وبراجماتية "**جيمس**" رأسمالية الإتجاه.فالفلسفة البراجماتية " **pragmatism**"بزعامة "**جيمس**"، كانت وما زالت، تعمل على إنتاج مفهوم جديد ومغاير للحرية .على أساس لاعقلاني رأسمالي ؛ حرية ممنوحة من السلطة .غايتها تحرير الإنسان، ليستمتع ويعيش سعيدا ومقتنعاً بأنه إنسان حر .وإزاء كل أنظمة الحكم غير الديموقراطية في هذا العالم، التي لا تقيم العدالة الاجتماعية، وتحرم شعوبها حريتها وحقها في اختيار مصائرها.

---

(330)جيمس، وليام: "البراجماتية"، مصدر سبق ذكره،.ص 68

(331)أوغست كونت(1798-1857) August Comte عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي ،يعتبر تلميذا لـ سان سيمونأسس المذهب الوضعي القائل ان لا سبيل إلى المعرفة إلا بالملاحظة و الخبرة. يعتبر مؤسس علم الإجتماع حسب الفكر الغربي. يعد كونت مثله في ذلك مثل سبنسر من أنصار المدخل العضوي والذي أعطى اهتماما أساسيا إلى البناء الميكانيكي الآلي للكائن الاجتماعي حيث كان ينظر أصحاب هذا المدخل إلى المجتمع باعتباره نظاما متكاملا يؤدي كل عضو من أعضائه وظيفته من أجل استمرار الكل وأن هذا المجتمع جزء لا ينفصل عن النظام الوظيفي. ومذهبه مبسوط في كتابه: محاضرات في الفلسفة الوضعية، وفيه يبين المراحل الثلاث التي اجتازها الفكر في تطوره: اللاهوتية التي تعلل الأشياء بمبادئ مجردة، والوضعية التي تعلل الأشياء بالمشاهدة والتجارب تأييداً للفروض .تتفاوت العلوم بساطة وتركيباً، فأبسطها الرياضة، فالفلك، فالفيزيقية، فالكيمياء، فعلم الاجتماع. وكل منها يعتمد على سابقه والاجتماع يعتمد عليها جميعاً وكلها في خدمته.

المبحث الثاني: الآثار النظرية والعملية للإعتقاد والحقيقة.

1/- المطلب الأول: الفكر البراجماتي و الفلسفة العملية.

إن الفكر الغربي لم يقتصر على العقل أو الذهن في تصوره للعلاقة بين الإنسان و العالم , و ذلك **أن الحياة الفكرية عنده ليست وقفا على ملكة التفكير المنظم الذي يصدر عن هذه الملكة : ملكة الذهن , بل تتعمق لتشمل تلك الملكة الأخرى التي أطلق عليها برغسون إسم الحدس و ما يصدر عنها من إدراك مباشر للحقيقة , و تتسع لتشمل دائرة الشعور أو الوعي ولتضم كذلك تلك التجربة المعاشة التي يتحث عنها الفلاسفة الوجوديون** . (332)

كل هذا التطور يشهده الفكر الغربي في أوروبا .أما في أمريكا فقد إتجهت الحياة الفكرية وجهة أخرى تتفق مع إتجاهات الناس في هذا العالم الجديد ,وهي تلك الإتجاهات العملية التي يتميز بها، بصفة خاصة رجال الأعمال الذين يهمهم في المحل الأول تحقيق النجاح في الحياة . وعلى هذا النحو ظهر في أمريكا مفهوم جديد للتجربة هو التجربة أو الخبرة البراجماتية . وفيه أصبحت التجربة أو الخبرة مقترنة بالفعل أوبتأدية سلوك معين و قيمته تقاس بنجاح الخطوات التي يتخذها الإنسان أو بتأدية سلوك معين .و قيمة الخبرة تقاس بنجاح الخطوات التي يتخذها الإنسان لتحقيق المعنى في دنيا الواقع العملي .فالخبرة هنا ضرب من الفعل ,إنها ليست التجربة المعملية التي تجري في المختبر و لا التجربة المعقولة التي نجدها عند **إيمانويل كانت** و لا التجربة المعاشة التي نجدها عند الوجوديين .و هي فوق هذا و ذاك ليست منهجا من مناهج المعرفة .إنها تجربة تقوم أولا و أخيرا على الفعل او على النشاط العملي الذي يترجم الفكرة و يعبر تعبيرا واقعيا عن نجاحها أو فشلها .في عام 1878 نشر **تشارلز بيرس** (الذي يعتبر المؤسس للفلسفة البراجماتية) بحثا عنوانه : **كيف نجعل أفكارنا واضحة ؟** قال فيه **أننا لا نعرف على وجه التحقيق ما هي الكهرباء في حد ذاتها ,أي أننا لا نملك ماهية عقلية للكهرباء ,وكل معرفتنا بها محصورة فيما تؤديه لنا الكهرباء أو ما تحققه من أغراض عملية** (333)،و معنى هذا أن معنى الكهرباء يتحدد بالنظر إلى آثاره العملية التي نلمسها في تجربتنا اليومية .

---

(332)هويدي يحي:"قصة الفلسفة الغربية"،دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ،مصردط سنة1993،ص133
(333) المرجع نفسه،ص133

والأمر على هذا فيما يتعلق بمعظم الأفكار فدقة هذا الجرس تعني أن المحاضرة قد بدأت ,ولكن دقته الثانية تعني أن المحاضرة قد إنتهت .وقد ترتب على الدقة الأولى سلوك معين هو دخول الطلبة و الأستاذ قاعة المحاضرات , و ترتب على الدقة الثانية سلوك آخر هو خروجهم .و الدقة هي في الحالتين , فالفكرة لها "مجال فعل " خاص بها .ومعناها يتحدد من خلال هذا المجال و بالنظر إلى النتائج العملية المترتبة عليها .وعلى هذا النحو يتغير معنى العقل , فالعقل ليس مفروضا على الخبرة من عل , وليس ملكة منفصلة عن الخبرة تفضي بنا إلى عالم سام من الحقائق الكلية أو عالم من المعقولات والإطارات للخبرة و يقترن بها ليخلصنا من شوائبها و من عبوديتنا لبعض العادات البالية التي تعوق طريق تقدمنا .

والفكرة التي تتحقق أو تمتد في أفعال سلوكية هي التي تحوز موافقتنا و تغدوا جزءا من عقيدتنا أو معتقداتنا .فليس كل مايرد على ذهننا من خواطر يصبح معتقدنا لنا , إذ أن أفكارنا التي تبلغ هذه المرتبة هي فقط تلك الأفكار التي نراها تتحقق أمامنا على صورة أفعال تحفر آثارها في نفوسنا وينعقد سلوكنا عليها , فتصبح معتقدا لا نملك عنه حولا.

وقد أراد **"بيرس"** منذ البداية أن لا يكون المعتقد معتقدا فرديا بل جماعيا , وذلك لأن المعتقد الحق هو الذي يعتقده مجموعة من الناس أوهو الذي يتحقق في إرادة أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع. **وهكذا فإن المعتقد الصحيح هو الذي يمكن تعميمه على عدد كبير من الناس .أما المعتقد الذي أؤمن به أنا وحدي فلا يستحق شرف تسميته بالمعتقد , لأن ماهية الإعتقاد قائمة في تحقيق السعادة لأكبر عدد من أفراد المجتمع.** (334)

وقد توسع كل من **وليام جيمس و جون ديوي** في أفكار **"بيرس"** وأضافا إلى الفلسفة البراجماتية آفاقا جديدة .فذهب **"وليام جيمس"**مثلا إلى أن الحقيقة ليست إلا ما يقودنا إلى النجاح في الحياة , وقال **إن المعتقدات الصحيحة هي وحدها التي تنتهي بنا إلى تحقيق أغراضنا الفعلية .وذلك لأن الحق لا يوجد أبدا منفصلا عن الفعل أو السلوك , بإعتبار أننا نفكر لنعيش وليس هناك حقيقة مطلقة .ولا وجود لفكرة حقيقية في ذاتها , إذ أن الفكرة أو المعتقد في دنيا الواقع ,ويعبر بالفعل عن قيمته المنصرفة فورا .** (335)

---

(334) هويدي يحي،قصة الفلسفة الغربية، مرجع سبق ذكره،.ص134

(335) جيمس، وليام: البراجماتية، مصدر سبق ذكره،.ص105-106

ويلاحظ **"وليام جيمس"**أن فكرتنا عن النار لا تحرق,أوعلى حد قوله النار العقليةلاتوقد خشبا , والماء العقلي عاجز عن أن يطفىء نارا.ولهذا فإنه يهاجم صورنا الذهنية عن الأشياء المحسوسة ويقول أنها مهما بلغت من الوضوح و القوة فإنها لا يمكن أن تعدل الأشياء نفسها .

من هنا نرى أن الفلاسفة البراجماتيين يتفقون مع الحسيين أوالتجريبيين الذي يوجهون هم أيضا النقد ضد الصور الذهنية ،ويقولون:" **أن هذه الأخيرة إنها إدراكات و إنطباعات باهتة ضعيفة ,أو أنها ليست إلا هذه الإدراكات والإنطباعات بعد أن يكون قد ضعف تأثيرها علينا."**(336)

ولكن البراجماتيين يختلفون عن الحسيين في أنهم فهموا من التجربة معنى أكثر إتساعا من معناها عند الحسيين .فالفلاسفة الحسيون يعدلون على التجربة مفهوما على أنها الحقل الذي يشمل جميع الإدراكات والإنطباعات الحسية .

أما البراجماتيون فالإحساسات عندهم كما يقول **"ديوي":** ليست أجزاءا من أية معرفة كانت ناقصة أو كاملة و لكنها مثيرة ومنبهات وأنواع من التحدي للقيام ببحث أو بتحقيق ينتهيان بالمعرفة و هذا معناه أن الإحساسات ليست طرقا من طرق معرفة الأشياء تختلف قوة وضعفا و تزيد في قيمتها أو تقل عن الصور الذهنية و طريقة التفكير البرهاني ,وإنما هي منبهات للتفكير أو للسلوك وبوسعنا أن نقول أن عالم الخبرة المحسوسة يشتمل عند البراجماتيين على دائرتين :دائرة الآثار الحسية ودائرة الأفعال أوالسلوك.وكلاهما يقع في الخارج , ويمثلان واقعا ملموسا ,ولكن دائرة الأفعال الإنسانية تعبر عن ردود أفعال الناس وإستجاباتهم تجاه الأشياء المحسوسة التي هي منبهاتهم أو تعبر عن وظائف هذه الأشياء في حياتهم .

ولهذا فإن دائرة الخبرة لاتشتمل فقط عند البراجماتيين على إنطباعات حسية متفرقة ,بل تضم مجموعة من العلاقات بين الإنسان والأشياء ,ومجموعة من العلاقات الإجتماعية بين أفراد المجتمع بعضهم مع البعض الآخر بحيث أنهم يتداولون تلك الأشياء بالعمال أو الصناع الذين صنعوها ,وهكذا وكل هذه الروابط أوالعلاقات تنشأ في حقل التجربة أو الخبرة وليست من وضع العقل .

---

(336) هويدي يحي:"قصة الفلسفة الغربية"، مرجع سبق ذكره،ص135

ولكن المهم أن نلاحظ أن البراجماتية قد أضافت الكثير إلى معنى التجربة ووسعت دائرتها, ولهذا كله فإن " **جيمس" يقدم فلسفته على أنها فلسفة التجريبية الأصيلة أو الراسخة**, (337)

بإعتبار أن التجريبية التي نجدها عند الفلاسفة الحسيين ليست إلا تجريبية سطحية ومحصورة في نطاق الإنطباعات الحسية فقط .وفضلا عن هذا فغن البراغماتية تختلف عن التجريبية التقليدية من ناحية أن هذه الأخيرة كانت قد ذهبت إلى أن الحقيقة معطاة أمامنا ,وأن دور الإنسان محصور فقط في تسجيلها مادامت قائمة في الوقائع الخارجية و في الروابط القائمة بينها .أما البراجماتية فقد رفضت هذا التصور الإستاتيكي للحقيقة وقدمت بدلا منه تصورا ديناميكيا ,أصبحت فيه المعرفة أو الحقيقة مرتبطة إرتباطا وظيفيا بالفعل ,وأصبحت كذلك حقيقة متحركة تتصل بنشاط الإنسان وتتوقف على ما يستطيع أن يحققه من منفعة من ورائها .الحقيقة أو المعرفة في الفلسفة البراجماتية لم تعد قائمة في الأشياء , وموجودة في الخارج , بل أصبحت تقبل على الأشياء من خلال النشاط البشري الذي يقوم به الإنسان في الإستجابة لها .

وهذا معنى آخر لما يقصده **"وليام جيمس"** من وراء قوله بأن فلسفته تمثل التجريبية الأصيلة. ومن ناحية أخرى فإن التجريبية الأصيلة عند ه ،والفلاسفة البراجماتيين بوجه عام تتعراض مع المثالية الهيغلية من ناحية أن هيغل جعل موضوع المعرفة هو التصورات العقلية و الروابط القائمة بينها .وهذه التصورات تمثل عند **"هيغل"** لب الواقع أو روحه .

أما البراجماتيون ومنهم فيلسوفنا **"جيمس"** فقد رأوا أن التصور لايمس لب الواقع أو روحه في شيء ,لأنه إذا كان هذه صحيحا فما هو المعيار الذي يجعلنا نفضل تصورا على آخر ونصفه بأنه صحيح و بأن الآخر فاسد .؟ إن العبرة هنا ليست في التصور نفسه بقدر ما هي في الأثر الفعلي الذي يحدثه التصور في حياتنا و في الأفعال التي نقوم بها إستجابة له .

فصحة المعتقد مرتبطة إذا بالفعل الذي تتحقق به منفعته ,وعلى هذا فإن الفعل أوالمنفعة هما الأصل لاالتصور العقلي. **"وإذا كانت الصورة العقلية التي لدينا عن موضوع ما أوإذا التصور العقلي الخاص بها الموضوع ليس صورة جوفاء أو ليس تصورا فارغا فإنها ستنحل في نهاية الأمر إلى مجموعة من الآثار العملية سواء كانت آثارا قريبة مباشرة أوبعيدة غيرمباشرة، فالتصور الصحيح به أدواته أومقولاته العملية التي ليست في حقيقتها إلى مسارات تجاربنا التي نسلكها بإيزائه."** (338)

---

(337) عويضة، كامل محمد محمد: "وليام جيمس"،سلسة أعلام من الفلاسفة مرجع سبق ذكره،.،ص 92
(338) هويدي يحي:"قصة الفلسفة الغربية"، مرجع سبق ذكره،ص136.

غير مباشرة ,فالتصور الصحيح به أدواته أو مقولاته العملية التي ليست في حقيقتها إلى مسارات تجاربنا التي نسلكها بإيزائه .ففي هذا الإنتقال المستمر من تجربة سلوكية إلى أخرى ترتبط جهودنا في توضيح معنى هذا التصور, والمهم في جميع الأحوال أن لا نفهم التصور على أنه فكرة مجردة لها وجودها قبل الواقع و مستقلة عنه .ولو فعلنا ذلك -و الفلاسفة العقليون هم الذين يفعلون ذلك- لكنا أشبه ببعض رجال الإقتصاد الذين يخطئون فيزعمون أن أوراق النقد لها قيمة في ذاتها قبل التعامل بها .و علينا أن نلاحظ أن تأثيرنا في الأشياء لا يقتصر فقط على ردود الأفعال السلوكية التي توحي إلينا بها هذه الأشياء بل ومصالحه , فيدخل الشيء الواحد في نسق معين من المصالح والأغراض فيكتسب بهذا معنى ما , ثم يقوم هو نفسه بإدخال نفس هذا الشيء في نسق آخر من مصالحه , فيكتسب معنى جديدا قد يكون مختلفا أو متعارضا مع معناه في النسق الأول , وقد يكون مكملا له .ومعنى هذا أنه لا وجود للحقيقة بل الموجود هو الحقائق أو مجموعة من الحقائق .الإنسان إذا هو الذي يهب الأشياء حقيقتها وفقا لتجربته البراجماتية معها .ولما كان الإنسان لا يقوم بتجربة براجماتية واحدة مع الأشياء , بل بتجارب متعددة , فلن نكون هنا بصدد تجربة واحدة ,بل بصدد تجارب متكثرة و متعددة .والعالم كله عالم متكثر لا يخضع لمبدأ واحد , ولا يمثل تجربة واحدة . وهذا معنى آخر للتجريبية الأصيلة كما حددها **"وليام جيمس"** .إن هذه التجريبية الأصيلة تقدم لنا عالما متكثرا أشبه بالجمهورية الفيديرالية منه إلى الإمبراطورية أو الملكية .

وقدم **"جون ديوي"** صور للبراجماتية عرفت بإسم مذهب الذرائع أو الذرائعية . حيث كان متأثرا في معظم ما كتبه بفلسفة داروين في التطور .**فهو يرى أن حياة الإنسان ليست في جوهرها إلا محاولة متصلة من جانبه لتحقيق التوافق مع البيئة المحيطة .وإذا لم يستطع تحقيق هذا التوافق فإن مصيره حتما إلى الموت .لكن ما سبيل الإنسان لتحقيق هذا التوافق ؟إنها أفكاره , فأفكار الإنسان ليست إلا الوسائل أو الذرائع التي يلتمس بها طريقة إلى تحقيق هذا التوافق .** (339) والتجربة السلوكية للإنسان في الحياة تكون ناجحة بقدرإهتدائه إلى أفكار تمثل محاور إرتكاز في البيئة و ذرائع تعيد له الطريق إلى السيطرة عليها .

---

(339) هويدي يحي:"قصة الفلسفة الغربية"، مرجع سبق ذكره،ص137

ولهذا فإن الأفكار التي يتحدث عنها ديوي ليست إلا أفكارا مجردة و ليست أحكاما منطقية نظرية كتلك التي إعتاد المناطقة أن يقدموها لنا ويربطون فيها بين موضوع عقلي و محمول لهما في الواقع بل هي بالأحرى تعبر عن أحكام تنبع من الواقع و يكون موضوعها ومحمولها معبرين عن موقف تجريبي معين .

فالفيلسوف البراجماتي الذي يصدر أحكاما عقلية شبيهة بالقاضي الذي لايصدر حكمه إلا بعد أن يكون قد إضطلع على "معاينة النيابة",وإستمع إلى أقوال الشهود وعاش جو الجريمة أو الحادثة. ومن ثم لا يجيء الحكم الذي يصدره بعد هذا إلا معبرا عن الوقائع التي عاينها .

أما الأحكام العقلية النظرية فليست في نظر **"ديوي"** إلى خطوة إنتقالية تمهيدية للأحكام البراجماتية الواقعية .وما أشبه هذه الأحكام النظرية بالفروض العلمية التي يلجأ إليها العالم التجريبي ,والتي لا تصبح قانونا إلى بعد التحقق من صحتها في المختبر .ولهذا كان الإصلاح الذي قدمه ديوي لعلم المنطق ولنظرية المعرفة قائما على أساس البدء من الذكاء لامن العقل أو الذهن أوالذات العارفة. إذ أن هذه البداية الأخيرة هي التي أغرقت المنطق ونظرية المعرفة في الميتافيزيقا وفي التوجهات المثالية التي أثقلت حركتها .

ودخل هذان العلمان بهما **ما يطلق عليه "ديوي" إسم "حرب الفلسفات".**(340) وبهذا المعنى أيضا كانت البراجماتية عند **"ديوي"** و**"وليام جيمس"** من قبله تجريبية أصيلة أو أصيلة.ويعرف **"جون ديوي"الفلسفة أنها رؤية تهدف إلى تحرير العقول من الأهواء و تخفيف حدة التوتر في الحياة الإجتماعية السائدة في عصرنا.**(341)

ومعنى هذا أن **"ديوي"** يوسع من معنى البيئة فيفهم منها كل ما يدورحول الإنسان من ظروف مادية ومعتقدات ومعايير وآراء أخلاقية ,وكان واضحا في أنه أراد أن يؤسس الأخلاق على نوعين من الدراسات السيكولوجية من ناحية ,والدراسات الإجتماعية من ناحية ثانية.وكل منهما غوص في البيئة بطريقة أو أخرى، ومحاولة لتضييق الثغرة القائمة بين العقل النظري والعقل العملي أو بين أحكام الواقع و أحكام القيمة . فالتجربة الأخلاقية في رأي ديوي بحاجة إلى ضوابط كثيرة نتلقاها من عالم الأشياء والوقائع والظواهر المادية والفيسيولوجية والبشرية أوالإجتماعية,وهذه الضوابط الأداتية أوالذرائعية من شأنها أن تسهم في غرس المعايير الأخلاقية في النفوس البشرية على نحو جذ ري .

---

(340) هويدي يحي:"قصة الفلسفة الغربية"، مرجع سبق ذكره،ص138

(341) المرجع نفسه، ص139

2/ المطلب الثاني: الفكر البراجماتي و تجاهله للفلسفة النظرية:

وقد وجه إعتراض إلى **"جيمس"** في حياته في نظرية الصدق هوأن نظريته تجاهلت مشاكل الفلسفة النظرية وأنها تسعى جهدها لبناء نظرية في العمل والحياة وأن غايتها تكيفنا مع الواقع فحسب.وفي هذا الإعتراض تحامل وسوء فهم:أما التحامل لأن خصوم الحركة البراجماتية يتصورون أن أي معارض للتجريد والتأمل منكر لمشاكل الفلسفة النظرية , أما سوء الفهم فسببه عدم فهمهم لكلمة عملي **practical** التي رددها**"جيمس"** أبدأ بالقول أنه إذا كان **"جيمس** يجهل الفلسفة النظرية فلماوضع نظرية جديدة في المعرفة ونظرية المعرفة أحد فروع الفلسفة النظرية ؟ بل ولم بحث مشكلة الصدق وهي أعلى مشاكل المعرفة بل هي العتبة التي تنقلنا من المعرفة إلى الميتافيزيقا ؟ولم أسس ميتافيزيقا خاصة وسوف نعلم أن أبحاثه هنا بعيدة كل البعد عن شؤون العمل والحياة ؟ أنكر**"وليام جيمس" الفلسفة التأملية Specilative ولم ينكرالفلسفة النظرية theoritic**(342) وكان الشائع قبل **جيمس** أن الكلمتين تأملية ونظرية شيء واحد,وجاء هو ليميز بينهما.أنكر التأمل لاعن إهمال أوتجاهل وإنما أنكره بعدما تأكد أنه عديم الجدوى ولايوصل إلى نتائج نظرية.جاء **"جيمس"** ليثبت أن المنهج البراغماتي يرى أن كثيرامن المشاكل التأملية ليست مشاكل بل كانت قتالا في هواء,وليثبت أنه قد يكون الخلاف بين فيلسوف و آخر خلافا على ألفاظ كما إستبان في الخلاف بين المادية و الروحية.تعريفات مجردة جافة لم تفد أحدا ولم تخدم فكرة حين بحثنا في طبيعة المادة وطبيعة الروح أومصدرها فأدرك بذلك أن التأمل مرادف للغامض المبهم وهو يريد أن يكون للفلسفة قيمة و قيمتها في وصولنا لنتائج محددة لاغموض فيها . في وصولنا إلى ربط مشاكل الفلسفة العليا بشؤون العمل و الحياة . وهنا حدث سوء الفهم لكلمتي العمل والحياة من جيمس.فلم يقصد**"جيمس"** بربط الفلسفة بالحياة أن نفيد منها في جمع المال أوتحصيل الشهرة أو الرفاهية المادية,وإنما كان يقصد بها أني أستطيع أن أنتقل من معتقد فلسفي إلى سلوك أتبعه نتيجة إعتقادي ,وقد يؤدي هذا السلوك الجديد إلى إعتناق فكرة فلسفية جديدة مثال ذلك، أن في إعتقادي،بأن العالم ناقص لم يتمم بعد،وأنه محتاج إلى من يكمله , دافعا لي بالمساهمة في هذا الإتمام.وهذه المساهمة جعلتني أدرك أن الإنسان عنصر أساسي في بناء الكون,وجعلتني أدرك أيضا أنه يمكن القضاء على مشكلة الشروالنقص بمحاولة التقليل منه، وأن التفاؤل خير من التشاؤم ,"- التفاؤل الفلسفي الميتافيزيقي- ويتفق الكثيرفي أن القول بأن الكون ناقص، لم يتمم بعد،

---

(342) جيمس، وليام:معنى الحقيقة، مصدر سبق ذكره،.ص141 -142

والوصول إلى رأي في مشكلة الشر و النقص و في التفاؤل وقضية الإرادة و نصيب الإنسان في بناء الكون ,يتفق الكثير معنا في أنها مشاكل فلسفية نظرية :بل أقول أنها مشاكل فلسفية عملية بلغة جيمس ,فالعملية عنده مرادفة للنظرية , كما سنرى في تحليله لكلمة "عملي".ولكن لا مانع من أن يؤدي حلول هذه المشاكل إلى حياة عقلية يتبعها نفع الإنسان وسعادته ورفاهيته في حياته اليومية.

"إن أبحاثنا النظرية قد تفتح بابا للسلوك الإنساني من حيث إن الأفكار منبهة للأفعال كما أنها تفسح المجال لتجديد الفكر.ولكن الأغبياء أهملوا البناء الإبستيمولوجي للنظرية البراجماتية، ركبت فيه النافذة , ثم ظنوا ان النافذة وحدها هي ما هنالك." (343)

إنَ الكلمة التي أثارت المنكرين ضد **"جيمس"** ومذهبه هي كلمة عملي **practical** حين قال نتائج عملية ,آثار عملية ,وما الإختلاف العملي وغير ذلك,وفهمها الشعب الأمريكي في ذاك الوقت فهما متصلا بحياته اليومية لدرجة أن **"بيرس"** أنكر على النقاد الذين وصفوا مذهبه المذهب العملي **practicalism** ,أنكرأن هذه اللفظة عنوان مذهبه و في غضون هذاالإختلاط أنكر كلمة براجماتيزم نفسها التي هي من خلقه ,وإبتكر كلمة غريبة حتى لا يحول لإخوانه سرقتها براجماتيييزم **pragmaticism** .فما معنى كلمة **practical** عند **"جيمس"** ؟

لم يكن يقصد جيمس أن عملي **practical** مقابلة لكلمة نظري **theoric** وإنما كان يقصد بها **أنها مرادفة للمحسوس,والمتميز,والواضح الدقيق,والجزئي,والفردي المحدد,والمتعين,وما له فاعلية وتأثيرعلينا,وماهو في متناول إمكاناتنا الحسية,في مقابل المجرد والعام والساكن**.(344) يريد **"جيمس** "للمعرفة أن تكون نظرية,لكن لا تلك المعرفة المجردة التأملية و إنما المعرفة المحددة المعينة الدقيقة ,هذا هو مقصد جيمس من كلمة عملي.ومما يؤيد ذلك أن **"جيمس"** كان يستخدم كلمة جزئي **particular** مرادفة لكلمة عملي .يقول :**"أقصد بالجزئي ذلك الشيء المحدد الدقيق وأقصد بالنتائج الجزئيات ماكان نتيجة عمليات تحليل منطقي,وإستنباط و مقارنات , وبذا تصبح النتائج الجزئية نتائج نظرية بحتة" ويقول في موضوع آخر"إن براجماتا (pragmata) معناها الأشياء في كثرتها"pragmata means things in its their plurality "** (345)

---

(343) جيمس، وليام:معنى الحقيقة ،مصدر سبق ذكره،ص142

(344) م روزنتال و ب يودين : الموسوعة الفلسفية ، مرجع سبق ذكره،.ص175

(345) جيمس، وليام:معنى الحقيقة، مصدر سبق ذكره،ص143

المبحث الثالث :نظريات الإعتقاد والحقيقة بين جيمس ورموز البراجماتية.

إن الحقيقة صفة أو خاصية لبعض أفكارنا فهي تعني إتفاقها مع الواقع تماما مثلما يعني الباطل إختلافها معه.وكلا من البراجماتيين والعقليين يتقبلون هذا التفسير كأمر أكيد ثابت وحيث (لا تنسخ) أفكارنا بالفعل,وقطعا ,موضوعها فماذا يعني الإتفاق مع ذلك الموضوع ؟ إن البرجماتية تسأل سؤالها المألوف: **فهي تقول" إذا سلمنا بصحة فكرة أوعقيدة , فما الفرق الملموس الذي يحدثه كونها صحيحة في الحياة الواقعية الفعلية لأي إمرئ ؟ ما هي الخبرات التي ربما تختلف عن تلك الخبرات التي تحصل إذا كان الإعتقاد باطلا ؟ كيف ستتحقق الحقيقة ؟وبإختصار ما هي القيمة الفورية للحقيقة ,مقدرة تجريبيا ؟."** (346) الجواب: إن الأفكار الصحيحة هي تلك الأفكار التي نستطيع هضمها و تمثيلها ودمغها بالمشروعية و تعزيزها و توثيقها و إقامة الدليل عليها . والأفكار الخاطئة هي تلك التي لا نستطيع ذلك معها . هذا الفرق العلمي الذي يحدث معنا إذا كانت لدينا أفكار صحيحة.ومن ثم فهذا هو معنى الحقيقة , لأن ذلك هو كل ما نعرفه عنها . إن حقيقة فكرة ليست خاصة أو صفة كاسدة متوقفة عن التوقف أوالنماء ,وليدة ذاتها فيها .إن الحق يحدث للفكرة , الفكرة تصبح حقيقة أو صحيحة ,إن الأحداث تجعلها صحيحة أو حقيقية و صدقها هو في الواقع من الأمر ,حدث , سبيل ,ألا وهو سبيل إثباتها لنفسها ,سبيل برهنتها.فصدقها أوصحتها أومشروعيتها هو سبيل ترسيخها وتصحيحها والدفع بمشروعيتها ."**إن الإتفاق في أوسع معنى,هو حقيقة أو واقع لا يمكن أن يعني إلا الإهتداء ,إما مباشرة إليها على خط مستقيم,وإما إلى مكتنفاتها و ملامستها أو مناهزتها علميا لدرجة تمكن من الإمساك بها أو بشيء مرتبط بها على نحوأحسن وأوفى مما لو إختلفنا معها.أحسن إما عقليا و فكريا وإما علميا و إجرائيا .إن أي فكرة تساعدنا على أن نعالج ."**(347) سواء أكان ذلك علميا أم فكريا الواقع أو متعلقاته , وبحيث لا تعرقل تقدمنا في ضروب من حبوط المساعي والكبت , وبحيث تلائم و تزود و تناسب,في الواقع من الأمر حياتنا , لوضع الحقيقة الواقعة برمتها, سوف تتفق بمافيه الكفاية لملاقات المطلب.

وستكون صحيحة بالنسبة لتلك الحقيقة الواقعة إن الحقيقي في أوجز عبارة**" ليس سوى النافع الموافق المطلوب في سبيل تفكيرنا,تماما كما أن الصواب ليس سوى الموافق النافع المطلوب في سبيل مسلكنا ."** (348)

---

(346) جيمس، وليام: البراجماتية، مصدر سبق ذكره، ص235-

(347)المرجع نفسه، ص236

(348)J. William; Callaghan, Charles Sanders Peirce : "His general theory of Signs". (R.A). S. 61-1/2 (1986), 123

1/ المطلب الأول: الحقيقة والإعتقاد عند بيرس:

ذهب **تشارلز ساندرس بيرسCharles Sanders Peirce** » « *(349) إلى أننا بعد أن نضع يدنا على جميع المعتقدات التي هي على الحقيقة قواعد للعمل , يمكننا أن نشرع في تحديد السلوك الذي تصلح تلك المعتقدات لتوليده ,هذا السلوك وحده هو الذي نرى فيه معنى هذه المعتقدات ومغزاها .والحقيقة الملموسة التي ترسب في جذور كل تفكير نقوم به ,أيا كان حظه من الوثاقة والمتانة ,هو أنه ليس هنالك جانب من جوانب هذا التفكير ,إلا ويمثل ناحية من نواحي العمل , ولكن نصل إلى الوضوح الكامل في تفكيرنا عن موضوع ما ,ينبغي إذا أن نرى ما عسى أن ينطوي عليه الموضوع الذي أمامنا من نتائج عملية ,أي إحساسات نتوقعها منه ,و أي إرجاع يجب أن نتأهب لها.إن تصورنا لهذه الآثار,سواء أكانت قريبة مباشرة أو بعيدة نائية، هذا التصور عينه هو تصور للموضوع , بقدر ما يكون لهذا التصور مغزى وضعي .

فالسلوك هو معيار صواب الفكرة ومعنى هذه أن تحقق المصلحة أوالغرض ضمان صواب الفكرة أوالإعتقاد إذ يرى **بيرس** أن السلوك أو الفعل ليس مجرد حدث يتبع أويسبق غيره بل و بحكم الضرورة وسيلة نحو غاية وتحقق الغاية ليس معيار صدق فحسب ,بل معيار خيرية أيضا .إنه تأكيد على أن السلوك خير.فإن كل ما يحقق الغرض المنشود يمكن القول إنه صحيح أو له ما يبرره والخير يرتبط إرتباطا وثيقا بالغاية والهدف والوظيفة والمنفعة فإن قيمة المعرفة رهن بالمنفعة العملية و المنفعة العملية لا تعني عند بيرس إثبات الصدق الموضوعي إستنادا إلى معيار الممارسة العملية , بل تعني ما يحقق المصالح الذاتية للفرد.وبذلك تصبح الخبرة الذاتية هي الواقع الموضوعي عنده .

---

(349) بيرس، تشارلز ساندرس (1839-1914م). فيلسوف أمريكي، كان له دور في نشر الفلسفة الذرائعية. وكان من الرواد الذين طوروا المنطق الرياضي. كما ساعد في تطوير دراسات الرموز أو السيميائية، وهي تُعنى بالدلالات الرمزية للعلامات، بالإضافة إلى الكلمات .عرض بيرس أفكاره الأساسية لمذهبه الذرائعي في مقال عنوانه :كيف نجعل أفكارنا واضحة أصدره في عام 1878م وُلد بيرس في كمبردج بولاية ماساشوسيتس بالولايات المتحدة الأمريكية .وشجعه والده، بنيامين، عالم الرياضيات الشهير، على دراسة العلوم والفلسفة .وتخرج في جامعة هارفارد عام 1859م. وفي فترة ما بين عامي 1861و1891م قدَّم لإدارة المساحة الساحلية للولايات المتحدة خدمات علمية، كانتدافعًا وراء اهتمامه بالفلسفة. وخلال أيام خدمته أسهم بأفكار اتسمت بالأصالة فيما يتعلق بنظرية التطور ودور المصادفة في نشأة الكون، والعقل البشري، وحقيقة الوجود الإلهي. لم يُعن بترتيب وتدوين فلسفته. وقد قام لفيف من الفلاسفة بعد سنوات من وفاته بإصدار أعماله في ثمانية مجلدات تحت عنوان مجموعة أوراق تشارلز ساندرس بيرس.

وينزع **بيرس** أيضا إلى التفسير النفسي بمعنى الإعتقاد و تبعيته للسلوك وهذا هو النزوع الذي يبلغ ذروته لدى **"وليام جيمس"** .يقول **بيرس** :"**جوهر الإعتقاد هو تكوين عادة و يمايز المرء بين الإعتقادات المختلفة على أساس أنماط النشاط المتولدة عن كل منها .والعادة ,هي سلوك أو نشاط عملي هي التجسد البيولوجي لفكرة عامة .ويشبه هذا قولنا إن فكرة ما أو إعتقادا ما ,إذا تمركز في المخ , أي نشأ له مركز في الجهاز العصبي فإنه يصبح عادة و بالتالي يحكم الإعتقاد الناشىء عن هذا نوعية السلوك . والنتيجة اللازمة عن ذلك إننا إذا إستطعنا خلق هذا المركز أي غرس الإعتقاد بوسيلة ما فإننا نخلق بالتالي السلوك اللازم وعلاوة على هذا الإهتمام بالجانب العملي ,وغلبة السلوك وصولا إلى الهدف."**(350)

كشف **"بيرس"** عن نزوع لا عقلاني في هذا الصدد .فقد إمتدح الغريزة و رأى أنها تكفل له اليقين يحياة مستقبلية أي حياة في الآخرة لم يعد العقل مصدر المعرفة و سبيل الإنسان إلى اليقين ,بل الغريزة أوالقلب و كان يقول : "إفتح عينيك وإفتح قلبك فهو أيضا عضو إدراك تدرك به و قال أيضا إعتقاداتنا الغريزية أجل و أكثر يقينا من نتائج العلم ."

وأعتبر **"بيرس"** في بحثه "تثبيت الاعتقاد" أن المنهج العلمي هو المنهج الوحيد من بين المناهج الممكنة،الذي يستخدم فيهذا "التثبيت"،ولم يكن لتصورالصدق دور بارز،فيقول :"**ولهذا يبدأ الصراع بالشك،وبتوقف الشك ينتهي الصراع ،ومن هنا فإن الموضوع الوحيد لنظرية البحث هوتثبيت اليقين." (351)**

ومنه ينظر بيرس الى الحقائق على انها تقرر على اساس ما يسمى بمفهوم الحس المشترك والحس المشترك هو الذي يقرر حقيقة ما إذا تعارضه حقيقة ما حتى وان كانت تجريبية على الرغم من ان **"بيرس"** مؤمن بالتجريبية فهذه الحقيقة التجريبية حتى وان تعارضت مع الحس المشترك وبالتالي رفض المعطيات التجريبية لصالح الحس المشترك والحس المشترك يعني الثقافة الشائعة والحقائق المتعارف عليها من تقاليد وقيم معينة.

---

(350) زيدان، محمود فهمي: وليام جيمس، مرجع سبق ذكره،.ص62
(351)موريس تشارلز:"روادالفلسفة الامريكية"، مرجع سبق ذكره،.ص88

2/ المطلب الثاني: الحقيقة والإعتقاد عند جون ديوي:

إن الأفكار في نظر "**جون ديوي** "**John Dewey** (352) **لا تعدو أن تكون أدوات يستعين بها صاحبها لتحقيق التوافق مع البيئة ,فالفكرة آلة نافعة تعين صاحبها على الحياة و الأفكار الفاشلة تؤدي بأصحابها إلى الهلاك و على ذلك ينبغي لنا أن نحرص على الإحتفاظ بالأفكار التي ترضينا وتكفل لنا النجاح و نتخلى عن الأفكار التي لا تفضي إلى ذلك** . (353)

إذن فثمة تنافس بين الأفكار على البقاء , والذكاء يتلخص في قدرتنا على التكيف بالظروف التي تكتنفها والملابسات الجديدة التي قد تطرأ علينا ,فأولئك الذين يكتسبون أفكارا تعينهم على التكيف يكتسبون بالتالي الذكاء .والتفكيرفي نظر"ديوي" تكيف يؤدي إلى غاية خلال توافق بين مضمونات جزئية في تجاربنا . وليس هنالك مغالات في القول بأن الأدات والمادة تتكيف إحداهما بالأخرى في عملية الوصول إلى نتيجة سلمية , فألوان الأفكار التي لدينا عن أهدافنا التي نرغب في الوصول إليها نجم بعضها عن الحاجات التي تدعو إليها ملابسات جديدة تحيط بنا .فإذا واجه شخص خطر الموت من الصقيع , فهو يدرك "مشكلة" وقاية نفسه من البرد .في هذه الملابسة تعرض له فكرة مايقيه و يرى أن كهفا يعينه على ذلك .وهو في هذه الحالة لا يدعوه "كهفا" بل يدعوه "واقيا" فهذا ما يعنيه الكهف بالنسبة إليه ,ذلك لأن جوهر مسعاه هو وقاية نفسه .ولكن المحاولات الأولى لهذا الشخص كفرك يديه لتدفئتهما تبدو محاولات ضئيلة القيمة . وحينئذ يحاول أفكارا جديدة : بعض الملابس , خيمة , منزل...الخ

من هنا يرى "**جون ديوي**" أن المعرفة النابعة من التفكير هي في صميمها معرفة تجريبية بالمعنى الطبيعي الذي تحمله كلمة "تجريبي" , فما لم نحاول أفكارنا و نختبرها فلن يقيض لها أن تتحول إلى معرفة .و الواقع أن المعرفة لا وجود لها إلا إذا أفضى التفكير إلى فعل تجريبي يحقق ما ذهب إليه .

---

(352) ديوي جون (John Dewey):من أشهر أعلام التربية الحديثة على المستوى العالمي،وهوفيلسوف وعالم نفس أمريكي ،ويعتبر من أوائل المؤسسين للفلسفة البراجماتية ،ولد في 20 أكتوبر1859 في أمريكا في ولاية فرمونت (Vermont) في مدينة برلنغتون ،وهو من أوائل الذين أسسوا في أمريكا المدارس التجريبية بالاشتراك مع زوجته في جامعة شيكاغو1904 – 1896 تعلم ديوي من إسهامات الفلسفة الكلاسيكية ثم رسم مدرسته الحديثة على أسس نفسية واجتماعية مختلفة .وقدأخذ من سقراط صفة الصبر، ومن أفلاطون عمق التأمل، ومن أرسطو فكرة الواقعية ثم قدم لنا - مع غيره - الفلسفة البراجماتية بغية تكوين الفرد الليبرالي والمجتمع الديمقراطي . ربط ديوي الفلسفة بالتربية ثم ربط التربية بالحياة العملية ومشكلاتها وتحدياتها بشبكة فكرية ذات نزعة عملية ،توفي سنة1952.ألف كتبا منها: المدرسة والمجتمع The school and Society ، الديمقراطية والتربية Democracy and Education، الخبرة والتربية . Experience and Education كيف نفكر How We Think ، الحرية والثقافة Freedom and Culture،البحث عن اليقين،تجديد الفلسفة ،الفن كتجربة*"تنظرالشنيطي محمد فتحي :كتاب المعرفة دار الثقافة للطباعة والنشربالقاهرة مصردط سنة1981ص215

(353) ديوي، جون: "تجديد الفلسفة"، مرجع سبق ذكره، ص29

ولكن الموضوع هنا موضوع معرفة لأننا بدأنا فيه بالتفكير أولا ,أي لأن التفكير قد سبقه . و المعرفة يجب أن تكون موضوعية , ولا يتم لها ذلك إلا إذا تحققت في الواقع التجريبي.ويعنينا الآن أن نتساءل عن طبيعة العلم في رأي**"جون ديوي"** هل تنصب مهمة العلم على فحص الموضوعات الواقعية؟ **إن العلم في نظر ديوي هو إمتداد للتفكير التأملي الذي ينهض به الكائن البيولوجي حين تواجهه المشكلات الحيوية , وغرض العلم لا يتمثل في الكشف عن الحقائق الأبدية و التأمل فيها , بل هدفه الأول هو خدمة الإنسانية .إن العلم ناقص و لن يكتسب الطابع الموضوعي إلا إذا كانت غايته إرضاء حاجات البشر و مطالبهم , و يذهب "ديوي" إلى القول بأن ما ندعوه علما تطبيقيا Applied science أحرى أن يكون العلم على الحقيقة من ذلك الذي ندعوه "علما بحتا Pure science " ذلك لأن الأول متصل إتصالا مباشرا بالأدوات القائمة بالعمل , والتي تتوخى تعديل الوجود البشري و تبديل أحواله.** (354)

وعلى ذلك فالعلم قائم في الهندسة و الميكانيكا وفي الطب و في الفنون الإجتماعية أكثر منه في الرياضيات والطبيعة .فالعلم في نظر **"ديوي"** عملية ,وظيفة أو نشاط , وليس العلم جماعا من المعارف أو محصولا من النتائج المخزونة .العلم نشاط يحفزنا للعمل على حل المشاكل فهو قوة فعالة من أجل المعرفة **Sciencing** , وليس علما ثابتا مستكملا **Science** ولا يبدأ النشاط العلمي إلا إذا واجهنا مشكلة , و لا ينقطع إلا حالما نصل إلى حل لهذه المشكلة , أوعندما تغيب في زاوية النسيان .و تؤدي المشكلات بالطبع إلى الإيحاء ببعض الحلول ,فنحن لا ندرك أننا نواجه مشكلة ما إلا إذا كان هذا الإدراك ذاته ينطوي على إتجاه إلى حلها .وكثيرا ما تسعفنا تكهناتنا الأولى , وحينئذ لا بد لنا من أن نفحص المشكلة بعناية أعظم حتى نحدد تحديدا أوضح وأدق ظروفها و ملابساتها , وما ينبغي لنا فعله بصددها .وكلما فشلت فروضنا زدنا ضيقا و إضطرارا و زدنا تأملا و تفكيرا فيها , فنحن نحاول كل الحلول التي يزودنا بها خيالنا قبل أن نبذل جهدا مضاعفا , وكل حل خيالي يخطر لنا , وكل فرد جديد نتوسل به , هو بمثابة مرشد يهدينا إلى الطريق .نبدأ أولا بالإختبار , ونحاول أن نتبين صدقه فإذا كانت نتائجه صادقة على تجاربنا ,كان فرضا صالحا سليما نكون قد بلغنا به مرادنا , وإذا لم يكن الأمر كذلك نحيناه جانبا , وبدأنا الشوط من جديد ، ومحك صحة الفكرة أو بطلانها هو مدى فاعليتها في ميدان الحياة. وجون ديوي يقول إن الحقيقة هي ما تعطي فردية إشباعا أو " إكفاء ".

---

(354) ديوي، جون: "تجديد الفلسفة"، مرجع سبق ذكره ،ص41.

3/ المطلب الثالث: الحقيقة والإعتقاد عند ريتشارد رورتي:

يعرف "**ريتشارد رورتي**"(355)**Richard McKay Rorty** بأنه صاحب مشروع بعث حوار فلسفي جدي وجسر بين الفلسفتين التحليلية **Analytique** (الأمريكية) والقارية Continentale (الأوروبية)(356) Européenne. وبالنظر إلى أن البراجماتية فلسفة أمريكية المنبت في نهاية القرن التاسع عشر فإنها، وعلى مدى قرن من العطاء والتواجد الفلسفي، قد عرفت تحولات هامة حيث يرى "**رورتي**" أنه إذا اتجهنا بأنظارنا صوب نهاية القرن العشرين وليس إلى بداياته سنجد أن البراجماتية عرفت نوعا من البعث أو الميلاد الجديد لكنه لم يكن شبيها بتلك النزعة السيكولوجية panpsychisme التي ترد كل مادة إلى طبيعة نفسية أي إشارة إلى ما طبع البراجماتية في بداية عهدها مع "**وليام جيمس**" خاصة.ويثبت "**رورتي**" أن الفكرة الشائعة بأن واجب الفلسفة الرئيس هو تقرير ما يمكننا أو لا يمكننا معرفته هي مجرد هراء.

ويجب على البشر أن يركزوا على ما يفعلونه كي يتغلبوا على مشكلات الحياة اليومية لا أن يركزوا على ما يكتشفونه بالتنظير. ولتحقيق ذلك اعتمد بصورة أساسية على الفلسفة الأمريكية " البراجماتية" التي طورها "**جون ديوي وتشارلز بيرس ووليام جيمس**" وآخرون.كما يعتقد رورتي أن الحقيقة غير منفصلة عن اعتقاداتنا ولغتنا وقد تطورت هذه الاعتقادات والكلمات كتطور الأصابع التي ساعدت في تكيف الكائنات الإنسانية مع البيئة وبذلك أمكنها الحصول على متعة أكبر بقليل من الألم".

إعتمد السيد "**رورتي**" على أعمال فرويد وهايدجر ولودفيغ فيننجشتاين وكوين وآخرين. وعلى الرغم من أنه يناقش أن " لا منطقة للثقافة ولا للتاريخ تصبح حقيقة أصح من أية حقيقة أخرى"

---

(355) رورتي، ريتشارد وآخرون، "البنيوية والتفكيك": مداخل نقدية، ترجمة حسام نايل، أزمنة للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 2007، ص178.

(356) رورتي ريتشارد ماك كاي Richard McKay Rorty :فيلسوف ومفكرأمريكي عدّ واحداً من أهمّ فلاسفة ما بعد الحداثة ومفكّريها وعرف من خلال مؤلفاته المبدعة في الفلسفة والسياسة ونظرية الأدب ومجالات أخرى ،ولد في 10/4/ 1931 لوالدين يساريين مضادين للستالينية جعلا بيتهما في " فلاتبروكفيل " / نيوجرسي ، بلدة صغيرة على نهر ديلوير، مخبأ للتروتسكيين المتمردين. وكان متحفظا في الكلام وله اهتمامات غريبة ، أدت به كصبي أن يرسل التهاني إلى الدالاي لاما المعين حديثاً ، " زميل عمره 8 سنوات يفي بالعهد ." كان السيد رورتي كما تقول زوجته يحب أن "يتجه مباشرة إلى الفضاءات المفتوحة ويتجول عبرها" وآخر ما رآه من منظر الطيور هو الكوندور (نسر أمريكي ضخم) في الوادي العظيم (الغراند كانيون) في شباط إضافة لزوجته خلف السيد رورتي ثلاثة أبناء وحفيدين. في السنوات الأخيرة انتقد السيد رورتي بشدة إدارة بوش والحق الديني والديمقراطيين في الكونغرس والمفكرين المضادين لأمريكا .وعلى الرغم من تشاؤمه العميق من مخاطر المواجهة النووية والفجوة بين الأمم الغنية والفقيرة إلا أن السيد رورتي كان يحتفظ بشيء من تفاؤل ديوي عن أمريكا. من مؤلفاته كتاب "الفلسفة ومرآة الطبيعة" عام1979، وأصدر مجموعة أعمال منها "العرضية السخرية والتضامن 1989" و" الموضوعية النسبية والحقيقة 1991" و"مقالات حول هيدغر وآخرين 1991" و"الحقيقة والتقدم1998 توفي في 8 جوان 2007م ،في "بالتو آلتو" / كاليفورنيا عن 75 عاماً"

يُعتبر رورتي أحد أبرز الفلاسفة الأميركيّين الذين انفتحوا على الفلسفة الأوروبّيّة أو القارّيّة في شقّيها الألمانيّ والفرنسيّ. بل إنّه قطع مع الفلسفة الأنغلوسكسونيّة التحليليّة حين ادّعت الصرامة العلميّة، وصاغ مفهوم "ما بعد الفلسفة التحليليّة" قياساً على مفهوم "ما بعد الحداثة"، مثله كمثل كارل بوبر في علاقته المأزومة بالوضعيّة المنطقيّة. وقد يكون رورتي أشهر المناهضين الأميركيّين للنّزْعة العلميّة بعامّة وللنّزْعة القلانيّة بخاصّة. وكان قد صادقَ على ما جاء في كتاب لبول فايربند نُشر في العام 1987تحت عنوان معبِّر جداً: "وداعاً أيّها العقل."

ويحاول"**رورتيRorty** " أن يتجاوز كل الخلافات القائمة بين الواقعيين والوضعيين حول الحقيقة الاجتماعية ويحول هذه الحقيقة إلى مجرد وهم يستبدله بموقف ذاتي ينطلق من فردانية مطلقة ويحول المجتمع إلى مجرد مجموع الأفراد المستقلين.

لكن هذا الموقف الذي يتبناه "**رورتي "Rorty** ينطلق من الرد على إشكاليات وجدت أصلاً كنتيجة لعملية الفصل القسري بين الذات والموضوع، والذي اصطبغت به معظم الأنساق الفلسفية لمفكري الحداثة، وهذا الموقف يعاني من معضلة حقيقية في أنه يتعامل مع الإنسان وكأنه ليس جزءًا من الواقع الذي يحيط به، وبالتالي فإن رؤية الإنسان الاجتماعية هي رؤية منفصلة وفاحصة لهذا المجتمع، كما هي حال العالم في الفيزياء الكلاسيكية والذي يفحص الطبيعة بشكل منفصل (مفهوم المشاهد المستقل).لكن هذه المعضلة، أي معضلة الفصل بين الذات والموضوع، هي معضلة ليست جديدة في الفلسفة، وقد تم تقديم حلول عقلانية مناسبة لها في الماضي. وبالتالي وعلى الرغم من أهمية التساؤل الذي تطرحه ما بعد الحداثة حول العلاقة بين الذات والموضوع، الا اننا نراه يؤكد على أن "الإنسان يصنع الظروف بالقدر نفسه الذي تصنع الظروف فيها الإنسان"، ويتساءل: "كيف يمكن لمعرفة الحقيقة التاريخية أن تكون ممكنة ما لم تعتبر أن ممارسة الإنسان النظرية والعملية هي جزء لا يتجزأ من هذه الحقيقة .؟"

ويوضح أن "**السؤال حول ما إذا كان التفكير الإنساني مرتبط بالموضوع هو ليس سؤال نظري بل هو سؤال عملي. فالإنسان يجب أن يثبت الحقيقة، أي الواقعية والقوة المرتبطة بالفكرة، يجب أن يثبت إ رتباط تفكيره مع الممارسة.** (357)

أما عن معضلة التفريق بين الحقيقة "بالمستوى الأول والتي تقول بالتطابق مع الواقع والحقيقة بالمستوى الثاني والتي تحددما هو جيد أن نقتنع به" والتي يعتقد "**رورتي**" بأنها تدخلنا بدوامة لعبة الدولاب فإنها معضلة يسهل حلها إذا ما وضعنا الإنسان في موقعه في منتصف العملية المعرفية لا كمشاهد مستقل وإنما كفاعل حيوي في هذا الفعل المعرفي وبالتالي تصبح الحقيقة ليست حقيقة لكل زمان ومكان بل هي حقيقة مرتبطة تاريخياً. وهنا يكون من الضروري التعامل مع **الفكرة الكانتية،** التي سيطرة طويلاً على الأطر المعرفية في الفكر الأنجلو - ساكسوني والتي تتلخص بالقول بأن النظريات العلمية اجتماعية كانت أم بحتة هي نظريات خارج التاريخ تتعامل مع الواقع. قد لاقت الكثيرمن الإنتقادات، ليس أقله إنتقاد **كارل بوبر** للمنهج التاريخي في كتابه "عقم المنهج التاريخي".

---

(357) رورتي، ريتشارد وآخرون:" البنيوية والتفكيك": مداخل نقدية، مرجع سبق ذكره ، ص179.

لكن **رورتي** والذي يدعي موافقته مع **هيجل** في أهمية النظرة التاريخي يتجاوز بنقده للكانتية، نقد هيجل لها ليصل إلى نفي المنهج ككل تاريخياً كان أم غير ذلك. وإذا ما أعتقد **رورتي بأن الممارسة الفلسفية القائمة تؤدي بالضرورة إلى الغيبية ينسى أن الأسلوب لحل هذه القضية يقبع بأن نحلل النشاط الاجتماعي لكي نستطيع أن ندرك سبب ظهور هذه الغيبية لا أن نقول بعدم جدوى التحليل ككل.** (358) وبالتالي فإن "كل الحياة المجتمعية هي حياة عملية. وكل الغموض الذي يؤدي بالنظرية للوقوع في شباك الغيبية تجد تفسيرها العقلاني في الممارسة الإنسانية وفي أدراك تلك الممارسة" (كارل ماركس).

وبالتالي فالحقيقة الغائبة بالنسبة لرورتي تظهر بجلاء عند إعادة الإنسان إلى موقعه الصحيح في قلب الصورة الواقعية. فالإنسان جزء من هذا الواقع وليس مستقل بذاته.أما عن موقف رورتي من النظريات الشمولية والقائل بأن المعطيات كما نراها في تجلياتها الواقعية تدعم القول بضرورة تبني نظرة تجزيئية مواضعية. فلكل قضية من القضايا التي تواجهنا تفسير مستقل نستطيع أن نفهم القضية من خلاله ولا يوجد تفسير شمولي لكل القضايا المتشابهة. إذا ما أخذنا بالفعل معطيات العلم الحديث بشقيه الإجتماعي والبحت لتمكنا من عرض أكثر من حجة لدعم الموقف الرافض للنظريات الشمولية، نظريات كل شيء. لكن هذا الرفض للنظريات الشمولية لا يعني بأي حال عدم الإقرار بوجود حقائق. فعدم إعتبار النظريات الشمولية ممثلاً للواقع لا يعني عدم وجود تمثيل نظري لهذا الواقع.

فما يمكن إستنتاجه من المعطيات الجديدة يعارض التمثيل النظري المتعالي الشمولي ولكن لا يعارض كل تمثيل نظري. فالنماذج الظاهراتية مثلاً يمكن اعتبارها تمثيل نظري محايث وهو تمثيل يحمل حقيقة في داخله. ومن هذه النقطة انطلق إلى التساؤل ما هو نمط مفهوم الحقيقة الممكن في العلوم الاجتماعية في ضوء المعطيات الحديثة؟ إن الحقيقة ليست معطى ثابت يصلح لكل زمان ومكان، بل هي معطى نسبي يعتمد على معطيات الواقع. وهذا المعطى النسبي قد يتحول مع تطور القناعة به إلى مستوى من الإطلاق. ويرى" **رورتي"**: **بأن الحقيقة كما تقدم في الوصف الاجتماعي اليوم وصلت إلى مستوى من التقديس الذي لا يجب أن يمس.والحل يكون بأن نعرف ما يمكن أن نعتبره بأنه حقائق وصلت أو لامست الإطلاق، وهذه الحقائق في مجملها هي حقائق مرتبطة بالنتائج العلمية التي يمكن التدليل عليها في كل مرة ما دمنا نلتزم بالظروف الموضوعية**

---

(358) رورتي ريتشارد: "الفلسفة ومرآة الطبيعة": ترجمة حيدرحاج إسماعيل، (المنظمة العربية للترجمة) بيروت لبنان .ط1(2009) ،ص247.

المرافقة لها، هذا بالإضافة إلى الحقائق الرياضية والمنطقية والتي تعتمد على آلياتها الداخلية في الوصول إلى الإطلاق. (359) ومثال ذلك قولنا أن 1+1 = 2 وهو قول لا يمكن لشخصين أن يختلفا عليه كون أن العلاقة + معرفة بحيث تلزم الوصول إلى النتيجة. وكقولنا مثلاً "أن حجم الماء المزاح من وعاء مملوء بالماء يساوي حجم الجسم المغمور"(قاعدة أرخميدس).

ولكن عندما نتكلم على مفاهيم لا ترتبط بالمستوى الطبيعي المباشرنجد أنفسنا مضطرين للتعامل مع مفهوم متحرك للحقيقة، وأعني بذلك القول بأنه على الرغم من القناعة التامة بأن المفاهيم النظرية هي انعكاسات للواقع الموضوعي إلا أنها تؤثر بطرحها وتداولها اجتماعياً على الواقع الموضوعي ذاته. أي أن هناك تفاعل جدلي بين المفاهيم النظرية والواقع الموضوعي إلى الحد الذي يصدق معه القول بأن الإنسان يؤثر في واقعه من خلال أفكاره بنفس الدرجة التي يتأثر فيها بهذا الواقع.وإذا ما نظرنا إلى العلم بوصفه علم واحد يضم بداخله الفروع المختلفة من اجتماعية وبحتة، وإذا ما اتفقنا بأن العلاقة بين هذه الفروع هي علاقة عضوية بين فروع متساوية في الأهمية لا سيطرة فيها للفيزياء ولا للأدب.فإن هذه الصورة للعلم تتفوق على التركيزعلى رد كل العلوم إلى الفيزياء كما هي الحال في وجهة النظر الموروثة، كما أنها تتفوق أيضاً على نظرة **"رورتي"** التي تعطي التحليل الأدبي أهمية أكبر. وفي الوقت نفسه تعطي حل منطقي لمفهوم الحقيقة في ظل هذا العلم الواحد. **فالحقيقة تكون حقيقة عضوية تترابط بعضويتها مع العلم المتطور والسابح في بحر التاريخ. وتكون لذلك حقيقة متحركة تعتمد في حركتها على مستجدات الواقع. ولكنها مع ذلك موضوعية لكونها تعكس عضوية الواقع وتشابك الذات والموضوع.** (360)

وفي الاخير يلاحظ **"رورتي":**

أولاأنّ العقل لم يعد، في ضوء ما تقدّم، تلك المَلَكَة المتعالية على التاريخ، إنّما يقوم على علاقاته بلامعقولاته ويقيم فيها . **ثانيا** :أنّه ينبغي أن نتيح لصانعي المجاز من مفكّري أو شعراء الكون أو الوجود أن يمدّونا بما عندهم من مجاز، مهما بلغت لامعقوليّته. والمجاز إمكان اجتياز وعبور، ويقابله في اليونانيّة (**metaphora**)أي النقل والانتقال. وبالتالي، فما من أمرٍ يخوّلنا رفض أيّ مجاز يهدّد معارفنا أو يعيد النظر فيها.

---

(359) رورتي، ريتشارد: "نظرة براغماتية إلى الفلسفة التحليلية المعاصرة"، مجلة العرب والفكر العالمي، ترجمة فريق مركز الإنماء القومي، مركز الإنماء القومي، بيروت،لبنان، العددان 23-24، 2008، ص82

(360) رورتي ريتشارد : "الفلسفة ومرآة الطبيعة"، مرجع سبق ذكره ،ص248

4/ المطلب الرابع: الحقيقة والإعتقاد عند جيمس:

يقف **"وليام جيمس"** موقفا وسطا بين طرفين متباعدين,ففي كل عملية من عمليات المعرفة يؤدي التحليل إلى إظهارعاملين , معطيات الإدراك من جانب والعناصرالعقلية التي تعين على الربط بين هذه المعطيات من جانب آخر ومن أمثلة هذه العناصرالعقلية:الهوية والتشابه , و الإختلاف في الزمان و المكان والكم والكيف,والعلية ,والغائية,والإمكان,والضرورة.و تعدهذه العلاقات هياكل ضرورية لكل فكر,وهي دعامات منطقية لكل سرح علمي,وأصول ثابتة لكل مذهب فلسفي.

ولقد كان التجريبيون يقعون في حيرة إزاء هذه العناصر,ويجدون أنفسهم عاجزين عن إلتماس أصل لها في معطيات الحس.وعلى ذاك فهذه العناصر تعززموقف العقليين في دعوتهم إلى التسليم بمبادىء تتخطى كل تجربة وتعلوعلى كل إحساس,كالأفكار الفطرية والصورالأولية والمقولات الذهنية..إلخ

ويستند **"جيمس"على الحسم في هذا الخلاف بالتحليل السيكولوجي,فيخلص منه بأن العلاقات التي يتصورها فكرنا بين وقائع الحس الخام ,تقوم في التجربة المباشرة قيام الوقائع الخام ذاتها.**(361)ويترتب على ذلك إذن أن مقولات الذهن التي إكتسبت شهرة في تاريخ الفلسفة وكانت دائما حجرالزاوية في المذهب العقلي و حجرعثرة في طريق المذهب التجريبي الكلاسيكي, هذه المقولات لاوجود لها في نظرالتجريبية الأصيلة .إذ أن هذه التصورات والتي لاحت متعالية أوعقلية صرفة عندما نلاحظها ملاحظة عابرة,فإن عالم النفس الذي يعنى بفحصها يمكنه أن يؤكد لنا بسهولة و يسر أنها مستمدة جميعها من وقائع التجربة , وأن طبيعتها الواقعية أمر لاسبيل لنا إلى إنكاره, شانه في ذلك شأن اي واقعة أخرى من وقائع التجربة .والحق أن حياتنا العاطفية ثروة ضخمة فهي أغنى بكثير وأشد تنوعا وعمقا مما بدا لمعظم الفلاسفة عقليين وتجريبيين على حد سواء.وعلى ذلك فنحن لما ندرس هذه الحياة دراسة واعية فيها فطنة ويقضة نرى أنها تنتظم مجموعة عظيمة من التجارب الأصلية.ويعد هذا الكشف التي توصل إليه **"جيمس"**في ميدان الدراسات النفسية أساسا متينا ودعامة راسخة لتجريبيته الأصيلة سواء في ميدان الميتافيزيقا أو في نظرية المعرفة .

---

(361) الشنيطي محمد فتحي: "وليام جيمس"، مكتبة القاهرة الحديثة ،مصر ،ط1،سنة1975.ص111.

فقد كان الفلاسفة قبل عهد **"جيمس"** ينظرون إلى الظواهر في إنطباعات الإحساس على أنها تثبت وتتصل في الذاكرة وفي الخيال بحيث تكتسب أسماءا في اللغة كالأحمر والبارد والجامد والجبل والمنضدة والسور والحزن .بيد أن في اللغة كلمات أخرى كثيرة لايمكن أن نردها إلى تجربة ما.هذه الكلمات تعبير عن علاقات منطقية مثل :لكن ,إذن ,و,لأن ,بشرط.

وفي مقال مشهوربعنوان: **"عن بعض ما أغفله علم النفس الإستبطاني"**يوجه "وليام جيمس" انتباها لأول مرة إلى أن هذه الكلمات وإن بدت خلوا من المعنى في ذاتها ,إلا أن لها مع ذلك مضمونا حسيا. وكل منها يوجهنا إلى موقف عقلي معين ,إلى توقع أو إلى إنفعال ,وعلى ذلك فهنالك شعورمحدد توقظه هذه الضمائر.وإن إستعصى هذا الشعورعلى التحليل وكان منحصرا في كونه إنتقالا بين أفكار في الذهن,فإن له من الكيان ما يقارب كيان الإحساسات والإدراكات والصوروالذكريات, وهي المشاعرالجوهرية.ولما كنا نستغرق في حياتنا في هذه

المشاعرالجوهرية لثباتها وإطرادها ومالها من أهمية عملية,فإننا لا نكاد نعني بهذه الحروف الإنتقالية التي تربط بينها.ولكن"جيمس"، يمنح هذه الحروف حقها الطبيعي من عناية الباحث وهو يعتبرها من ثم حقائق نفسية وبذلك **يبسط "جيمس" من مجال تجاربنا الحية فيجعلها تشمل ما هو أبعد من الإحساسات الخام التي ظل علم النفس محصورا في نطاقها**. (362)

ففي شبكة الحياة النفسية المعقدة خيوط عديدة ينبغي أن نعنى بها جميعا,يستوي في ذلك الإحساسات والصوروالذكريات وما يربط بينها من حروف,فكلها تأتينا من معطيات تجربتنا المباشرة.فإذا شملت عنايتنا هذه الشبكة في جميع جوانبها لم نترك فجوة ما تفسح المجال لإدخال مبادىء أولية يستعان بها على تفسيرعملياتنا العقلية .

وتتصل التجريبية الأصيلة بذلك الموضوع الذي كثيرا ما إحتدم حوله النقاش وثار الجدل أعني به **"موضوع الحقيقة"** أوصلة الشعوربموضوعه. ونحن نتساءل مع **"جيمس"** أليس من طبيعة الشعور وفي جوهره أن يكون له موضوع أعني أن يدل على شيء ماخارج عنه أعني على شيء غيره ؟ أليس من الواضح الجلي أن علاقة كهذه من طبيعة تصورية بحتة,فهي من ثم غريبة عن الوقائع المعطاة في التجربة الإدراكية ,بل ومتنافرة معها كذلك ؟ فهذه المعطيات الإدراكية أمور بسيطة قائمة بالفعل ولا يمكن أن تخرج عن النطاق التي تدور فيه .

---

(362) الشنيطي محمد فتحي: "وليام جيمس"، مرجع سبق ذكره ،ص114.

ولكن كيف تتم المعرفة غن لم يكن هنالك حقيقة ؟ فإذا لم تكن الحقيقة منطوية في هذه المعطيات الإدراكية لتعرض بناء التجريبية الأصيلة للإنهيار.

وقد بذل **"جيمس"** جهدا عظيما في الإهتمام بهذه المشكلة فقلبها على وجوهها ودرسها دراسة مستفيضة في مختلف زواياها ,وكتب في ذلك عددا من المقالات جمعت في كتابه "معنى الحقيقة ". وقد إتجه في هذه الدراسات إلى إطراح التصور الفكري المجرد للحقيقة إذ إعتبره تصورا لفظيا خلوا من المضمون ,وإستعار عنه بالتصورالبراجماتي ,وهوالتصور الوحيد الذي يلائم الوقائع و يتسم مع التجريبية الأصيلة.ولنضرب مثلا بسيطا على ذلك(363):أسمع صوتا أتبين فيه صوت صديقي (س) .فأين هي الحقيقة ؟ أنا أقول ها هو ذا (س) قادم . فحقيقة هذه الفكرة تكمن في مطابقتها لموضوع أعني بذلك مطابقتها للواقعة التجريبية الحية و هي أن (س) قادم فعلا ,(س) بعينه لا شخص آخر .وكن ماذا تعني المطابقة أو ما يرادفها من ملاءمة و موافقة ؟ قد نرى أنها تعني أننا فتحنا الباب فوجدنا (س) أمامنا , ورأيناه و صافحناه وإحتفينا به و تحدثنا إليه .وهذا كله يؤكد تأكيدا مباشرا قاطعا أننا لم نخطىء في تفكيرنا بأن هذا الصوت الذي سمعناه هو صوت صديقنا (س).

إن العقل السليم يفضي بنا إلى هذا التعريف البراجماتي للحقيقة:إن حقيقة إعتقادي في حضور(س) تتمثل في سلسلة من التجارب العملية المباشرة للتحقق من صدق هذا الإعتقاد , سمعت الصوت فنهضت فإتجهت إلى باب الغرفة و فتحته,ودلفت إلى الردهة ورأيت صديقي وتحققت تحققا تاما من وجوده.إن التجربة الأولى – سماع صوت صديقي (س) قادتني في سلسلة من التجارب الأخرى الواضحة المحددة إلى تجربة نهائية وهي التحقق مما أومأت إليه التجربة الأولى والتثبت مما تنبأت به .ولا يعدو هذا أن يكون تعاقبا بين تجارب إرتبطت حلقاتها في سلسلة وقد مارسنا تجربة هذه الحلقات جميعا فلسنا إذن بصدد علاقة تصورية بحتة في الذهن . وهنا يعترض أصحاب المذاهب الفكرية المجردة فيرون في هذا التفسير قلبا للأوضاع .إذ يضع العربة أمام الجواد طبقا للمثل الشائع .فليس الفضل في صحة فكرتك عن(س)أنك تحققت منها,ولكن هذه الفكرة حقيقية ولذلك أمكن لك التحقق من صحتها. وتختلف الحالات الخاصة بإختلاف طبيعة الأفكار و موضوعتها.ولا يمس هذا الإختلاف العلاقة القائمة بين الواحدة منها والأخرى,ذلك لأن هذه العلاقة هي هي دائما وهي عامة كلية سرمدية لا يمكن تعريفها .

---

(363) الشنيطي محمد فتحي:" وليام جيمس"، مرجع سبق ذكره.ص115-116.

فالحقيقة إذن سابقة على كل بحث وتحقيق , والحقيقة هي التي تؤلف جوهر كل قضية صادقة , ولا سبيل لنا إلا أن نقر بهذا .ففي هاتين القضيتين المتعارضتين "الكوكب (مارس) يسكنه الناس " و"الكوكب (مارس) لا يسكنه الناس" نرى بالمنطق إحداهما لا بد و أن تكون صادقة والأخرى كاذبة و القضية الصادقة قضية صادقة في ذاتها مستقلة بعينها عن كل تحقق و هي صادقة دائما و ستظل صادقة دائما .وحتى إذا تبدلت أحوال الكوكب (مارس) فلن يكون لهذا التغير أدنى أثر على الحقيقة السرمدية الكامنة في القضية التي عبرت عما هو كائن في (مارس) قبل التغيير الذي طرأ عليه.

ولم تثن هذه الحجج من عزم **"جيمس"** ,فهو يرى في هذه النظرة إلى الحقيقة نظرة أفلاطونية صورية تجريدية ولفظية فارغة ,تجعل من "الحقيقة" وسيطا سابقا على كل شعور إنساني لا نلمسه ولانحسه.وهذا الوسيط قائم دواما بين "الواقع" وبين "الفكر" .

بيد أن **"جيمس" يرى أن الفكر و الموضوع كليهما يتحد بالتجربة ,و على ذلك فالحقيقة لا تعبر عن علاقة ما أعلى من التجربة , وهي لاتفصح عن علاقة ما لا تخضع للتعريف والتحديد أي أنها لا تنم عن علاقة مستقله عنا. ولكنها تدل على علاقةخاصة جزئية تحدث دائما في الميدان العملي بين مختلف أجزاء التجربة ذاتها .وعلى ذلك فالحقيقة قطعة من الشعور وجزء لا يتجزأ من التجربة ,** (364) وسواء أدى الأمر بنا إلى التحقق من وجود صديقنا (س) أو عدم وجوده , فالمسألة كلها مرهونة بالتجربة , والتجربة في ذاتها ليست كاذبة أوصادقة ولكنها هي هي على ما هي عليه. فالحقيقة إذن ليست صفة باطنية لا سبيل إلى تعريفها .بعد هذا العرض المبسط لفكرة "الحقيقة " الذي إستعنا فيه بمثال الصديق (س) نحاول أن نعرض رأي "جيمس" في هذا الصدد مستندين إلى التحليل السيكولوجي لأصول المعرفة .يقال:**إن "الحقيقة" خاصية ملازمة للأفكار ,فصدق الأفكار أي حقيقتها يعني موافقتها للواقع كما أن كذبها أو بطلانها يتمثل في عدم موافقتها للواقع.** (365)

والبراجماتية والنزعة التجريدية تلتقيان عند هذا التفسير للحقيقة ,بيد أنهما سرعان ما تفترقان على معنى "الواقع" و معنى "الموافقة " , وطبقا للقاعدة البراجماتية نتساءل دائما : لنفرض جدلا أن فكرة ما أو معتقدا ما صادق , فما الفرق العملي الذي يؤدي إليه صدقه في الحياة العملية ؟ وأية تجارب تختلف عن تلك التجارب التي نصل إليها إذا كانت الفكرة باطلة أو المعتقد باطلا ؟

---

(364) الشنيطي محمد فتحي: "وليام جيمس"، مرجع سبق ذكره.ص117-118

(365)* جيمس، وليام: "البراجماتية"، مصدر سبق ذكره، ص200-201

وبإختصارما قيمة المعتقد في العمل ,وما أهميته حين نزنه بميزان التجربة ونقيسه بمقياس الواقع ؟ والإجابة البراجماتية على هذا ميسورة المنال .**الأفكار الصادقة هي تلك التي يمكننا أن نتثبت من صحتها , والأفكار الكاذبة هي التي لا نستطيع أن نتحقق من صدقها .فالتثبت والتحقق بالفحص والتحليل,هما اللذان يحددان الحقيقة و يؤلفان لبها و جوهرها.**(366)

فإذا تقبلنا هذا التفسير"للحقيقة" لنبني على هذا أنها ليست خاصية ملازمة لفكرة صادقة ,ولكنها شيء يحدث للفكرة ,فتغدوا الفكرة بفضله صادقة.ومعنى هذا أن الأحداث هي التي تجعل الفكرة صادقة.فحقيقة الفكرة أوصحتها أوصدقها تتمثل في عملية التحقق منها ,فما كنه التحقق على النمط البراغماتي؟ نحن نعيش في عالم وقائع,وهذه الوقائع قد تكون نافعة وقد تكون ضارة. والأفكار التي تتنبؤ سلفا بما نتوقعه من واقع معين هي أفكار حقيقية . وإمتلاك الحقيقة ليس غاية في ذاته و إنما هو وسيلة إلى إشباع إهتماماتنا المتجددة , ولما كنا في حاجة دائمة إلى إشباع إهتماماتنا فإن واجبنا الأول أن نواصل السعي وراء الأفكارالحقيقية .فالقيمة العملية للأفكار الحقيقية تستمد من أهمية موضوعاتها لنا.ونحن نختزن الأفكار التي تثبت قيمتها في الحياة العملية في مستودع ذكرياتنا .وقد ننتفع بها في زمان تال حين تمثل المناسبات التي تلائمها ,وحينئذ **نقول عن هذه الفكرة "إنها نافعة لأنها حقيقية" أو"أنها حقيقية لأنها نافعة"**(367)

فهاتان القضيتان سواء في معناهما ومضمونها ,وهوأن ثمة فكرة قد تثبتنا من صحتها .فصفة الصدق أو"الحقيقة" اتي ننسبها إلى الفكرة , ننسبها إليها حين نبدأ بها عملية التحقق ,وصفة النفع تدل على الفكرة حين تؤدي وظيفتها في التجربة.ومع ذلك فليس ميسورا أن نقوم بالتحقق تحققا مباشرا من جميع الأفكار .ومن هنا ففي وسعنا أن نجيزصدق فكرة تتحقق صحتها تحققا غير مباشر,حينما تكون هنالك ملابسات تدل على صحتها دون أن نتمكن من الإستيثاق إستيثاقا مباشرا من ذلك.ولذلك فنحن نسلم بالقضية "اليابان موجودة" مع أن أغلبنا لم يزر هذه الجزر,ونحن نتقبل هذه القضية لأنها تتفق مع معتقداتنا ولأنه ليس هنالك قضية تناقضها .

---

(366) بدوي(عبد الرحمن): الموسوعة الفلسفة، الجزء الاول،. مرجع سبق ذكره.ص449

(367) جيمس، وليام: "البراجماتية"، مصدر سبق ذكره، ص262.

وكذلك الشأن في كثير من معتقداتنا الأخرى , فنحن نجيزها ما دمنا لم نتلق بمعتقدات تناقضها مثل ذلك أوراق مثل النقد تضل صالحة طالما كان الناس جميعا يتعاملون بها .وليس يخفى أن ثمة تحققا مباشرا في نهاية المطاف يسند هذا التحقق المباشر **.ونحن على ذلك نتعامل بمعتقداتنا , فأنا أثق بمعتقداتك ثقتك بمعتقداتي والمعتقدات التي يتحقق منها البعض تحققا مباشرا تعد دعامات راسخة لتعاملنا هذا وما يصدق على الأفكار المتصلة بموضوعات تجربتنا الحسية يصدق على أفكار الموضوعات المتصورة والعلاقات المجردة .** (368)

ونحن لانسرف في الأخذ بالأخيرة كما لا نسرف في التسليم بالأولى , وإنما ننظر إليها جميعا على قدم المساواة .الجبر في النظام الفكري يماثل الجبر في النظام الحسي .وينبغي لأفكارنا أن توافق الحقائق سواء أكانت هذه وقائع مجسمة أومجردة , مدركات أو متصورات .وإلى هنا لا يستطيع أصحاب المذاهب المجردة أن يعترضوا , ولكننا حين نتساءل : ماذا نعني حين نزعم أن أفكارنا توافق الواقع ؟ فإن أوسع معنى لهذا هو أن أفكارنا إما أن تهدينا إلى الواقع ذاته أوإلى ما يكتنفه ويحيط به , ويغلب على الظن أنه يكون "للموافقة" معنى سلبي بحيث أن الواقع المعطى لنا في التجربة لا يتدخل في الطريقة التي تهدينا بها أفكارنا .

وحين يفحص **"جيمس"** العلوم يرى أن أعظم مهمة تقوم بها في ميدانها هو العثور على نظريات يمكن أن تنهض بالعمل :نظريات يمكن أن تكون بمثابة وسيط بين حقائق سابقة وبين تجارب جديدة و ينبغي للنظرية العلمية أن لا تزعزع المعتقدات السابقة إلا في أضيق نطاق وأن تؤدي إلى نتيجة ملموسة أو نتيجة يمكن التحقق منها .و النظرية التي تعمل "بالمعنى البراجماتي" يجب أن تصيب الهدفين معا .وحين يشتد التنافس بين نظريتين في ميدان العمل و يستوان في التقدير ,فإن المفاضلة بينهما تقوم على أساس الأسلوب والإقتصاد في الجهد.ذلك لأن الحقيقة في العلم هي تلك التي تزودنا بأكبر قدر من إشباع لإهتماماتنا بما في ذلك ذوقنا .

---

(368) بدوي(عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، الجزء الاول، مرجع سبق ذكره.ص450

وقد إنتقد أعداء البراجماتية هذا التفسير "المنسوب **لجيمس**" للحقيقة إنتقادا مرا وحملوا عليه حملة عنيفة ونعتوه بالسفسطة والمغالطة.بيد أن "جيمس" **لم يعبأ بهذه الحملة وفسرها على أنها ناجمة فحسب من سوء فهم للبراجماتية . وقد عرض لثماني إحتمالات لسوء فهم المنهج البراجماتي وفندها جميعا ,وذكر أن حججه وحدها كفيلة بتقويض أدلة خصومه.** (369)

لكن جيمس يرى **أن** الهجوم على التصور البراجماتي للحقيقة ليس في صميمه هجوما على الوقائع التي تشملها الحقيقة بقدر ما هو هجوم على ما تعنيه كلمة "حقيقة" ذاتها. والبراجماتيون حين يتحدثون عن الحقيقة يعنون بها العمل الذي تقوم به , بينما يعني خصومهم الموضوعات التي تدل عليها ,وشتان بين النظريتين .

فخصوم البراجماتية يقولون إن العمل الذي ننهض به في ميدان الحقيقة ملازم لها و لكنه لا يؤلف كيانها.ومن ثم يلحون على ضرورة أن يكون لها كيان خاص بها ينضاف إلى هذا العمل , ومن ثم فهي سابقة عليه و مفسرة له .و"**جيمس" يرى أننا حين نتبع "القاعدة البراجماتية" ونستخدم الحقيقة على ضوئها على أنها تمثل خاصية في الفكرة لا في الموضوع فإننا لا نصادف عقبة ما في الوصول إلى أن "حقيقة الفكرة" تتمثل فحسب في "العمل" الذي تقوم به هذه الفكرة**(370)

و"جيمس" مقتنع إقتناعا لا يتزعزع بأن"الحقيقة" كما يفهمها تتصل جذورها إتصالا عميقا بوظيفة المعرفة الإدراكية و كل معرفة إدراكية تعتمد على حالة من حالات الشعور,وتنطوي على الأقل على إحساس ما ,شعورما أو فكرة ما إذا أخذنا الفكرة بأوسع معنى لها أي بالمعنى الذي نجده عند **"لوك"** .ولكن لسيت المشاعر كلها تدخل في نطاق المعرفة الإدراكية.فبعضها لا يعدوأن يكون وقائع بسيطة ذاتية لها وجود فيزيقي فحسب ,وتفتقر إفتقارا تاما لتلك الوظيفة التي ترقى بها ,والتي بدونها لا يمكن أن تغدوا أجزاء المعرفة.

---

(369) يرى "جيمس " أن أعداء البراغماتية يسيئون فهمها من ثمانية أوجه هي : أولا: يرون أن البراغماتية نسخة من الوضعية .ثانيا :أنها دعوة إلى الفعل .ثالثا :ان البراجماتيين يقطعون على أنفسهم طريق الإعتقاد في حقائق موضوعية .رابعا: أنه لا يمكن أن يكون هناك براجماتي واحد واقعيا في نظريته في المعرفة .خامسا:إن ما يقوله البراغماتيون يفتقر إلى الإتساق و التوافق .سادسا :أن البراغماتية يقتصر تفسيرها على كيفية الوصول إلى الحقيقة لا على ماهية الحقيقة ذاتها .سابعا: أن البراغماتية تغفل الإهتمامات النظرية.ثامنا :أن البراجماتية مغرقة في مثالية ذاتية."

(370) الشنيطي محمد فتحي: "وليام جيمس"، مرجع سبق ذكره.ص124

وهنا يتبع **"جيمس"** العقل السليم فيعتبر المعرفة معرفة بالوقائع الحقيقية التي توجد مستقلة عن الإحساس الذي تم من خلاله إدراكها .وهو ينكر وظيفة المعرفة على أي إحساس لا نعتقد نحن في أن مضمونه أو صفته موجودة خارجه كما هي موجودة داخله .**إن الإحساس الذي لا يستطيع أن يعلو على ذاته فيدل على حقيقة واقعية تتخطاه يمكن إعتباره حلما أو وهما أو غلطة ولكنه لا يمكن أن يكون معرفة ولا يسعه أن يزودنا بمعرفة.** (371)

ويرى **"جيمس"** أن كلمة معرفة ذاتها يمكن أن تستخدم بطريقتين متميزتين :ففي وسعنا أن نقول إننا نعرف شيئا أو إنسانا أو عملا , أو نقول إننا نعرف كذا و كذا عن شيء أو عن إنسان أو عن عمل .ففي الحالة الأولى **لاتعدوا المعرفة أن تكون إلفا أو دراية بما هو معروف , وفي هذا تكون المعرفة أقرب إلى إتصال تجريبي وإحتكاك حسي منها معرفة عقلية خالصة .وهذا هو لون المعرفة الذي نصل إليه حين ندرك شيئا ما إدراكا حسيا فنراه ونلمسه و نسمعه أو نشاهد صورة له فحسب .أما في الحالة الثانية فالمعرفة تتمثل في تصورات و أحكام و قضايا , وهذه هي المعرفة العقلية . هذا النمط الثاني من المعرفة في أمل معنى له هو ما نعنيه في العلم و في الفلسفة.** (372)

وهنا ندع **"جيمس"** يحدثنا نفسه عن التصورات التي تقوم عليها معرفتنا حديثا بلغ فيه الذروة في العرض و التحليل و الإستخلاص .وبذلك يستكمل القارىء الصورة التي نود ان ننقلها إليه عن موقف "جيمس" الفلسفي من المعرفة: **"أول ما يجدر بنا ملاحظته بقدر ما يسعفنا الحدس و التكهن أن التفكير في المراحل الأولى للذكاء الإنساني كان قاصرا على الناحية العملية, ثم أخذ الناس يصنفون إحساساتهم في فئات و يستعيضون عنها بتصورات ,لكي يستخدموها فيما هي أهل له و ليتأهبوا للمهام التي ستواجههم , وأسماء كل فئة تدل على نتائج ربطت بينها في مناسبات أخرى وبين سائر أفراد الفئة .وهذه النتائج قد يظهرها أيضا الإدراك الحاضر.** (373)

وعلى ذلك فإن الإدراك الحاضرالمباشر كثيرا ما يغوص في النتائج التي يفترضها التصورالمستعاض به عن الإدراك .

---

(371) جيمس، وليام: "معنى الحقيقة"، مصدر سبق ذكره.ص146
(372) المصدرنفسه،ص11-12
(373)*الشنيطي محمد فتحي: "وليام جيمس"، مرجع سبق ذكره.ص126

وعلى الجملة ,فإن الإستعاضة عن التيار الإدراكي المباشر ,لتصورات مرتبطة فيما بينها لإرتباطات تجمعها في نظام تصوري عام , يتسع بميدان مشهدنا العقلي .فلو لم يكن لنا تصورات لعشنا ببساطة نقف عند لحظات تجربتنا الواحدة إثر الأخرى , كحيوان البحر الذي لا عش له , يربض على صخرته متقبلا ما تواتيه به أمواج البحر من فضلات الطعام .

ونحن نستطيع بتصورات أن نشرع في البحث عن الغائب وعما هو بعيد عنا , ونتجه بنشاط في هذا الطريق أوذاك,نطوي تجربتنا و نتعرف حدودها , نغير من نظامها ,فنعود بها إلى وراء,نجمع قطعها البعيدة و نفرق قطعها القريبة .ونثب فوق سطح تجربتنا بدلا من أن نغوص فيها , ونشكل من موادها البسيطة عددا من الأشكال الهندسية على قدر ما يستطيع عقلنا أن يشكل .كل هذه وسائل نتوسل بها لنقبض بأيدينا على التيارالحسي المتدفق ولنلتقي بأجزائه البعيدة .ومهما يكن شأن هذه الوظيفة الأولية التي يؤديها التصور , فإنني أختم حديثي عنها بما سبق لي أن ذكرته , وهو أنها ملكة تنضاف إلى وعينا الإدراكي لتهيأنا في الميدان العملي , للتكيف ببيئة أوسع من البيئة التي يعيش فيها الحيوان "**إننا نرتب الواقع الإدراكي في تصورات لنستغله فيما يلائم أهدافنا ملاءمة أفضل .وهل ترجمتنا التصورية للتدفق الحسي تمكننا أيضا من فهم الماضي فهما صحيحا ؟ وماذا نعني بقولنا تجعلنا نفهم ؟ إننا لو طبقنا قاعدتنا البراجماتية في تفسير الكلمة ,لرأينا أنه كلما كان فهمنا لشيء ما أفضل كانت قدرتنا أكبر على أن نتحدث عنه ,وقياسا على ذلك فإن تصوراتنا تجعلنا نفهم إدراكاتنا فهما أفضل .فمعنى كوننا نعرف هذه الإدراكات هو أننا نستطيع أن نذكر جميع أنواع الحقائق البعيدة المتصلة بها وستكون علاقات الواقع من مكانية و زمانية منظمة ومرسومة.** (374)

وثمة رأي فلسفي قديم منحدر من أرسطو , يذهب إلى أننا لا نستطيع أن نفهم شيئا ما إلا إذا أحطنا بعلله .فعندما تقول الخادمة :"إن القط كسر فنجان الشاي" فإنها تريدنا أن نتصورالكسر تصورا سببيا يربط بين العلة والمعلول .ولم يفعل"كلارك ماكسويل" شيئا آخر حين طلب منا أن نتصورأن كهرباء الغازهي السبب في تصور الذرات ,فثمة عامل خيالي يستخفي على النظر ينضوي في محتوى العالم,ونحن نضع مكانه الإدراك الذي نبغي تفسيره, وتتوقف صحة التفسيرعلى مدى تصورالعلة تصورا يجعل وجودها مرجحا لصلتها بالمعلولات التي تنجم عنها .

---

(374) كاز،بيتر:تاريخ الفلسفة في أمريكا ،خلال 200عام،ت حسني نصارومرا وهبة،مكتبة الانجلو المصرية،دط سنة1980.ص107

يلوح أن تفسيراتنا العلية كلها تطابق هذا النمط البسيط "ضرورة القطة لكسر الفنجان" كما سبق أن أوردنا في مثال الخادمة .إن النظام المتصور للطبيعة قد بني حول نظامها الإدراكي، وهويتولى تفسيره تفسيرا نظريا ,وهذا النظام التصوري لايعدو أن يكون نظاما فرديا تطابق قسماته قسمات الإدراك المباشر.فالنظام التصوري هو في جوهره طوبوغرافي,أي نظام توزيع الأشياء.وهويفيدنا عن هذه وتلك من العلاقات التي نتساءل عنها .

وعلى ذلك فالنظام التصوري يقتصر على تجلية نتائجنا العملية , وتلك هي المنفعة الحيوية التي نجنيها من ملكة التصور :فالتصور يجعلنا نتكيف بيئة متسعة .وحين نعمل و نحن على بينة من علل الأشياء نجني منافع لم نكن لنجنيها لو كنا نعمل مقتصرين على الأشياء وحدها.ولكن لكي نصل إلى مثل هذه النتائج ينبغي أن تكون التصورات في نظامها المفسر لها مرتبطة فيما بينها إرتباطا متناغما .وماذا يعني ذلك ؟ هل يعني هذا أيضا ميزة عملية فحسب أم أن ثمة شيئا آخر فضلا عن ذلك ؟

يبدو أن ثمة شيئا جديدا , لأنها تشيرإلى الحقيقة القائلة بأنه ما تكاد أنواع مختلفة من التصورات أن يتم تجريدها أو بناؤها حتى تقوم علاقات جديدة تربط بينها بوسائل وثيقة عقلية لايطرأ عليها تغير.ولقد حاولت في كتاب آخر(أصول علم النفس) أن أبين أن هذه العلاقات العقلية هي كلها ثمرات لملكتنا التي تقارن وللحاسة التي لدينا عن "التفاوت".والعلوم التي تعرض هذه العلاقات هي العلوم التي نطلق عليها العلوم الأولية , وهي الرياضيات والمنطق *"شرح"**ج ,ه,لويس" طابع الضرورة في الحقائق المجردة التي تعرضها هذه العلوم شرحا طيبا في كتابه مشكلات الحياة و العقل** "،(375) ولكن هذه العلوم تفصح عن علاقات المقارنة والهوية دون غيرها فالهندسة والجبر مثلا يقومان أولا بتعريف بعض الموضوعات التصورية , ثم يقيمان بعد ذلك معادلات بينها بحيث يحل كل موضوع محل ما هو مساوله .

ولقد عرف المنطق بأنه "إبدال المتشابهات", وفي وسع المرء أن يقول بصفة عامة , إن إدراك التشابه أو عدم التشابه يولد الحقيقة "العقلية" أو"الضرورية" كلها .وليس ثمة شيء يحدث في علم المنطق والرياضيات ,وفي عالم التفضيل الأخلاقي أوالجمالي .

---

(375)كاز،بيتر:تاريخ الفلسفة في أمريكا ،خلال 200عام، مرجع سبق ذكره.ص213

إن الطبيعة الثابتة للعلاقات في هذه العوالم هي التي تصبغ القضايا التي تعبرعنها بالطابع السرمدي،فنظرية ذات الحدين تعبر عن قيمة أي قوة أو أي كمية قائمة في حدين إلى نهاية الزمن. هذه الأنظمة الواسعة الثابتة بالحدود الكلية هي التي تصيغ عوامل الفكر الجديدة التي سبق أن تحدثت عنها .**فالحدود عناصرأو(تتألف من عناصر) جردت من التدفق الإدراكي ,ولكننا نلاحظ في شكلها المجرد علاقات قائمة بينها (ثم علاقات بين هذه العلاقات) تمكننا من أن نضع مشروعات متعددة لأنظمة متتابعة محددة ,ولروابط متفاوتة. (376)** والألفاظ أوالحدود هي في الواقع من صنع الإنسان ,ولكن النظام وهو ينجم عن المقارنة , تحدده طبيعة الألفاظ من ناحية وقدرة إدراك العلاقات من ناحية أخرى.

وعلى ذلك فمجموعتان مجردتان كل منهما من إثنين تظلان دائما كما هما بإعتبارهما أربع مجردات.وما يحتويه المتضمن يحتويه كذلك المتضمن فيه ,وإذا أضيف متساويان إلى متساويين فالنتيجة متساوية دائما في عالم المساواة المجردة فيه ,هذه الخاصية الوحيدة التي يفترض أن الألفاظ حاصلة عليها .وما هو أكثر من الأكثر فهو أكثر من الأقل بصرف النظر عن الإتجاه الذي تتم الزيادة فيه .فإنك إذا إنتزعت حدا من سلسة واحدة فإنك تنتزع من السلسة في كل مرة والسلسلتان لا تنتهيان أبدا ,أو تنتهيان معا أوإحداهما تستغرق قبل الأخرى...إلخ,والنتيجة هذه هياكل من الحقيقة "العقلية "أو "الضرورية" التي تستند إليها كتبنا في الرياضيات,و(أحيانا في الفلسفة) في ترتيب حدودها الكلية .

وما برح هنالك سبب آخر لكون التصور يؤدي وظيفة غاية في الأهمية ,فالتصورات لا ترشدنا في خريطة الحياة فحسب,بل ونعيد وضع قيم للحياة حين نستخدمها .وعلاقة التصورات بالإدراكات ممثلة لعلاقة البصر باللمس .فالبصريعيننا في الواقع حين يهيئنا للإحتكاك بالملموسات ,بينما تكون هذه مازالت بعيدة جدا عنا .ولكنه ينعم علينا فضلا عن ذلك بعالم جديد تتجلى فيه روعة المشهد ,عالم يجذب إهتمامنا ويجعلنا نقبل على حياة مليئة بالعمل.وهذا بالضبط ما تفعله التصورات حين تخلع على عالمنا روعة وجمالا .وإن إمتلاك صور عديدة متسعة بسيطة هو في ذلك خير ملهم إذ يوقظ فينا مشاعر جديدة بالتسامي و القوة و الإعجاب , ويثير فينا إهتمامت جديدة وحوافز عديدة.

---

(376) James, W. Pragmatism: A new name for someold ways of thinking. New York: Longmans,Green, & Co(1907).p363

وكثيرا ما ترمق المثالية الأشياء بنظرة إعجاب , لا لشيء إلا لأنها جردت,فالعلل مثل "هدم العبودية , والديموقراطية...الخ" تتضاءل حين تتحقق في جزئيات **.إن المجردات لتلمسنا حين نتجه إلى الأمثلة الواقعية التي تكمن فيها هذه المجردات.ولما كنا أوفياء في مقاييسنا للجزئيات للمثل العليا الجزئية ,فإننا لا نلبث أن ننظر إلى الولاء المجرد على أنه شيء أسمى, يكون الولاء فيه ولاء لامتناهيا وتغدو"الحقيقة" -على طول المدى –"منفذا مؤقتا" إذا قورنت بما تكون الحقائق عليه في تفصيلاتها من "قطع صغيرة و تخبط متتال ."**(377)

وبمقدار قوة تنبيه الموضوعات العامة و السرمدية لحساسيتنا تكون للحياة قيم أعمق حين نترجم الإدراكات إلى أفكار,وتظهر الترجمة كما لو كانت بعيدة جدا عن الأصل الذي نقلت منه .وعلى ذلك فالتصورات تؤدي أدوارا ثلاثة متميزة المعالم في الحياة الإنسانية :

أولا – فهي تقودنا كل يوم في الحياة العملية و تزودنا بخريطة واسعة من العلاقات القائمة بين عناصر الأشياء ,وهذه الخريطة و إن لم تساعدنا الآن , فهي تعيننا في مناسبات مستقلة ممكنة وترشدنا إرشادا عمليا .

ثانيا وتأتي التصورات بقيم جديدة في حياتنا الإدراكية وتنعش إراداتنا من جديد ,

وتجعل أعمالنا تتجه إلى نقط جديدة أشد فاعلية .

ثالثا :والخريطة التي يرسمها العقل من التصورات , لها في ذاتها وجودها المستقل عندما يتم تكوينها .وهي تكفي بذاتها جميع أغراض الدراسة .ووجبنا أن نقربالحقائق السرمدية التي تحتويها هذه الخريطة حتى وإن إنعدم عالم الحس .من هذا نرى بوضوح مبلغ مكسبنا وخسارتنا حين نترجم الإدراكات إلى تصورات , فالإدراك الحسي قاصرعلى ما هو هنا و على ما يجري الآن , والتصور ينصب على ما يماثل و ما لا يماثل في المستقبل , وفي الماضي , وفيما هو بعيد كل البعد .ولكن هذه الخريطة لما يكتنف الحاضر خريطة سطحية شأن جميع الخرائط , فقسماتها لا تعدوا أن تكون علامات ورموزا لأشياء هي في ذاتها قطع مجسمة في التجربة الحسية .

---

(377) كذلك تنظر ج،رويس: فلسفة الولاء 1908خاصة المحاظرة 7 القسم 5. "يقول إمرسون :"إن كل إنسان يشاهد على تجربته بقعة من الخطأ , في حين أن تجربة غيره من الناس تبدو له جميلة و مثالية .و لو عاد المرء إلى تلك العلاقات العذبة التي جعلت حياته جميلة , و التي زودته بأصدق ثقافة و أمتع غذاء لتقطر أسى و حسرة .وأسفاه لست أدري لما يجعل وخز الضمير في سن النضج أحلى ذكريات عهد الحداثة ذكريات مرة , و يتغلغل في كل إسم عزيز.كل شيء جميل إذا نظرت إليه من زاوية العقل أو نظرت إليه كحقيقة من الحقائق , و لكن كل شيء مر لو نظرت إليه كتجربة , فالتفصيلات كئيبة و لكن الخطة العامة نبيلة مزدانة .في الحياة الواقعية - دولة الزمان و المكان الأليمة – تسكن الهموم و الآفات و المخاوف .و مع الفكر و المثل الأعلى يوجد البشر الخالد أو زهرة السرور , و حوله تصدح جميع آلهة الشعر بالغناء .ولكن الحزن يلتصق بالأسماء و الأشخاص و الإهتمامات الجزئية و اليوم و الأمس .((مقال في الحب)) رويس ، جوزايا :فلسفة الولاء ترجمة: احمد الأنصاري مراجعة: حسن حنفي المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة/القاهرة ،مصرط1،سنة 2002 ص163

ونحن لا نملك إلا أن نزن الماصدق و المفهوم , وما هو سميك وما هو منتشر,وقد رأينا أن أحدها قد يكون له قيمة أعلى في بعض الأغراض و الآخر قيمة أسمى في بعض الأغراض الأخرى .ومن منا يستطيع أن يقرر قرارا حاسما أيهما خير مطلقا:أن نعيش أو أن نفهم الحياة ؟ ينبغي لنا أن نؤدي المهمتين معا ,ولا يستطيع إنسان أن يقتصر على إحداهما دون الأخرى ,كما لا يستطيع المقص أن يقطع بأحد نصليه دون الآخر .

إذن في نظر **وليام جيمس**:أن الأفكار الصادقة أوالحقيقية هي الأفكارالتي يمكن أن نتحقق منها، التي يمكن أن نثبت صحتها , والتي يمكن لنا تقويتها و تدعيمها ,والأفكار الكاذبة هي التي لا نستطيع أن نقوم بشيء من هذا إزاءها.فالصدق على ذلك محدث للفكرة ,و هذا الصدق ذاته يتولد من الأحداث,فصحة الفكرة مرهونة بحادثة أو بعمل.**إن إمتلاكنا لأفكار صادقة يعني أننا نمتلك أدوات instruments للعمل ,ومن المقطوع به أن للمعتقدات الصادقة المتصلة بالواقع أهمية بالغة في حياة الإنسان.فنحن نعيش في عالم وقائع realities قد تكون نافعة و قد تكون ضارة , والأفكار التي ترشدنا إلى الوقائع التي نأخذ بها هي أفكار صادقة ,وإتباع هذه الأفكار هو أول واجب إنساني يقع على عاتقنا .و إمتلاك الحقيقة أبعد أن يكون غاية في ذاته ,فهو لا يعدو أن يكون طريقا تمهيديا إلى إشباع حاجات أخرى أشد حيوية ,و على ذلك فالقيمة العملية للأفكار مشتقة من الأهمية التي لموضوعات هذه الأفكار بالنسبة لنا.**(378)

ومع ذلك فموضوعات ،هذه الأفكار ليست ذات شأن،وأهمية في جميع الملابسات والأوقات , بيد أنه طالما كان من الميسور لأي موضوع أن يغدو هاما في لحظة من اللحظات , فثمة نفع عظيم يعود علينا ولا ريب من الإحتفاظ بذخيرة من الحقائق ننتفع بها كلما دعتنا الحاجة.وحين يكون لفكرة من هذه الأفكار أهميتها ودعت حاجتنا إليها , فإنها تنتقل من مستودعها البارد إلى الحياة العملية التي ثبت فيها الدفىء والحيوية , فتنتعش وتؤدي مفعولها في العالم و ينمو إعتقادنا فيها . ويمكننا أن نقول عن هذه الفكرة أنها صادقة لأنها نافعة **It is true because it is useful** أو أنها نافعة لأنها صادقة **It is useful because it is true** ؛هاتان القضيتان معا تحملان على الدقة نفس المعنى,أعني بذلك أن هنا فكرة قد تحققت و يمكن التأكد من صحتها . من هذه القضية البسيطة، تستمد البراجماتية تصورها العام للحقيقة،بإعتبارها شيئا مرتبطا إرتباطا جوهريا بالطريقة التي نتبعها لحظة ما،في تجاربنا في هدايتنا إلى لحظات أخرى تستحق أن نصل إليها.

---

(378) محمود، زكي نجيب: حياة الفكر في العالم الجديد، مرجع سبق ذكره ، ص128.

فقيمة العقل تتمثل في كونه يؤدي هذه الوظيفة ,أعني أن يرشدنا إلى ما يستحق أن يرشد إليه. وتكمن وراء كل عملية تؤدي إلى الحقيقة ،يتم قيامنا بها مليون عملية ،كامنة في طريقها إلى الظهوروالنشاط .**إن الحقيقة تعيش في الواقع , مستندة إلى رأس مال ضامن Credit system و أفكارنا و معتقداتنا تظل في رواج طالما لا يتصدى لها ما ينافسها و يتحداها ,وما أشبهها في ذلك بالأوراق المالية تظل سارية المفعول طالما أن الناس جميعا يقبلون التعامل بها . ولكن ينبغي أن لا يفوتنا دائما أن نتحقق من صحة الأفكار كما نتحقق من صحة الأوراق المالية و بعدها عن التزييف , وإلا كان مصير أفكارنا الإنهيار,كما ينهار نظام مالي .إن ما هو حقيقي له بمثابة مرشد في طريق السلوك.(379)**

وتغدوالأفكار صادقة حين تعيننا على أن نرتبط بسائر أجزاء تجربتنا التي نعيشها إرتباطا نرضى عنه .إن أية فكرة تؤدي إلى إزدهر حياتنا وتحملنا من جزء إلى آخرعبر تجاربنا ,وتربط بين الأشياء ربطا نرضى عنه وتعمل في أمان وبساطة و توفرعلينا المجهود والمشقة , فهي فكرة صحيحة صادقة معا.

يبدو مما تقدم أن فلسفة **"وليام جيمس"** تكاد تنحصر في نطاق فردي ذاتي ،ولكن سرعان ما يبادر**"وليام جيمس"** نفسه بتجلية هذا اللبس ,فيذكر:**"أن تفسيره للحقيقة ،تفسير واقعي,يتماشى مع الثنائية في المعرفة Epstimological dualism التي لابد وأن يسلم بها كل فطن حصيف. (380)"**

إن إعتقادنا في وجود شيء مادي كوجود مكتب مثلا ,هوتصور موضوعي مستقل عن الذات، ولابد من التسليم به . هذا التصور للحقيقة الواقعية مستمد من التجربة التي نشترك فيها جميعا أعني التجربة الإجتماعية ,وهذه التجربة هي أساس التعريف البراجماتي للحقيقة ,فالإعتقاد بأن هنالك أشياء واقعية مستقلة عن الفكرة إعتقاد راسخ متين لاغنى لنا عنه .

---

(379) بدوي(عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، الجزء الاول، مرجع سبق ذكره.ص449

(380) بيري، رالف بارتون: آراء وشخصية وليام جيمس، ترجمة: محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965 ص464-466.

والأفكار الأساس فى نظرية **"وليام جيمس"** هي بإيجاز :

أولا: إنكار الحقيقة الموضوعية التى تتميز بوجودها المستقل عن الذات والخبرة البشرية وتنعكس فى وعينا عن طريق الحواس.

ثانيا: إنكار للضرورة الموضوعية العلمية.

ثالثا: الإيمان بأن الوجود إعتقاد، والنجاح معيارالحكم على الحق والباطل، وعلى هذا النمط فى التفكير،فاننا لا نستطيع أن نرفض أى فرض لحياتنا، والحق والواجب والنافع والخير كلها مترادفات ؛فالفكرة النافعة حق والعكس صحيح، وأولى بنا أن نصرف النظر عن المبادىء العليا والأفكارالأولوية، ونوجه نظرنا الى النتائج .

رابعا:فقد دافع**"وليام جيمس"**عن تعريفه الجديد للحقيقة،فالصدق ليس كشفا عن حقيقة واقعية، وليس واقعة مستقلةعن ذهن العارف أوكامنة فيه،وانما يحدثه الإنسان.

ويربط**"جيمس"**بين الفكر والسلوك،والصدق والنفع والمعنى بالنتائج وتحقيق الرضا.فلا قيمة لفكرةإلاوفقا لنتائجها العملية، ومدى شعورنا بالرضاعنها.وماصدقهاإلاالنفع المتحقق منها،حيث تحدد التجربة مصداقيتها. إن الصدق يفتح المجال لحرية الإنسان وممارسة إرادته،فليس هناك ماهومحدد منذ الأول هوصادق بالضرورة؛فالتجربة والنتائج العملية والنفسية هي المحك النهائي لمعنى الحقيقة. **(381)**

---

(381) جيمس، وليام: "معنى الحقيقة"، مصدر سبق ذكره.ص85

نقد وتقييم

إن من مميزات البراجماتية نظرتها الواقعية الملحوظة , فقد أدركنا أن الحقيقة التي يمكننا بلوغها ليست أكثر من حقائق إنسانية يجوز عليها الخطأ والتغيير شأنها في ذلك شأنها كل شيء إنساني,كما أدركنا أن كل فلسفة هو موقف من أجل العمل,وليست أفكارا أكاديمية خاصة عاجزة , فالدلالة الحقيقية لأية قضية لاتكمن إلا في تأثيرها على توجيه الحياة , فإذا كان الشيء هو ذلك الذي تفعله , فإن الفلسفة هي التي تجعلك تفعله.

فالبراجماتية تنبع من هذه النظرة العينية الواقعية,متجنبة التجريدات والألفاظ الرنانة,وكافة الفلسفات السلبية .وبذلك فإن أراءها تجعل من الناس قوما نشطين من أجل الخير,عمليين في نظرتهم إلى الأمور,مصممين على تغيير الأشياء لا على تحملها . فهي تساعد الناس على العيش بقوة و تفاؤل وديناميةفهي كما وصفها البعض فلسفة تقدم,تعمل على إقامة الفاعلية الأصيلة للإرادة الإنسانية,وتقف إلى جانب التحقيق الممكن لمثلنا العليا,فإذا ماعشنا وعملنا من أجلها فإن أفعالنا تحيلها إلى واقع (382).

ومع هذه المزايا,فإن للبراجماتية جوانب سيئة إلى أبعد الحدود تتمثل فيما يلي :"البراجماتية فلسفة أمريكية."يرى كثير من الباحثين أن البراجماتية جاءت إنعكاسا للحياة الأمريكية بما تنطوي عليه من شهوة في الإمتلاك , و إمعانا في الحياة المادية وإعلاء لقيمة الفرد و مصالحه إلى أقصى درجاته.فهي تعبرعن النظام الرأسمالي الأمريكي بما يرتبط به من مصانع كبرى وتجارة ضخمة ومشروعات هائلة وما يترتب على ذلك من ربح و منفعة مادية يجب تسخير العمل البشري لبلوغ أقصى مداه . وهذا النجاح العملي في دنيا الواقع الأمريكي هو أساس نظرية الحقيقة البراجماتية و يؤكد " **راسل"** أن البراجماتية تعبر عن البيئة الأمريكية فهي تعبرعن الثورة الصناعية للقرن الماضي,وتتسق مع عصرالصناعة وتأثيراته.(383) ولا يقتصرالأمرعلى " **نظرية الصدق** " وهي لب هذه الفلسفة كدليل على تعبيرها عن البيئة الأمريكية,بل يتعدى هذا إلى كثير من مواقفها الفلسفية الأخرى ويكفي هنا أن نشير إلى إنكار البراجماتيين للفلسفة المثالية الواحدية ,وأخذهم بالفلسفة التعددية للكون,تلك التي أشرنا إليها من قبل , خاصة مع **جيمس**.إن مذهب التعدد أو الكثرة المعاصرة يزدهرإلى أقصى حد في الولايات المتحدة الأمريكية , ذلك لأن التعددية فلسفة تجعل من التغير,وعدم القابلية للتنبؤ والمغامرة , فضيلة ,وبدلا من أن يجد المفكرون في عناصر التجربة البشرية هذه شيئا ينبغي إستبعاده أو إخفاءه تحت البساط الميتافيزيقي,فإنهم يجدونها أساسية في العالم الواقعي , بل يجدونها مثير فيما تتيحه من تحديات وفرص.

---

(382) لويس جون :مدخل الى الفلسفة،مرجع سبق ذكره.ص190

(383) راسل برتراند:.تاريخ الفلسفة الغربية(الكتاب الثالث..الفلسفة الحديثة)، مرجع سبق ذكره ،ص474.

وقد إرتبط المذهب التعددي بالنمو السريع للحضارة الأمريكية خلال ثلاث أرباع أرقام الأخيرة . ولم يكن هذا الإرتباط قد حدث بمحض الصدفة.فالمدنية الأمريكية بأسرها تعددية إلى حد لا يكاد يكون له نظير في غيرها من المدنيات ومن الأسباب التي تعود إليها هذه الظاهرة (384):

أولا: الحجم المادي الهائل للولايات المتحدة أي أنها تحتل مساحة كبيرة من الأرض .

ثانيا: تنوع الأصول العنصرية , و الحضارات القديمة التي إنصهرت في البوتقة الأمريكية .

ثالثا: نظام الحكم الذي يفتقر نسبيا إلى المركزية : فهناك حكومة فيديرالية , وحكومات للولايات , و مجالس للمقاطعات و البلديات , و كلها تتنافس على ولاء الأمريكيين و على أموال ضرائبهم , فما يزيد من تعدد الولاء , و تعدد الضرائب الذي يجد الأمريكيون أنفسهم موزعين بينه .

رابعا: مازالت أمريكا تتصف بقدر كبير من الحركة الإجتماعية ,وهذا يعني أن في إستطاعة معظم الأمريكيين – في أي وقت تقريبا – الإنتقال إلى سكن أماكن جديدة ,والإشتغال بأعمال جديدة , وتكوين مجموعة جديدة من الأصدقاء .ومثل هذه الأمور تساعد على تغير الإهتمامات,وتحول الولاء.

خامسا: مازال الفوارق الإقليمية بين الأمريكيين قوية التأثير إلى حد بعيد :بمعايير إقليم معين تختلف عن معايير إقليم آخر.ورغم أن بعض الأشخاص الذين عاشوا طيلة حياتهم في نفس الإقليم ،قد يرون أن معايير هذا الإقليم وإتجاهاته هي المعايير الوحيدة الصحيحة , فإن هناك من التنقلات السكانية ما يكفي للحيلولة دون أن تصبح هذه المعايير مطلقة .

سادسا: إن المدنية الأمريكية – شأنها في ذلك شأن أية مدنية صناعية حديثة – تبلغ من التعقد و الثراء حدا لا تستطيع معه تجربة أي شخص ان تستوعب إلا قدرا ضئيلا من التعقد و الثراء , فتعددت المهن و تفرعت الإهتمامات على وجه تستطيع معه أن تقول أن الأمريكيين لا يتحدثون لغة واحدة إلا بمعنى حرفي و هو أنهم جميعا يتكلمون الإنجليزية , غير أن ما يتحدثون عنه أو ما يعنونه بالكلمات التي يقولونها أو يسمعونها قد تبلغ من الإختلاف حدا يجعل إستخدام لغة مشتركة لا يعني إلا القليل . ففي جميع أرجاء المجتمع الأمريكي , إبتداء من وزارات الحكومة الفيديرالية فما دونها , يحدث في كثير جدا من الأحيان إلا تعلم اليد اليمنى ما تفعله اليد اليسرى.(385) وهكذا نلاحظ أن لدى الأمريكيين تعددية في الحكومة , و تعددية في الطبقات الإجتماعية , و تعددية في المعايير الأخلاقية , و تعددية في التخصصات المهنية , و تعددية في المدارس الفنية , و تعددية في المدارس الفكرية . و بذلك يبدو أخذ البراجماتية لمذهب التعدد أمرا منطقيا تماما.(386)

---

(384) ميد , هنتر , الفلسفة أنواعها و مشكلاتها:ت فؤاد زكريا،دار النهضة القاهرةمصر دط 1975 ص226-227 مرجع سبق ذكره
(385) نفس المرجع السابق ص227-228
(386) نفس المرجع السابق ص228.

وعلى ذلك , فإن آراء الفلاسفة البراجماتيين سواء في نظرية الصدق أو في آرائهم عن العالم أو غير ذلك من أراء إنما جاءت متأثرة بالبيئة الأمريكية و يحق لنا أن نصفها بأنها فلسفية أمريكية.حقيقة أن الفلاسفة البراجماتيين لايرضون هذا الوصف لفلسفتهم ,ويرون فيه فهما خاطئا للبراجماتية ,وإنكارا لأصالتها الفلسفية.ودعواهم في هذا أن هناك العديد من الجوانب في هذه الفلسفة تتعارض وبعض جوانب البيئة الأمريكية.فيرى " **جون ديوي**" أن النظرة البراجماتية أمريكية في أصلها بقدرما تصر على ضرورة العمل البشري وتحقيق بعض الأغراض ليكون الفكر واضحا.ولكنها في الوقت نفسه تعارض بعض جوانب الحياة الأمريكية .إلى أن ديوي يرى أن ما من فلسفة جديرة بهذا الإسم يمكن أن تعارض كلية المجتمع الذي نشأت في,ولكن ما من فلسفة جديرة بهذا الإسم تكون مجرد أثر لما يكون سائدا في المجتمع الذي ظهرت فيه.ويرد ديوي على (راسل) – الذي وصفها بهذا الوصف – قائلا إن الفيلسوف لوجاء متأثرا ببيئته ,لكان " **راسل** "**(387)** نفسه متأثرا في فلسفته بالأرستقراطية البريطانية (حيث أن راسل ينتمي إلى طبقة اللوردات)- وكان هذا الإتهام يوجه عادة إلى "**راسل**" من قبل الشيوعيين – و يرد "**راسل** "على ذلك غير منكر لهذا المر مؤكدا أنه كغيره من الفلاسفة جاء في أفكاره متأثرا ببيئته الإجتماعية.**(388)** وإنَ دلَ الجدل بين"**راسل و ديوي**"على شيء إنما يدل أكثر مما ينفي صحة الوصف الذي توصف به البراجماتية وهي أنها كانت في حقيقة أمرها " فلسفة أمريكية ",لا تصلح إلا للمجتمع الأمريكي,أولمجتمع له طبيعة المجتمع الأمريكي .

ونصل الآن إلى أبرز أهم الإنتقادات التي توجه إلى البراجماتية وسنوجزها على الوجه التالي :

أولا:إن البراجماتية لا تقدم لنا بحثا إيجابيا عن الحقيقة,إذ أنها مجرد منهج لإكتشاف الأفكار الخاطئة وهي التي ليست لها آثارعملية .وهذا منهج سلبي لاإيجابي ,لأنها لا تهدف إلا إلى إستبعاد الأفكار الخاطئة تلك التي لا تكون لها هذه الآثار العملية.الإستبعاد – كما هو واضح – منهج سلبي للكشف عن الحقيقة ليس إيجابيا بحال من الأحوال.**(389)**

ثانيا:يلاحظ بعض الباحثين ذلك الإمتداد غيرالمشروع لفكرة المنفعة,لقد كان"**وليام جيمس**" والبراجماتيون يفخرون بإتساع أفقهم ,ولكن الحق أن هذه الروح الفضفاضة تبلغ حدا يؤدي إلى القضاء على كل معنى لكلمة "النافع "عندما كانوا يعرفون الحقيقة عن طريق المنفعة، فالنافع في اللغة المتداولة هوما يفي بحاجة "حيوية ".

---

(387) رسل برتراند:.تاريخ الفلسفة الغربية(الكتاب الثالث..الفلسفة الحديثة)، مرجع سبق ذكره ،ص475

(388)هويدي يحي:مقدمة في الفلسفة العامة، مرجع سبق ذكره ،ص164-165

(389)*برتراندآرثر وليام راسل:1970 – 1872 م. فيلسوف وعالم رياضياتويطاني، يعدّ من أشهر فلاسفة القرن العشرين، كما وُ صِف بأنه أهم علماء المنطق الذين ظهروا منذ عصر الفيلسوف الإغريقي أرسطوقدَّم راسل أعظم إسهاماته في المنطق الصوري ونظرية المعرفة، حصل على جائزة نوبل للأدب عام 1950م. قدم راسل أعظم إسهاماته للفلسفة والرياضيات في مطلع القرن العشرين، وتعاون راسل مع عالم الرياضيات والفيلسوف الإنجليزي ألفرد نورث وايتهد في مؤلفه الضخم المكون من ثلاثة أجزاء مبادئ الرياضيات 1910) 1913 م). وقدَّم راسل إسهامًا وافرًا في تاريخ الفلسفة بكتب مثل :عرض نقدي لفلسفة ليبنتز 1900م؛ تاريخ الفلسفة الغربية 1945م، وعبر عن أفكاره الاجتماعية والسياسية في عدد من الأعمال؛ منها الديمقراطية الاجتماعية الألمانية 1896م؛ سبل الحرية 1918م؛ السلطة 1938م؛ السلطة والفرد .(1949) ألف راسل في الأخلاق والتعليم أعمالاً مؤثرة؛ مثل :الزواج والأخلاق 1929م؛ اقتناص السعادة 1930م. ودوَ ن راسل كتابات كثيرة عن حياته، منها سيرة ذاتية نشرت بين عامي 1967م و1969م.

إلا أن البراجماتيين قدأضفوا على كلمة الحاجة معاني بلغت من الكثرة حدا لم تعد معه تدل على شيء، حتى ولاكلمة"النافع"ذاتها ,فهناك حاجات ترمي إلى حفظ الحياة والعمل على إستمرارها,ولكن من الممكن أن نطلق إسم"الحاجة"على ما يعبر عن أكثر الميول الوجدانية تنوعا**:** فالمرء في لحاجة أن يكون محترما,محبوبا,كما أنه بحاجة إلى أن يحب,وإلى أن يرى من يحبهم سعداء.والغيورون الحاقدون بحاجة إلى أن يرواالآخرين تعساءوأقل سعادة منهم.والمرء بحاجة إلى الإيمان بوجود الله، وخلود النفس.كما أن هناك حاجات عاطفية وعقلية كالحاجة إلى المعرفة والفهم ...

وهكذا نلاحظ أن "حاجات" الإنسان و"المنافع" التي تناظرها تبلغ من التنوع حدا يجعل كل تعريف للحقيقة للمنفعة ينتهي آخرالأمرإلى أنه لا يوضح من طبيعتها أي شيء. **(390)**

ثالثا: لا شك في أن" الحقيقي " نافع على نحوما ,إلى أن ذلك لا سيستتبع القول بأن المنفعة هي أساس لتعريف الحقيقة . فالحقيقي نافع لأنه " حقيقي" قبل أي إعتبار للمنفعة . وقد ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن المذهب البراجماتي يعرف الحقيقة بأنها ما يفي بالحاجة ,غيرأن أول ما نحتاج إليه عندما نبحث عن الحقيقة هو أن لا نكون براجماتيين.ومعنى ذلك إن القاعدة الأساسية التي نضعها عندما نشغل أنفسنا بالبحث عن الحقيقة هي أن نصرف كل إعتبار للمنفعة ,ولو تطرق الشك إلى نفوسنا و آمنا بشيء لأننا بحاجة إلى هذا الإيمان,لفقد الإيمان إذن كل قيمة له.ومرة أخرى نقول:"**إن الحقيقي نافع لأنه حقيقي,وليس حقيقيا لأنه نافع".(391)**

ولنتصورالحالة العقلية لمريض يقول لطبيبه **:** " لا تقل لي سوى ما أحتاج إلى تصديقه ",ألا يكون قوله هذا توسلا إليه أن يكذب ؟ وهكذا ينتهي الأمر بالبراجماتية إلى أن تكون نظرية الأكذوبة الحيوية التي تقوم على أساس من نزعة الشك إن "**جيمس** "– و معه بقية البراجماتيين – يلعبون لعبة خاسرة مع الحقيقة فهو إذ يجعل من الحقيقة حقنا في الإستمرار في الإعتقاد بما ينفعنا,إنما يرفض مفهوم الحقيقة بأسره.إن وضع الفكرة ذات النواتج المرضية مكان مفهوم الحقيقة معناه فتح الباب لأي خيال لبيب,فماذا يمكن أن يرضي الإنسان أكثر من إستمراره في الإعتقاد بأنه ذكي بينما هوفي الواقع أبله ؟ إن العالم مليء بكثير من السخف الذي يستشعر معه الإنسان قسطا من المتعة.**(392)**

وإذا كان تقييم الأفكار يتم على أساس ما تؤدي إليه من نتائج عملية ,فعند أي حد نستطيع أن نحكم على فكرة معينة بناءاعلى هذا الأساس؟ فلو كان هناك شخص يعتقد أن الطريق لحل مشكلاته الإقتصادية هوالسطو على أحد البنوك,لكانت هذه الفكرة صحيحة أحيانا,لما يترتب عليها من نتائج عملية .

---

(390)موي بول : المنطق ومناهج البحث،ت :فؤاد زكريا،دار النهضة، القاهرة مصر دط ت ص15-16
(391) نفس المرجع السابق ص16
(392) نفس المرجع السابق ص16

إلا أن البراجماتيين يصرون على أن المرء لا بد أن يضع في حساباته لا مجرد النتائج المباشرة التي تترتب على الفكرة ,بل آثارها البعيدة أيضا .وهنا قد نقول: **أننا لا نستطيع أن نعرف النتائج العملية لهذه الفكرة ,مادامت النتائج البعيدة قد تستمر إلى غيرما حد.فقد تعمل الفكرة بنجاح في وقت معين , ثم تفشل في وقت آخر,ثم تعود للنجاح بعد ذلك .ومعنى هذا أننا ينبغي علينا أن ننتظر بلا نهاية لكي نتمكن من تقييم نتائج أي إعتقاد ,ومن تقرير ما إذا كانت له نتائج عملية أم أنه يفتقر إلى مثل هذه النتائج.**(393)

رابعا:أماعن تطبيق النظرية البراجماتية عن الحقيقة في مجال العلم ,وما ذهب إليه **"جيمس"** والبراجماتيون من أن قضايا العلم قضايا حقيقية لأنها مفيدة عمليا,فيبدو نسقا للحقائق العلمية من أساسها .والواقع أن العديد من المعتقدات كانت وما تزال لها فائدة معينة وهي معتقدات نعرف أنها صحيحة ,وهناك معتقدات أخرى كانت مفيدة وإن كانت رغم ذلك غير صحيحة .فكوننا نفرق بين الفروض المثبتة والخرافات النافعة يدل على أن نتائج العلم لا يمكن وضعها في هذا الصنف الأخير كما يبتغيه البراجماتيون.إن قبول نظرية معينة و إعتبارها صحيحة بدون برهان و لمجرد أنها نافعة أو أنها ترضينا من ناحية ما,هونقيض الموقف العلمي تماما.إن العلم لا يتقدم إلا بنبذ هذه المعتقدات من مجال العلم الحقيقي.إن الفرض المرضي فحسب هوفي أغلب الأحيان أقرب الفروض إلى الخطأ. (394)

خامسا : أما تطبيق المحك البراجماتي على المعتقدات الدينية فيبدو بالنسبة لنا كارثة . فإننا لا نسلم بالحقائق الدينية لمجرد أنها نافعة , بل لأنها حقائق في ذاتها بصرف النظر عن فائدتها ونتائجها العملية الناجحة.لأننا لو سلمنا بهذا المعيار - كما فعل جيمس – لكانت أي عقيدة – مهما تكن أسباب إنكارنا لها – حقيقة لمن يرى أنها نافعة له,وتستوي بذلك المحل والبدع مع الديانات السماوية الحقة.لقد تنفس جيمس الصعداء بإستطاعته إزالة العراقيل التي كانت تقف في طريق معتقداته الدينية. **ولكنه ما قال "جورج سانتايانا "بقسوة:"لم يكن يؤمن حقيقة ,كما يؤمن بأن من حق الإنسان أن يؤمن بأنه يمكن أن يكون على حق لوآمن."إننا لو قلنا لشخص ما" إنني أعتبر أن عقيدتك خرافة,ولكن إذا كانت مفيدة لك فهي عقيدة حقيقية بالنسبة لك "أليس في ذلك سخرية به ؟**(395)

سادسا:إن البراجماتية تركز على الفرد وتعلي من"الفردية "إلى أقصى حد وهي بذلك تعكس الفردية الممزقة التي سادت أمريكا في القرن التاسع عشر.وهذه الفردية بما يرتبط بها من فوضى وغموض تجعل الأفراد عاجزين عن تحمل النظام و الرقابة والمهام الإجتماعية التي تداخل في حريتها.

---

(393) لويس جون :مدخل الى الفلسفة ،مرجع سبق ذكره.ص193
(394) نفس المرجع السابق ص193
(395) نفس المرجع السابق ص194

إن هذه الفردية هي التي جعلت أواصرقربى بينهم وبين الفيلسوف السوفسطائي"بروتاغوراس"حين قال:"إن الإنسان مقياس الأشياء جميعا. فقد كتب **شيللر Schiller(396)** يقول:"ينبغي علينا أن نعود مرة أخرى إلى ما فعله **بروتاغوراس** ,فنتخذ الأحكام الفردية لأشخاص مفردين نقطة بدأ لنا."لكن ليس لنا أن ننسى أن بروتاغوراس هوأحدهؤلاء الذين كانوا يخلطون الحق بالباطل لكي يتصيد في الماء العكر ماهو زائف ومريح , ويشيد صرح الخطابة على أنقاض الفلسفة.لقد لاحظ **أفلاطون** بحق في "تيتاتوس " أننا لوسلمنا بمبدأ بروتاغوراس,لكان معنى ذلك التسليم بأن حجج المجنون تعادل في صدقها حجج العاقل,وأن أحط الحيوانات شأنا قد يكون له رأي في الكون لا يقل حصافة عن رأي الإنسان الحكيم. (397) ويمكن القول **بأن البراجماتية قد تصلح لأولئك الذين يتمتعون بروح طموحة, تسعى إلى السيطرة النابوليونية.أما بالنسبة لأولئك الذين يتمتعون بالروح الرواقية, ويتمسكون بالمثل العليا,والقيم الدينية ,فإن البراجماتية تبدولهم ضيقةالأفق محدودة الإطار مخيبة الآمال.(398)**

ويمكن التأكيد في الاخير أن نظرية جيمس في الصدق نظرية جديدة جاءت بقيم جديدة في مجال المعرفة الإنسانية ,إذ كان المعروف قبل"جيمس"نظريتين تقليديتين في الصدق هماالمطابقةوالإتساق وجاء**"جيمس"** بنظرية ثالثة لم يسبقه إليها أحد.والملاحظ أن كل من يقرأ نظرية **"جيمس"** قد يتوهم أنه من أتباع المطابقة لأنه يستخدم لفظ المطابقة بكثرة فيقول إن صدق الفكرة هو مطابقتها للواقع و كذبها عدم مطابقتها له.ويقول أيضا يجب أن تكون المطابقة محسوسة أي يجب أن تشيرالأفكار إلى الواقع ولكنها في واقع الأمر مخالفة لنظرية المطابقة التقليدية ,وثورة عليها,ومقياس ذلك قول**"جيمس"**:" ترى النظريات الشائعة في المعرفة أن الصدق مطابقة للواقع وهي قضية مبهمة."ففي نظرية **"جيمس"** الجديدة ثلاث خصائص أساسية يعارض بها نظرية المطابقة:تقول نظرية المطابقة إن الفكرة صادقة إذا حصل العقل في الواقع على نسخة شبيهة مشابهة دقيقة من موضوع الفكرة أوأن الصدق هوحصولنا على نسخة ثانية للعالم الخارجي.وينكر جيمس ذلك أشد الإنكار بل ويعتبرهذا المبدأ تافها لايستحق التقدير.يقول :**"ما الفائدة التي تعود علينا من إخراج نسخة ثانية ناقصة للشيء الخارجي داخل العقل,أعتقد أن في ذلك مضيعة للوقت يجب أن يكون في المطابقة شيء جديد .إن الصدق ليس في المطابقة وإنما في إثراء العالم الموجود وإمداده بالجديد،لم لا تكون رسالة التفكير العمل على زيادة العالم والإرتفاع به أكثر من مجرد محاكاته.(399)**

---

(396)*شيللرSchiller : (1864-1937)،فيلسوف أنجليزي.أهم أعماله ،المذهب الإنساني1903،لغز أبوالهول1891،منطق الإستعمال1930.

(397) الطويل توفيق:اسس الفلسفة، مرجع سبق ذكره ،ص78.

(398) رسل برتراند : تاريخ الفلسفة الغربية(الكتاب الثالث..الفلسفة الحديثة) مرجع سبق ذكره ،ص473.

(399) وولف : "فلسفة المحدثين و المعاصرين" , مرجع سبق ذكره.ص107

إن"**اللوتز**" Lotze يحكم على القول القائل بأن الكيفيات الثانوية وهم لاحقيقة لأنه لا توجد مطابقة بينها وبين الأشياء,يحكم بانه قول غير مقبول يهمنا أن نعتقد أن الفكرة جزء هام من الواقع ,وأن رسالة العالم المادي الناقص أن يثير ليمده بإضافات جديدة ,الشيء الثاني الذي ثار به "**جيمس**" على نظرية المطابقة هو نظرته إلى طبيعة العقل,يرى أتباع المطابقة أن العقل مرآة تنعكس فيها صورة مشابهة للواقع ,وأن العقل منفعل لا نشاط له,مستقل فقط للإنطباعات الحسية ويعكسها في صورة أفكار.ينكر "**جيمس**" هذه الطبيعة للعقل إستنادا إلى أبحاثه في **علم النفس**:"إذ يرى أن للعقل فاعليته ونشاطه ودوره في الإدراك,ويرى أن التجريبية الإنجليزية(**من "لوك" إلى "مل"**)هي المسؤوله عن هذا الإعتقاد."ولايتردد"**جيمس**" في نقدها.ترى التجريبية الإنجليزية أن الأشياء هي التي تعمل في العقل وأن الإدراك باب يدخل منه شيء وأن العقل بمثابة حجرة مظلمة لا ترى النور،ولكن ترك بها فتحة صغيرة تسمح بمرورأثارالعالم المنظور أوبمرور أفكارعن الأشياء.هذه التجريبية لم تقنع "**جيمس**" لكنه عديم الثقة بالمطلق شديد الثقة بالتجربة الجزئية معتبرا إياهاالجواب الأخيرلكل سؤال، فلاذ بالصبرحتى وصل في أبحاثه السيكولوجية إلى أن العقل تلقائي له أصالته وخصوبته.

وشجعه إتحاد هذا الموقف تأييد"**رينوفييه**"Renouvier (400) و"**هدجسون Hedgson**"*(401) و**سيجفرات Sigwart** ***ولوتزLotze** *(402)الشيء الثالث الذي ثار به "**جيمس**"على المطابقة هوأن الأخيرة تتضمن أن الحقيقة موجودة قبل الإنسان,وأن الإنسان يسعى إليها بدليل أن الصدق هو مطابقة الفكرة لشيء موجود قبل الإنسان مستقلة عنه.وهذا واضح المخالفة لمذهب "**جيمس**" الذي يرى أن الإنسان هوالذي يصنع الصدق,وأن الصدق لم يوجد إلا بمعونة الإنسان وبفعل نشاط عقله وإستخدامه للأشياء.ولم ينس جيمس أن يستعيد فضائل نظرية الإتساق لنفسه,فأخذ منها فكرة إتساق الفكرة مع غيرها من الأفكار وعدم معارضتها لها,وإتساقها مع المعارف الماضية و التجارب السابقة التي يؤمن الإنسان بصدقها,ثم إتساقها مع التجربة الإنسانية الإجتماعية التي يطلق عليها تقاليد الفهم المشترك.أخذ"**جيمس**" مبدأ الإتساق ووسع فيه وأنكر منذ إستناده إلى ميتافيزيقا معينة هوأن يسلح نفسه بميتافيزيقا تناقضها أقصد القول بأن الأساس الذي تستند إليه نظرية الإتساق هوميتافيزيقا الوحدة المطلقة ,ولقد قام "**جيمس**" ليعارض هذا بمذهبه التعددي .

---

(400) شارل رينوفييه :Renouvier شخصية فرنسية شخصانية طرحت أولى الافكار عن الشخصانية جاء رينوفيه ليؤكد ان الشخص يولد حرا ويكون عقيدته حرا، وبمفهومه فان الإنسان الاخلاقي هو الذي لا يخضع الاخرين لغاياته بل يعتبر شخصية الاخرين شبيهه به مما يتطلب احترامها، وبذلك من واجب الإنسان ان يبحث عن وفاق بينه وبين العالم.

(401)*هدجسون،شادوورث Hedgson ،Ch: (1852-1913) من مؤسسي "الجمعية الأرسطية" أكبر جمعية فلسفية في أنجلترا.تصحيح لمساركانط وإكماله بأرسطو،ينكر وجود حقيقة وراء الظواهر، أهم علم له "ميتافيزيقا التجربة".أنظر جيمس،وليام: "معنى الحقيقة"، مصدر سبق ذكره،ص27.

(402)*اللوتز Lotze: (1817-1881)عالم في الطب والفيزياء والفسيولوجياواهتم بالفلسفة،سمى مذهبه بالكانتية الجديدة،وسماه أيضا المثالية الغائية وفق بين موندات ليبنتيز ووحدة وجود سبينوزا، وبين الواحدية والتعددية،وبين الآلية والغائيةوالعلاقات بين العقل والجسد..

الخـاتمـة

الخاتمة:

من جملة النتائج التي يمكن إستخلاصها بعد إستقرائنا لأهم أفكار"وليام جيمس" في مجال الحقيقة والإعتقاد والعلاقة بينهما ما يلي:

ليس من الهين الخوض في مشكلة العلاقة بين الحقيقة والإعتقاد عند وليام جيمس،إلا أن الباحث يحاول توضيح العلاقة الوطيدة بينهما وإعطاء تصورشامل لها من خلال الفلسفة البراجماتية ،ومن خلال هذا البحث المتواضع توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها بما يأتي إنَ جيمس قد ابتعد تماما عن التصورات المثالية والمطلقة في نظرته الصدق، بل على العكس ربطه بعالمنا الواقعي الذي نعيش فيه، ومن ثم جعل جيمس الحقيقة والإعتقاد ميدانا مرتبطا بالحياة ولا تظهران إلا فيها.

إنَ إلحاح "جيمس" على نقد المذاهب الفلسفية وبالأخص المتقابلة منها،كالمذهب العقلي الذي يقابل المذهب التجريبي والمذهب المثالي في مقابل المذهب الواقعي،نستنتج بأن نقده هذا قذ جاء إنطلاقا من طبيعة مذهبه البراجماتي ،الذي يرفض جميع الصور الثنائية والتي منها ثنائية الفكر والواقع والعقل والجسم والمادة والصورة،إذ أراد "جيمس" أن يوحد بين هذه الثنائيات في نظريته الصدق والأخلاق والدين.. .

أولا: ليس المهم عند "وليام جيمس" العقل، بل هو فعل العقل وتأثيره وما يؤدي إليه بوصفه أداة في خدمة أغراض الإنسان.

ثانيا:الأخذ بالنتائج العملية التي ندرك أن تفكيرنا قد يكون على علاقة بها وعندئذ يكون إدراكنا لهذه النتائج ،هو كل مفهومنا عن هذا الموضوع .هذه هي القاعدة التي عدت النتائج هي مقياس صدق الفكرة أو بطلانها.

ثالثا :بحث جيمس في مشكلة الحقيقة والإعتقاد من الناحية السيكولوجية ،وبين أنه إذا كان الإعتقاد والحقيقة ليسا شيئان مختلفان،بل هما شيئ واحد ،بمعنى أن نعتقدهذا أن نصل إلى الحقيقة ، وأن نعمل وفقها. فالحق ما هو عندي أنا حق، وما الباطل إلا الأمر الذي اعتبره عندي باطلا. وأن تحديد المعتقدات أو تبرير التمسك بها, يفرض أخذنا في عين الإعتبار النتائج العملية المترتبة على الإيمان بهذه المعتقدات ذاتها.فالحقيقة عند وليام جيمس منفصلة ليست مستقلة استقلالية تامة عن الإعتقاد بل هي مرتبطة بها إرتباطا يصعب فصله .

وإذا كانت نظرتنا إلى الإعتقاد ووصفه بالصحة إذا ماتقدم بنا إلى تحقيق الغرض المنشود ووصفه بأنه خاطئ إذا فشل في ذلك . فيعني أن نجاح الاعتقاد ثبوت صحته بالخبرة وفشله هو ثبوت خطئه بالخبرة العملية .وإذا سلمنا بأن فكرة أو معتقدا صحيحا فهناك الفرق الملموس الذي يحدثه كونه صحيحا في الحياة اليومية لأي شخص كون الخبرات التي ستكون مختلفة عن تلك التي تحدث إذا كان المعتقد زائفا وباطلا كما يوجد أي اثر عملي في سلوكنا نتيجة إعتقادنا بصدق قضية ما يختلف عن سلوكنا نتيجة اعتقادنا بكذبها.فمهمة الفلسفة برمتها ينبغي أن تتركز في الفرق بين النتائج فالفرق المحدد الذي سيحدث لنا من لحظات محددة من حياتنا إذا كان هذا التفسير للعالم أو ذاك هو التفسير الصحيح .وإذا لم يكن هناك فرق في النتائج بين كون الفكرة الصحيحة وبين كونها باطلة فتكون زائفة وبالتالي الحق ما هو إلا الشيء الذي يقودنا إلى النتائج العملية الفعالة، أو النافعة. يجعل جيمس من الحقيقة : حقنا في الاستمرار في الإعتقاد بما ينفعنا ،وأهم خاصية للحقيقة عنده هي التحقق العملي.

رابعا :رفض جيمس رفضا قاطعا بعض الفلسفات التي تلتزم بالمسلمات والمبادئ و القيم العليا الثابتة، ورفضه هذا نابع من ايمانه والتزامه بنظرية التطور، فهو يرى أن العالم في حالة تغير و تطور مستمرين،وبما أن الأخلاق و الدين جزء من هذا العالم في نظره ، فما على هذا الأساس خاضعان لهذا التغيروقابلين للتطور، وبذلك يرفض أن تصاغ أي نظرية خلقية أو دينية على مبادئ و قيم ثابتة غير قابلين للتطور،فكثير من الباحثين يذهبون إلى أن البراجماتية هي منهج أو طريقة و ليست مذهبا فلسفيا ذات صرح شامخ ،وهذا ما نجده واضحا شامخ ، وهذا ما نجده واضحا عندما قال جيمس" و ليس من الأمور المطلقة إلا أمر واحد،وهو أنه يجب علينا أن نبحث و نعمل ،لنوحد على مقدار تنصوره من الخير حقا " .

خامسا :إختلف جيمس مع غيره في طريقته لتناول المشكلة الخلقية والمشكلة الدينية ،فنرى أن جيمس قد بحث هاتين المشكلتين من الناحية السيكولوجية ، حيث أكد على الذات الفردية أي على الضمير الخلقي والإيمان الديني ،على الرغم من أنه لم يمهل الجانب الإجتماعي الذي يعمل على تآزر و التماسك بين الأفراد،إلا أنه نظر إلى المجتمع من خلال الفرد،بينما نجد أن غيره ومنهم ديوي الذي إختلف معه في بحث المشكلة الخلقية و الدينية ، فهو قد بحثها من جانب المجتمع ،على الرغم من أنه لم يهمل الجانب الآخر وهو الفرد ،إلا أنه نظر إليه من خلال المجتمع .

وقدأعطى جيمس أهمية خاصة للمشكلة الدينية والسبب في ذلك أن جيمس كان يرى أن كل تجربة دينية لها خصوصيتها و تميزها عن التجارب الأخرى ، وأن كل فرد له نظرته الخاصة للدين، ويقرر جيمس أن الدين أساسا تجربة شيء يحسه المرء و يعيشه:إنه إحساس بتوافق تلقائي أو مجبول بين الإنسان وبين نفسه ,بين الإنسان الواقعي و المثالي ,وهو في الوقت نفسه إحساس بصلة الإنسان بموجود أعظم منه هو الذي يحدث هذا التوافق وينجلي كأنه مصدر لا ينضب من النشاط و القوة .هذا الإحساس المزدوج يصبح في النفس المتدينة لب الحياة الشاعرة .أكثر من ذلك , و بسبب ذلك فإن الدين أساسا أمر واقعي و شخصي و ليس الدين في ذاته , الدين الواحد الثابت إلا حقيقة مدرسية فارغة , لأن الدين لا يوجد إلا مع وجود النفوس المتدينة و الحياة الدينية , فهناك من الأديان بمقدار ما يوجد من أفراد و لم يكن عبثا أن يضع وليام جيمس على كتابه عنوان تعدد التجربة الدينية أو أصناف التجربة الدينية أو أنواع التجربة الدينية .هذه النظريات على أعظم جانب من الأهمية , فهي تستبعد تاما من جوهر الدين كل ما يمكن أن ينتقل كما هو من فرد إلى فرد , بإعتبار أنه على وجه خاص موضوعي فكري أو مادي عملي , مثل العقائد و الطقوس و التقاليد.. فهنالك علاقة وثيقة بين علم النفس،وفلسفة جيمس.والنظرة التفاؤلية الخلقية التي يعتقدها جيمس في العالم ، نابعة من اعتقاده بأن العالم هو حقيقة مرنة مطاطة ، قابلة للتغير و التشكل ، و إيمانه بأن الإنسان له القدرة على إمتلاك الإمكانية في التصرف على تشكيل هذا العالم ، فالعالم فيه الخير و الشر ، و على هذا لا أساس يمكن إستغلال جانب الخير منه و الإنتصار إليه ، و التغلب على الشر فيه ، و لكن دون القضاء عليه لأن القضاء على الشر أمر محال ، فهو جزء لا يتجزء من هذا العالم .

سادسا :ان الحقيقة والإعتقاد في الأخلاق التي أكد عليها جيمس هي أخلاق علمية و واقعية تخضع إلى التجربة و الإختبار ، إن تأكيده هذا نباع من طبيعة فلسفته البراجماتية التي لا يمكن فصلها عن الواقع بأي شكل من الأشكال ، فحاول أن يطبق منهج البحث العلمي على الأخلاق ، لأنه إعتبرها علما من العلوم الطبيعية الأخرى .

ونلاحظ أن جيمس حاول أن يربط العالم الواقعي بعالم آخر نتصوره -(أي بعالم غير منظور)- من خلال الإعتقاد بوجود الله ، نؤمن به على أن يكون هذا الأله دافعا و محفز في تغيير هذا العالم نحو الأفضل ، فينظر على هذا الأساس إلى الدين بشكل عام و فكرة الله بشكل خاص نظرة إيجابية ، و هذا عكس غيره من البراجماتين ومنهم عند ديوي ، الذي رفض فكرة الله ، و أراد للدين أن يكون دين الإنسانية جمعاء ، إلا أنه لم يقصد الدين ، إنما قصده الإيمان بالعلم .

سابعا :لقد ربط جيمس بين الإعتقاد و الصدق ،حيث يقول:" بأنه من المستحيل أن نقوم بأي تمييز بين معتقدات فعالة عما هو صادق,والحقائق ذاتها , فهما واحد ونفس الشيء ."خلافا للمثاليين والواقعيين الذين تمسكوا بالتمييز العادي بين الحقائق والمعتقدات .

لكن نقول إذا كان تقييم الأفكار يتم على أساس ما تؤدي إليه من نتائج عملية , فعند أي حد نستطيع أن نحكم على فكرة معينة بناءا على هذا الأساس ؟ فلو كان هناك شخص يعتقد أن الطريق لحل مشكلاته الإقتصادية هو السطو على أحد البنوك , لكانت هذه الفكرة صحيحة أحيانا , لما يترتب عليها من نتائج عملية . إلا أن جيمس والبراجماتيون يصرون على أن المرء لا بد أن يضع في حساباته لا مجرد النتائج المباشرة التي تترتب على الفكرة , بل آثارها البعيدة أيضا . و هنا قد نقول أننا لا نستطيع أن نعرف النتائج العملية لهذه الفكرة , مادامت النتائج البعيدة قد تستمر إلى غير ما حد . فقد تعمل الفكرة بنجاح في وقت معين , ثم تفشل في وقت آخر , ثم تعود للنجاح بعد ذلك . و معنى هذا أننا ينبغي علينا أن ننتظر بلا نهاية لكي نتمكن من تقييم نتائج أي إعتقاد , و من تقرير ما إذا كانت له نتائج عملية أم أنه يفتقر إلى مثل هذه النتائج . وكذلك يمكن التأكيد بأن ربط الحقيقة بالإعتقاد بما ينفعنا , يقضي على مفهوم الحقيقة بأسره، كما أن الانسان لا يسلم بالحقائق الدينية لمجرد أنها نافعة , بل لأنها حقائق في ذاتها بصرف النظر عن فائدتها و نتائجها العملية الناجحة . لأننا لو سلمنا بهذا المعيار - كما فعل جيمس – لكانت أي عقيدة – مهما تكن أسباب إنكارنا لها – حقيقة لمن يرى أنها نافعة له ,و تستوي بذلك المحل و البدع مع الديانات السماوية الحقة .

لم يكن " جيمس" أول من جعل الحقيقة موضوعا .فلقد كتب "هايدغر"،نداء الحقيقة ،وكتب "راسل" فيما بعد كتابا في معنى الحقيقة(1940)، قدم تفسيرا للصدق يفسح المجال للحرية البشرية والمبادرة،فالمستقبل مكون من عدة إتجاهات لايمكن إستنباطها من الماضي ، ويتفق مع" برغسون" بعض معاصريه،ويغير الناس بيئتهم،وإرادتنا حرة تساعدنا على جعل العالم أفضل عن طريق ممارسة إختياراتنا.فلسنا أفكارا محددة منذ الأزل في عقل مطلق وإنما نحيا أحرارا في عالم الجدة.فالحقيقة ترتبط بالتجربة،وليست مجاوزا لها،فعالمناعالم الخبرة الخاصة،لانعرف إلا مانجده في مجال الخبرة.فالصدق يحدثه الإنسان،وهوتوافق ناجح بين أغراضه وأغرض العالم.فالأفكار الصادقةهي التي نستطيع إدراكها وإستيعابها والتحقق منها والمشاركةفيها وتطبيقها والإستفادة منها،وهي تجيب عن السؤال:مالفرق العملي الذي يحدث إذا كانت الفكرة صادقة؟.تعتمد الحقيقة على سلوك الإنسان،.يرتبط الصدق بالنفع،فالصدق هو النافع المفيد في طريقة تفكيرنا تماما كما الصوابهو المفيد الوحيد في طريقة سلوكنا.لابدأن يكون للفكرة قيمة فورية ونتيجةعملية ،ولايتم الحكم عليها الاإذا أدت إلى نتيجة عملية في الواقع.ليست حقيقتها صفة ثابتة فيها أو وراثية،إذ

يحدث الصدق للفكرة ،ولاتصبح صادقةإلا بواسطة الحوادث،فتكون حقيقتها حدثا وعملية تحقق لها،فيمثل تحققها صدقها.

وصفوة القول لقد حققت البراجماتية مع جيمس شهرة واسعة و لم تعد مجرد فلسفة أمريكية تعبر عن الواقع الأمريكي بسماته الفردية التي أبرزها التعددية في كل شيء و إطلاق حريات الأفراد السياسية والإقتصادية و الإجتماعية إلى أبعد الحدود نقول أنها تجاوزت أمريكا وإنتقلت إلى أوروبا و بقيه أجزاء العالم و أصبحت مع نهاية القرن العشرين أشهر الفلسفات و أكثرها تأثيرا في العالم المعاصر فقد أصبحت النغمة السائدة لدى الجميع لأن هي التساؤل عما سيعود عليه من فائدة , أي أن الجميع أصبح يقيس صحة أي فكرة بما يترتب عليها من نتائج نافعة ستعود عليه . و ربما يكون الأمر الذي غاب عن البراغماتيين و عن من تأثروا بهم في هذا العصر : أنه إذا سلمنا معهم بأن " الحقيقي " نافع على نحو ما , فإنه من المستحيل التسليم بأن " المنفعة " هي الأساس في تعريفنا للحقيقة لأن الحقيقي يكون نافعا لأنه حقيقي و ليس العكس . لقد تناسى الجميع أن أول ما نحتاج إليه عندما نبحث عن الحقيقة هو أن لا نكون براجماتيين " أي أن لا نكون باحثين عما ينفعنا " و حينما نصل إلى الحقيقة بصرف النظر عن المنفعة يمكننا بعد ذلك التساؤل عن كيفية الإستفادة منها في الواقع العملي . و لا شك أن كل " حقيقي " نافع على نحو ما كما قلنا , لكنه نافع لأنه حقيقي و ليس حقيقيا لأنه نافع كما يقول البراجماتيون . أما بالنسبة لتطبيق المنهج البراجماتي على المعتقدات الدينية فهو سلاح ذو حدين حيث أن جيمس حينما سلم بوجود الله و بالإيمان به فإنه سلم بذلك لانه وجد أن تلك حقيقة نافعة لها آثارها العملية الناجحة في حياة المؤمنين , و هذا أمر قد ينخدع به المؤمنون بالله و يقدرون المنهج البراجماتي على أساسه بينما يتضح الجانب السلبي حينما نكتشف أن البراغماتية بهذا إنما تساوي بين كل العقائد الدينية سواء كانت ديانات سماوية أو كانت من البدع و النحل المزيفة , فإذا كان معيار التسليم بصحة عقيدة ما هو ما يعود على المؤمن بها من منفعة و ما تسببه لديه من راحة و إطمئنان و تفاؤل , فإن أية عقيدة في نظر المؤمن بها مهما تكن أسباب إنكارنا لها قوية , تعتبر حقيقية على إعتبار أنها نافعة و مفيدة و على ذلك فإنه ينبغي أن ندرك أننا لا نسلم بالحقائق سواء كانت دينية أو غير دينية لمجرد أنها نافعة , بل لأنها في ذاتها حقيقية بصرف النظر عن النتائج العملية النافعة التي تحققها .

قدم لنا جيمس فلسفته على أنها محاولة توسط بين النزعة التجريبية والعقلية محاولا إنشاء نظام كلياتي ميتافيزيقي للعالم دون تجاوز المشكلات و الطرحات الإنسانية، فكان بذلك رائد المذاهب التجريبية التي اعتبرها ناقصة و حاول أن يوسع فيها فأدخل ضمنها عناصر أخرى أراد من خلالها أن يجمع بين إخلاصه للدين و الأخلاق من خلال بحوثه في هذه المجالات، حتى يرفع عن المذهب التجريبي تهمة الإنكار و الابتعاد عن الإعتقاد، فتوصل بذلك إلى نتائج قيمة لازالت موضوع تقدير الكثيرين لأنها أقيمت على أسس تجريبية تحليلية.بمعنى أن انطلاقه من مقولة" الحقيقة والتطبيق" جعله يقر بأن

التعامل مع الحقيقة على أي مستوى لاهوتي أو ميتافيزيقي يكمن في التجربة بما هي تطبيق للحقيقة من خلال الاعتقاد بحقيقة الشيء ومراقبة النتائج، فالحقيقي عند **جيمس** : هو ذلك الذي يجب أن نعتقد فيه حيث يكون الاعتقاد أصلح لنا ، والأصلح هنا للفرد لا للمجموع".وبهذا نعود في الأخير لنقول أن المذهب البراجماتي عند جيمس يحمل على الشمول ،إذ وجه نظرة متكامل يفسر بها الإنسان والعلم و الكون من حيث هو منهج و نظرية معرفية وميتافيزيقية، فالميتافيزيقا لدى جيمس هي كل ما يحس به الإنسان و يشعر به من قضايا نفسية، أخلاقية، روحية و دينية، و هذا ما يؤدي بنا للقول بأن هناك فعلا حضورا للجاني الميتافيزيقي في براجماتية **وليام جيمس** حتى و إن لم يعترف بها علنيا فهي موجودة في ثنايا موضوعاته الفلسفية.

فمالذي يترتب على نظرة وليام جيمس للحقيقة .؟

واضح أن ربط الفكر بنتائجه يقضي على كثير من المشكلات اللفظية التي تكون محل خلاف.فتشكل النتيجة والمنفعة والرضا معيارا لصحة الفكرة.قد تكون عبارتين تختلف ألفاظها ولكننا نقصد معنى واحدا أي نتيجة واحدة.كذلك قد نختلف على ماليس له معنى،أي ليس له نتيجة في الواقع أو يشكل فرقا عمليا في حياتنا نؤسس عليه سلوكنا. ويمكن القول إن المعنى البعيد الذي يقصده جيمس من صياغته لمعنى الحقيقة التخلص من كثيرمن الكائنات الميتافيزيقية التي تمتلئ بها عقولنا.فقد نتصور موجودات ميتافيزيقية ونؤمن بكيانات فكرية لاتغير ولاتنفع وليس لها وجود حقيقي ولايؤثر وجودهاأو إختفاؤها على سلوك الإنسان أو يحقق نفعا عمليا له.يجب أن يكون الماضي جزءا من المستقبل وليس بديلا عنه.

فهرس المصطلحات

بالعربية		بالفرنسية	بالأنجليزية
الإبستيمولوجي	أ	Epistemologie	Epistemology
الإتجاه الدوغماتي		Dogmatisme	Dogmatism
الإتساق		Coherence	Coherence
الحق			Truth
الحدس			Intuition
أولي أو قبلي			A priori
أدوات			Instruments
إحتمال		probabilite	Probability
الحقيقة		la verite	Truth
إرادة الإعتقاد			The will to believe
الحاسمة الاختبارات		Testes severe	Sever Tests
الإختلاف		Difference	Difference
الحس المشترك		Le sens commun	Common-sens
إطرادات		Regularites	Uniformities
إعتقاد		Croyance	Belief
إمتلاءبالمعنى		Plein de sens	Meaningful
إنتخاب طبيعي		Selection naturel	Natural selection
الأنطولوجية		Anthology	Anthologie
استبعاد		Elimination	Elimination
الإستعدادات الجينية		Dispostion genetique	Genetics disposition
الإستنباط		Deduction	Deduction
الإستقراء		Induction	Induction
الإستدلال			Raisonnement
الإعتقاد الحيوي		Croyance vitale	
الأداتية			Instrumentialism
بناء منطقي	ب	Construction logique	Logical constuction
براغماتيييزم			pragmaticism
البناء النسقي		Construction Systemique	Systemic Construction
بنية منطقية		Logique structure	Logical structure
البينة		Evidence	Evidence
بديهية		Axiome	Axiom
	ت		
تأييد		Confirmation	Confirmation
تبرير		Justification	Justification
التجربة العملية		Teste pratique	Practical test

Crucial experiment	Experience cruciale	التجربة الفاصلة
Empiricism	Empirisme	التجريبانية
	Concept	التصور
Tautology	Tautologie	تحصيل
Verification	Verification	التحقق
Principe de vérification		مبدأ التحقق
Vérification possible		التحقق الممكن
Vérification effective		التحققالفعلي
Vérification directe		التحقق المباشر
Logical analytic pay	Analyse logique	تحليل منطقي تفيد
Conjectures	Conjectures	تخمينات
Corroboration	Corroboration	تعزيز
Correspondance	Correspondance	تطابق
Definition	Definitions	التعريفات
Generalization	Generalisation	تعميم
Pluralism	Pluralite	تعددية
Explanation	Explication	تفسير
Refutation	Refutation	تفنيد
Assertion	Assertion	تقرير
Aproximations	Approximation	تقريبات
Equivalence	Equivalence	تكافؤ
Falsification	Falsification	تكذيب
Repetition	Repetition	تكرار
Similarity	Similarite	تماثل
Demarcation	Demarcation	تمييز- فصل
Prediction	Prediction	تنبؤ
Paralleism	Parrallelisme	توازي
Expectation	Previsions	توقعات
Meliorism		التفاؤل الخلقي
	ث	
Dualism	Dualisme	ثنائية
Epstimological dualism		الثنائية في المعرفة
	ج	
Body	Corp	جسم
	ح	
Determinism	Determinisme	حتمية
Truth	Verite	حقيقة

Judgment	Jugement		حكم
Solution	Solution		حل
Meaningless	Vide de sens	**خ**	خالية من المعنى
Experience	Experience		خبرة
Refutation	Refutation	**د**	دحض
Exactness	Exactitude		دقة
		ذ	
Subjectivist	Subjectivite		ذاتيانية
The brain	Esprit		ذهن
		ص	
True	Vrai		صدق
Tabula rasa	Table-rase		صفحة بيضاء
Formal	Formelle		صورية
		ض	
Logical necessity	Necessite logique		ضرورة منطقية
Naturel	Naturel		طبيعية
Mutation	Mutation		طفرة
		ع	
Habit	Habitude		عادة
Irrationnel	Irrational		اللاعقلانية
Pseudoscience	Pseudoscience		علم زائف
Causality	Causalite		العلية
Méthodologie			علم المناهج
		ف	
Hypothesis	Hypotheses		فروض
Falsifying hypothesis	Hypothese falsifiable		فرض كاذب
Speculative			الفلسفة التأملية
		ق	
Testability	Testable		قابل للإختبار
Verifiability	Verifiable		قابلية التحقيق
Falsifiability	Falsifiable		قابلية التكذيب
Scientific statemen	Proposition scientifique		قضية علمية
Matter of degree			قابلة للزيادة أو النقص
Existential statement	Proposition d'existance		قضية وجودية
Decision	Decision		قرار

Laws	Lois	القوانين
Rules	Regles	قواعد
Cash value		قيمة فورية تعاملية
Explanatory power explicative	Puissance	قوة تفسيرية
Mind		العقل
PURITANISM		العقائدالمتطهرة
	ك	
Faulse	Faux	كاذب
	ل	
Assymmetry	Insymetrie	اللاتماثل
Infinity	Infini	لانهائي
Langage	Langage	اللغة
Descriptive langage	Langage descreptif	لغة وصفية
Principale of Transference	Principe de transfert	مبدأ التحول **م**
Sciences knowledge	Connaissance Scientifique	معرفة علمية
Problem	Probleme	مشكلات
Effect	Effet	معلول
	Salvation	مسألة الخلاص
Criterion	Crtirium	معيار
Paradox	Paradoxe	مفارقة
Observation	Observation	الملاحظة
Prohibition	Prohibition	المنع
Objective	Objective	موضوعية
Metaphisical	Metaphysique	ميتافيزيقا
	Practicalism	المذهب العملي
	A percept	مدرك حسي
tough-minded		المزاج الخشن
tender -minded		**ن**
panpsychisme		النزعة السيكولوجية
work		تنجح
Theory of evolution	Theorie d'evolution	نظرية التطور
Relativity	Relativite	النسبية
Grouth of knowledge	Croissance de La connaissance	نمو المعرفة
Monism	Monisme	الواحدية **و**
Realism	Realisme	الواقعية

Dogmatism	Dogmatisme	الوثوقية
Logical posivitism	Le positivism logique	الوضعية المنطقية
Certainty	Certitude	اليقين ي

الفهـــــــــرس:

1 ـ المصـادر والمراجـع

- **القرآن الكريم**

أولا : المصـــــادر

أ ـ باللغة العربية

1/ جيمس،وليام:البرجماتية، ترجمة: محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965

2/ جيمس،وليام: بعض مشكلات الفلسفة، ترجمة: محمود فتحي الشنيطي، المؤسسة العربية العلمية للتأليف والنشر،مصر. دط ،ت

3/ جيمس وليام:إرادة الاعتقاد، ترجمة محمود حب الله،، داراحياء للكتب العربية دط بتاريخ 1947 .

4/جيمس،وليام :العقل والدين، ترجمة محمود حب الله،دارالحداثة للطباعة، والنشروالتوزيع الحمرا-نزلة اللبان...دط ت

5/جيمس،وليام: معنى الحقيقة، ترجمة: أحمد الأنصاري المركز القومي للترجمة.مصرط1 سنة 2008 .

ب ـ باللغة الأجنبية :

6-James William :The Varieties of Religious Experience (1902) Centenary edition 2002

7-James, William,: Pluralistic Universe (Dodo Press) Centenary edition (May 18, 2007)

8-James, William,: The Principles of Psychology (2) volumes; London: Macmillan and Co., ca. **(1891)**

9-James, W. Pragmatism: A new name for someold ways of thinking. New York: Longmans,Green, & Co(1907).

10-James William, Essays in Popular Philosophy, New York: Longmans, Green and Company, 1896

ثانيا : المراجـــــع

أ ـ باللغة العربية

11/ أفلاطون: كتاب الجمهورية ت :فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 سنة1985

12/ابراهيم مصطفى إبراهيم: نقد المذاهب الفلسفية المعاصرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، ط1، 2000م.

13/ابراهيم، زكريا: دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، ط1، 1968.

14/ ابراهيم، زكريا: مشكلة الانسان(سلسلة :مشكلات فلسفية معاصرة)،مكتبة مصر للمطبوعات،القاهرة ،مصر،ط1،دت .

15/ إسلام،عزمي: إتجاهات الفلسفة المعاصرة، دار وكالة المطبوعات، الكويت، د ت ط.

16/البعلي أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح الحنبلي :أبواب الفقه ، تحقيق :محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان،1981م.
17/الطويل توفيق: أسس الفلسفة ، دارالنهضة العربية،القاهرة مصر ،ط6 ،عام 1976
18/الشنيطي، محمود فتحي: وليام جيمس، دار الحمامي للطباعة، مصر، 1957.
19/ الشنيطي محمد فتحي :كتاب المعرفة ،دار الثقافة للطباعة والنشربالقاهرة، مصردط سنة1981
20/الشيباني عمر محمد التومي،تطور النظريات والأفكار التربوية، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس ط19772 .
21/الأهواني (أحمد فؤاد)، في عالم الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة. د ت ط.
22/الأهواني، احمد فؤاد: جون ديوي، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف ، القاهرة – مصر. د ط سنة1968
23/باومر (فرانكلين - ل) : الفكر الأوروبي الحديث ، الاتصال والتغير فى الأفكار ، ترجمة : د. أحمد حمدي محمود ، أربعة أجزاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر 1987.
24/بدوي ،عبدالرحمان: مدخل جديد إلى الفلسفة. وكالة المطبوعات، الكويت، ط2 سنة (1978)
25/بريهيه (إميل)، تاريخ الفلسفة ،الفلسفة الحديثة، فلسفة القرن الثامن عشر، الجزء الخامس ترجمة جورج طرابيشي .دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط:2. 1993.
26/بوترو، إميل: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ت : أحمد فؤادالأهواني الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ، مصر، 1973.
27/بيري، رالف بارتون: آراء وشخصية وليام جيمس، ترجمة: محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة،مصر ، 1965
28/حلمي مصطفى : الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي " دار الدعوة – الإسكندرية ،مصر، دط عام 1998
29/جود، س، ي: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ترجمة: محمد شفيق شيا، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط1981،1
30/حنفي، حسن: مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية، مصر،دط 1991.
31/حيدرمحمود:لاهوت الغلبة ،دارالفارابي بيروت، لبنان ط1 2009.
32/ديوي، جون:تجديدالفلسفة،ترجمة:أميرمرسي قنديل، دارالنهضة العربية،القاهرة،مصر د ت.
33/ديوي جون:المنطق نظرية البحث، ت: زكي نجيب محمود ،دار النهضة العربية القاهرة مصر ط1سنة 1965
34/ ديلودال جيرار،الفلسفة الامريكية،ت،جورج كتورة والهام الشعراني ،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت،لبنان ط1 سنة2009
35/ ديف روبنسن وجودي بروفر:أقدم لك الفلسفة , ترجمة إمام عبد الفتاح إمام , صادر عن المجلس الأعلى للثقافة , مصر , بتاريخ 2001
36/ديورانت ،ول :«قصة الفلسفة»، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت،لبنان ط 6، سنة 1988
37/رايت ،وليام كلي : تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمته : محمد سيد أحمد – مراجعة إمام عبدالفتاح امام،دار التنوير للطباعة والنشر،ط1 سنة 2010

38/ راوية عبد المنعم عباس : جون لوك إمام الفلسفة التجريبية ، صادر عن دار النهضة العربية للطباعة والنشر , بيروت ,لبنان بتاريخ 1996
39/رسل برتراند:.تاريخ الفلسفة الغربية(الكتاب الثالث..الفلسفة الحديثة)ت: محمد فتحي الشنيطي،مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب،مصر،د ط .سنة 1977
40/ رودلف ميتس :الفلسفة الانجليزية في مائة عام ، ترجمة فؤاد زكريا، دار النهضة العربية، مصر. د ت.
41/رسل (برتراند): حكمة الغرب، الجزء الثاني، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة: فؤاد زكرياء. سلسلة عالم المعرفة، 1983، (الكويت).
42/ رسل (برتراند): حكمة الغرب، الجزء الاول، الفلسفة القديمة والوسيطية، ترجمة: فؤاد زكرياء. سلسلة عالم المعرفة، 1983 ،(الكويت).
43/رورتي ريشارد : الفلسفة ومرآة الطبيعة ترجمة حيدر حاج إسماعيل، (المنظمة العربية للترجمة) بيروت لبنان .ط1(2009
44/رورتي، ريتشارد وأخرون، البنيوية والتفكيك: مداخل نقدية، ترجمة حسام نايل، أزمنة للنشر والتوزيع، عمَّان،الأردن ط1، 2007
45/زاهر رفقي :أعلام الفلسفة الحديثة،دار المطبوعات الدولية ،القاهرة،مصر، دت ط
46/زقزوق محمود حمدي:دراسات في الفلسفة الحديثة دال بفكر العربي القاهرة،مصر ط3 1993
47/ زيدان محمود فهمي:«وليام جيمس»، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، مصر، ط 1، سنة 2005.
48/سبيلا محمد وبنعبد العالي عبد السلام - سلسلة دفاتر فلسفية: الحقيقة ،دارتوبقال للنشر،دار البيضاء، المغرب، ط2 سنة2005.
49/ شاخت (ريتشارد)، رواد الفلسفة الحديثة، ترجمة أحمد حمدي محمود.مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،دط،سنة1997.
50/شنايدر، هربرت : تاريخ الفلسفة الأمريكية. ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، القاهرة، مصر،سنة 1964 .
51/ كولنز ،جيمس :الله في الفلسفة الحديثة،ت:فؤاد كامل،مطبعة دار العلم العربي القاهرة، مصر.دط1973.
52/كيتشام، رالف: ثورة الفكر الأمريكي 1750- 1820م، ترجمة: ثابت رزق الله،: النهضة المصرية، القاهرة، مصر. دط ت.
53/ لويس جون:مدخل الى الفلسفة ترجمة أنور عبد الملك ،دار الحقيقة للطباعة والنشر بيروت ،لبنان ،ط3 ،1978.
54/ الصايغ نوال الصراف:المرجع في الفكر الفلسفي دار الفكر العربي القاهرة،مصر،ط1 1983.
55/عثمان أمين: شخصيات ومذاهب فلسفية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.مصر د ت ط.
56/عبدالوهاب جعفروعلي عبدالمعطي محمد:من قضايا الفلسفة ومشكلاتها ،دارالمعرفة الجامعية مصر ط 3 -2003 .
57/عويضة، كامل محمد محمد: "وليام جيمس"،سلسة اعلام من الفلاسفة دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1993

58/ غيوة فريدة:إتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة ،دار الهدىعين مليلة الجزائر دط2002
59/ محمود، زكي نجيب: حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، بيروت،لبنان ط3، 1987
60/محمود، زكي نجيب: من زاوية الفلسفة، دار الشروق، بيروت،لبنان 1979.
61/ محمود ، زكي نجيب ، برتراند راسل ، سلسلة نوابغ الفكر الغربي ، دار المعارف ، القاهرة – مصر د ت ط..
62/ محمود،زكي نجيب:حياة الفكر في العالم الجديد،دارالشروق بيروت،لبنان ط،2 سنة 1982.
63/ محمد سليمان ، حسن: دراسات في الفلسفة الأوروبية، منشورات علاء الدن ، دمشق،سوريا ط1، 1997م.
64/ مهران رشوان محمد: " مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة " دار الثقافة القاهرة مصر ط2 1984.
65/موريس تشارلز:روادالفلسفة الامريكية ت: إبراهيم مصطفى إبراهيم. مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية،مصر، دط 1996م
66/موي بول : المنطق ومناهج البحث،ت :فؤاد زكريا،دار النهضة، القاهرة مصر دط ت
67/ميد,هنتر,الفلسفة أنواعها ومشكلاتها:ت فؤاد زكريا،دار النهضة القاهرة مصر دط 1975
68/ميتز (رودلف)،الفلسفة الإنجليزية في مائة عام، ج 1، ترجمة: فؤاد زكريا، دار النهضة العربية. د ط ت.
69/نفنز ألن ، ستيل كومجر هنري :تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة مصطفى عامر،مكتبة مصر، د ط ت.
70/ هويدي يحي:قصة الفلسفة الغربية،دارالثقافة للنشر والتوزيع القاهرة،مصردط سنة1993
71/هويدي يحي:مقدمة في الفلسفة العامة، دارالثقافة للطباعة والنشر،القاهرة مصر،دط 1974
72/وايت،مورتن: عصر التحليل، ترجمة: أديب يوسف شيش، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، سوريا،دط،سنة 1975،
73/وولف:فلسفة المحدثين و المعاصرين , ترجمة أبو العلاء عفيفي,صادرعن مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر,مصر,دت
74/يعقوب فام: «مذهب الذرائع أو البراجماتيزم»، الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصردط سنة.1998
75/ كرم يوسف :تاريخ الفلسفة الحديثة،– دار المعارف – القاهرة، مصر، ط 5 دت.
ب ـ باللغة الأجنبية :

76/Cousin (Victor), Cours of the history of philosophy. Vol.II., New.York: D.Appleton & Company, 200Broadway. MDccc LII.
77/Copleston. F. ,A history of philosophy.V:7/ part I.,Image books. New . York
78/charles Hartshorne and paul weiss (eds) "pragmatism and pragmaticism" vol/collected papers of c/s/peirce/Cambridge: Harvard university press 1934

79/ Perry, Ralph Barton: Present Philosophical Tendences, Longman's, Grren And Co. London. New York. Tornto, 1929
80/Seth (James). English Philosophy and Schools of Philosophy. London: J.M. Dent & Sons, LTD. 1912.
81/ H, Frederrack, the, works of William James
82/Irwin Edman, Dewey, J ,his contribution, to the,American traditionp
83/Michel Bourdeau, Les trois états chez Auguste Comte, Paris: Cerf, 2006
84-Alan Richardson, Religious Truth in an Age of Science, inaugural lecture, University of Nottingham (England), 1954

***مقالات**
باللغة العربية
85-جون ديو ي :نمو البراجماتية الأمريكية، في فلسفة القرن العشرين، مجموعة مقالات نشرها داجوبرت و رونز، ترجمة، عثمان نوي ة .القاهرة، .مؤسسة سجل العرب، طبعة1963
***الرسائل الجامعية:**
86-أميمة محمد الشوا ف :الناحية الخلقية في فلسفة وليام جيمس .رسالة ماجستير منشورة، كلية آداب القاهرة.،مصر قسم الفلسفة 1973 .

***الموسوعات والمعاجم :**
87/ إبن زكريا الأنصاري لأبي يحيى زكريا بن محمد :الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ،تحقيق : مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1991.
88/إبن فارس :معجم مقاييس اللغة: تحقيق عبد السلام هارون ج4 الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة ،مصر ط1 سنة1946 .
89/ البعلبكي، منير: المورد، دار العلم للملايين ،بيروت، لبنان دط 1977.
90/ الزبيدي محمد مرتضى:تاج العروس، تحقيق: إبراهيم الترزي، دار التراث العربي، بيروت، لبنان(دط ت)
91/الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب بن محمد بن يعقوب بن إبراهيم :القاموس المحيط،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،مصرط 2دت.
92/-الفراهيدي ،الخليل بن أحمد : معجم العين، تحقيق إبراهيم السامرّائي ومهدي المخزومي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،مصرط ط1 سنة 1985
93/-الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان ط2 دت .
94/المناوي محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية،دار الفكر المعاصر, دار الفكر، بيروت, لبنان،1990.
95/بدوي(عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني،. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،ط1، 1984م.

96/ بدوى(عبد الرحمن): الموسوعة الفلسفية ،الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ،لبنان ،ط1، 1984
97/ بدوي أحمد زكي:معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية، د.مكتبة لبنان،بيروت 1982م.
98/- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ج2-1 ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان دط، 1985.
99/ كامل، فؤاد وآخرون :الموسوعة الفلسفية المختصرة،– دار القلم – بيروت ،لبنان.د ت ط.
100/م روزنتال و ب يودين : الموسوعة الفلسفية ، ترجمة سمير كرم إشراف جلال صادق العظم وجورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ، لبنان، ط 2 ، 2006 .
101/ لالاند (أندرية) : الموسوعة الفلسفية ، تعريب : خليل أحمد خليل ، تعهده وأشرف عليه أحمد عويدات، ثلاث مجلدات ، ط1-2-3 ، منشورات عويدات ، بيروت – لبنان ، 2001.
102/ عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل، المصطلحات الفلسفية، مكتبة مدبولي،القاهرة،مصر ط3، 2000م.
103/فرانز بيتر كونزمان:أطلس الفلسفةDTF،ت:جورج كتورة،المكتبة الشرقية، لبنان.دط، سنة2007.
104/مدكورإبراهيم ، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،مصر 1982.
105/مجمع اللغة العربية " إبراهيم أنيس، وعبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد.":المعجم الوسيط، ، مكتبة الشروق الدولية, القاهرة, مصر ط2، 1972
2 ***الدوريات والمجلات:**
106/ أ.م بوشنشكي: «الفلسفة المعاصرة في أوربا»، ترجمة عزت القرني، سلسلةعالم المعرفة، العدد /165 (الكويت).
107/ حبيب، محمد: الإنسان صانع التكنولوجيا، نقلاً عن كتاب (المعرفة والتكنولوجيا) المغرب سلسلة الدوريات بتاريخ 12/15/ 1993 (الكويت)
108/ الخولي (يمنى طريف)، فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة.(عدد 264)، 2000 الكويت.
109/رورتي، ريتشارد: "نظرة براجماتية إلى الفلسفة التحليلية المعاصرة"، مجلة العرب والفكر العالمي، ترجمة فريق مركز الإنماء القومي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العددان (23-24)، 2008.
110 /صعب أديب :نحو منهج موحَّد لفهم الدين، مجلة آفاق، بيروت،لبنان، العدد 39، لسنة 2005.

3 ـ فهرس الموضوعات :

المقدمــة ..... أ ـ ط

الفصل الأول : الخلفية التاريخية لميلاد الفلسفة البرجماتية في أمريكا.....01

تمهيد.....02

ـ **المبحث الأول** :الفلسفة الأمريكية(الروافد التي أدت إلى نشأة فلسفة أمريكية الهوية).....03

1 ـ لمحة تاريخية عن تطور الفكر والمجتمع في أمريكا.....03

2 ـ تحول الفلسفة من البحث التأملي إلى الثقافة المنهجية.....05

3 ـ البراجماتية خير تعبير عن المجتمع الأمريكي**.**.....07

4 ـ مميزات الفلسفة البراجماتية..... .....**.**08

ـ **المبحث الثاني** : وليام جيمس والفلسفة البراجماتية. 10

1- نبذة عن حياة وليام جيمس وفلسفته. 10

2- التطور العقلي لفلسفة وليام جيمس 12

3-المنهج البراجماتي عند وليام جيمس 19

4- سبب إتجاه جيمس نحو الفلسفة البراجماتية. 21

ـ **المبحث الثالث** : شبكة المفاهيم. 23

ـ تحديد مفهوم الإعتقاد..... 23

ـ تحديد مفهوم الحقيقة..... 25

الفصل الثاني : الحقيقة والإعتقاد عند وليام جيمس..... 28

ـ **تمهيد**.....29

ـ **المبحث الأول** : الوهم وإشتباه الحقيقة..... 30

1 ـ في الفلسفة.....30

2 ـ في السحر.....33

3 ـ في العلم.....35

4 ـ في الدين.....39

ـ **المبحث الثاني** : نظرية الصدق عند وليام جيمس 41

1 ـ مفهوم الصدق..... 41

2 ـ موقف وليام جيمس من العقليين..... 41
3-موقف وليام جيمس من التجريبين..... 43
4- تطبيق المنهج البرجماتي على الصدق..... 49
المبحث الثالث : مفهوم الحقيقة ومعاييرها عند وليام جيمس..... 51
1 ـ تعريف الحقيقة عنده(الفرق مع تعاريف أخرى عامة وبرجماتية)..... 52
2 ـ معايير الحقيقة (معيار النجاح والمنفعة)..... 61
3 ـ الحقيقة والإعتقاد اليوم..... 71
4 ـ خصائص الحقيقة وانواعها..... 80
5 ـ الحقيقة والواقع..... 82
أ ـ عند المثاليين..... 82
ب ـ عند الماديين..... 84
ج ـ عند التجريبيين..... 86
د ـ عند وليام جيمس..... 87
الفصل الثالث: الإعتقاد والحياة عند وليام جيمس..... 94.
ـ تمهيد..... 95
المبحث الأول : الإعتقاد والأخلاق عند وليام جيمس..... 95
1 ـ الإلزام الخلقي..... 96
2 ـ التفاؤل الخلقي..... 96
3- مشكلة الحرية..... 98
المبحث الثاني : الإعتقاد والدين عند وليام جيمس. 100
1 ـ حق الإعتقاد..... 100
2 ـ الإيمان فرض نافع تحقيقة..... 103
3- تحقيق الإيمان..... 105
4- التجربة الدينية و التصوف..... 107
المبحث الثالث : عن الإعتقاد والفلسفة والإعتقاد والعلوم عند وليام جيمس..... 118
1 ـ عن الإعتقاد والفلسفة..... 118
2 ـ عن الإعتقاد والعلوم(الإعتقاد وعلم النفس) 122

الفصل الرابع : الإعتقاد ومستقبل الحقيقة.....126
- تمهيد.....127
المبحث الأول : عن الإعتقاد والمجتمع والإعتقاد والسياسة..... 127
1 - عن الإعتقاد والمجتمع..... 128
2 - عن الإعتقاد والسياسة..... 133
المبحث الثاني : الآثار النظرية والعملية للإعتقاد والحقيقة.....135
1 - الفكر البرجماتي و الفلسفة العملية..... 135
2 - الفكر البرجماتي وتجاهل الفلسفة النظرية.....**...** 141
المبحث الثالث : نظريات الإعتقاد والحقيقة بين جيمس ورموزالبراجماتية.....**...** 143
1 - نظرية الإعتقاد والحقيقة عند "تشارلزساندرس بيرس "..... 144
2-نظرية الإعتقاد والحقيقة عند "جون ديوي" 146
3-نظرية الإعتقاد والحقيقة عند "ريشارد رورتي".....148
4-نظرية الإعتقاد والحقيقة عند "وليام جيمس".....152
2 - نقد وتقييم..... 167
الخاتمــة 175
الفهـارس
1 - فهرس المصطلحات..... 181
1 - فهرس المصادر والمراجع 186
2 - فهرس الموضوعات 192